

مصرع القصوف

أو

تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عزي

تأليف

العلامة برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

تحقيق وتعليق

عبد الرحمن الوكيل



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ،
والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
وبعد : فإنه كانت لي بالتصوف صلة ، هي صلة العبرة بالمأساة ، فهناك -
حيث كان يدرج بي الصِّبَا في مدارجه السَّحَرِيَّة ، وتستقبل النفس كُلَّ صُرُوفِ
الأقدار بالفرحة الطروب ، وتستنشِي الروح رِيًّا الجمال والحب من كل معاني
الحياة - هناك تحت شُفُوفِ الأسحار الوَرْدِيَّة من ليالى القرية الوادعة الحاملة ،
وفي هيكَل عَبَقِ بغيوم البخور ، جَثَمَ على صدره صَمٌّ صغير يعبده كثير من شيوخ
القرية ، هناك في مطاف هذه الذكريات الوَاهِي : كان يجلس الصبي بين شيوخ
تَفَضَّلَتْ منهم الجباه ، وتهدَّلت الجفون ، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينَة
راعشة ، وفي أجسادهم الهضمية نحولا ذابلا ، يَتَرَاءَوْنَ تحت وَضُوءَةِ السراج
الخافت أوهام رجاء ضِيَعَتُهُ الخفية ، وبقايا آمالٍ عصفت بها اليأس .

وتتهدَّج ترانيمُ الشيوخ تحت السَّحَر - نَوَاحٍ بينها صوت الصبي - بالتراتيل
الوثنية ، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش ، ومنظومة الدردير كانتا
أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت
تشرق بالدموع ، وتثن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى : « اللهم
انقلني من أحوال التوحيد !! » ومن الثانية : « وجُدْ لي بجمع الجمع منك
تفضلاً » يا للصبي الفريز التمس المسكين !! فما كان يدرى أنه بهذه الصلوات
الجوسية يطلب أن يكون هو الله هُوِيَّة وماهية وذاتا وصفة !! ما كان يدرى
ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أحواله !! ولا ما جمع الجمع الذي
يبتهل إلى الله أن يمن به عليه !! .

ويشب الصبي ، فيذهب إلى طنطا ليتعلم ، وليتفقه في الدين . وثمت يسمع
الكبار من شيوخه يقسمون له ، ولصحابه : أن « البدوي » قطب الأقطاب ،
يصرف من شئون الكون ، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية !! ويجزو
الشاب مرة فيسأل خائفا مرتعدا : وماذا يفعل الله ؟ ! ويهدر الشيخ غضبا ،
ويزجر حقا ، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت ، وقد استشعر من سؤاله ،
وغضب الشيخ ، أنه لطّخ لسانه بجريرة لم تُكتب لها مغفرة !! ولم لا ؟ والشيخ
هذا كبير جليل الشأن والخطر ، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل
هذا الحزب الأثيب - الذي يسأل عنه الموت - يرضى بالكفر ، أو يتهوّك مع
الضلال والكذب . فصدق الشاب شيخه ، وكذب ما كان يتلو قبل من آيات الله
(١٠ : ٣) ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، مامن شفيح إلا من بعد إذنه !!
ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها : أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة ،
وأن فلانا كان يصلي كل أوقاته في السكبة ، في حين كان يسكن جبل قاف ،
أو جزائر واق الواق !! ! وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مديده من القبر وسلم
على الرفاعي !! وأن فلانا عذبه الملائكة ؛ لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل
بما فيهما ، واسكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد !! ! وأن مذهبا في الفقه
هو الحق وحده ، لأنه أحاديث حذفت أسانيدھا !! ! ويصدق الشاب بكل
هذا ، ويؤمن ، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا .

إذا قال في نفسه : لو لم تسكن هذه الكتب حقا ، ما درست في الأزهر ،
ولادرسها هؤلاء الهرمون من الأحبار ، ولا أخرجتها المطبعة !! وهل كان يمكن
أن يسأل نفسه مثلا مثل هذا السؤال : أين من الحق البين من كتاب الله ، هذا
الباطل العرييد في هذه الكتب ؟ لا فلتدجى به إلى طنطا ليتفقه في الدين
على هؤلاء الشيوخ ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ ، ويقرؤه في الكتب ،
وحسبه هذا !! !

وتعرج طنطا بالوفود ، وتمج بالآمين بيت الطاغوت الأكبر من كل حدب ،
ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله يَحْنَت الأنوف ، ورجأت
الأرداف ، ووثنية الدفوف ، وثمت يسمع منشد القوم يصيح راقصا : « ولي صم
في الدير أعبد ذاته » فتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات : « إيوة كده
اكفر ، اكفر يا مربي » ويرى الشاب على وجوه القوم فرحا وثنيا راقص
الإثم بما سمعوا من اللشد الكافر ، فيسأل شيخا يمين وفدوا من أهل قريته :
ياسيدى الشيخ ، ماذلك الصم المعبود ؟ ! فيزم الشيخ شفتيه ، ثم يجود على
الشاب الواله الحيرة بقوله : « إنته لسه صغير » !! ويسكت الشاب قليلا ،
ولكن الكفر يضح في التعبق ، فيسمع اللشد يقي : « سلكت طريق الدير
في الأبدية » « وما الكلب والخنزير إلا إلها » ويطوى الشاب نفسه على
فزع وعجب يسائل الذهول : ما الكلب ؟ ما الخنزير ؟ ما الدير ؟ وأنى للذهول
بأن يجيب ؟ ! ولقد خشى أن يسأل أحد الشيوخ مادام قد قيل له : « إنته لسه
صغير » ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمات يشربون
« القرفة » ويهثوث الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الفوث
سيدم السيد البدوى !!!

وتكفن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات ، فيصبح طالبا في كلية
أصول الدين ، فيدرس أوسع كتب التوحيد - هكذا تسمى - ، فيعى منها كل
شىء إلا حقيقة التوحيد ، بل مازادته دراستها إلا قلقا حزينا ، وحيرة مسكينة .
ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صوفي أمي . فيسألها
عن معانى بعض نهاويل ابن عطاء الله السكندري « إرادتك التجريد مع إقامة الله
إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك في
التجريد ، انحطاط عن الهمة العالية » . ويحار الطالبان ، ولا يدران بم يجيبان
هذا الأذى عن هذه الحكم المزعومة - وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقرير أسطورة

رفع التكليف - فتمتلىء نفسها بالنم المموم ؛ إذ رسب في امتحان عقده لها
أمى صوفى !؟

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالباً في شعبة التوحيد والفلسفة . ويدرس
فيها التصوف ، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته ، رأى ابن تيمية في
ابن عربى . فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية ، وكان قبل يراه ضالاً مُضلاً .
فهذا البهتان الأثيم نعمته الدردير !! .

وكانت عنده لابن تيمية كتب ، بيد أنه كان يرهب مطالعتها ، خشية أن
يرتاب في الأولياء ، كما قال له بعض شيوخه من قبل !! وخشية أن يضل ضلال
ابن تيمية ويقرأ الشاب ، ويستغرق في القراءة ، ثم ينعم القدر على الشاب
بصبح مشرق يهتك عنه حجب هذا الليل ، فيقر به سره المضى عند جماعة
أنصار السنة المحمدية ، فكأنما لقي بها الواحة القدية السلسيل بعد دَوِّ ملتهب
الهجير . لقد دعت الجماعة على لسان منشئها فضيلة والدنا الروحى الشيخ محمد حامد
الفقى إلى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسنة ، فيقرأ الشاب ويتدبر ما يقرأ ،
وتمت رُويْدًا رُويْدًا ترتفع الفشاوة عن عينيه ، فيبهره النور السماوى ، وعلى أشعته
المهادية يرى الحقائق ، ويبصر القيم . يرى النور نوراً ، والإيمان إيماناً ، والحق حقاً ،
والضلال ضلالاً ، وكان قبل - بسحر التصوف - يرى في الشيء عين تقيضه .
فيؤمن بالشرك توحيداً ، وبالكفر إيماناً ، وبالمادية الصماء من الوثنية : روحانية
عليها ، ويدرك الشاب - وهو لا يكاد يصدق - أن التصوف دين الوثنية والمجوسية ،
دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنديق ، وكل مجرم ، وكل جريمة !!
دين يرى في إبليس ، وفرعون ، وعجل السامرى ، وأوثان الجاهلية ، يرى في كل
هؤلاء الذين لعنتهم كتب الله ، بل لعنتهم حتى العقول ، يرى فيهم أرباباً وآلهة
تهيمن على القدر في أزله وأبده ، دين يرى في كل شيء إلهاً يجب أن يُعبد ، ورباً
يخلق ما يشاء ، ويختار ، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى : هى في الإيمان بأن الله

- سبحانه - عين كل شيء . دين لا تجد فيه فيصلا بين القيم ، ولا بين حقائق الأشياء ، ولا بين الضد وضده ، ولا بين النقيض ونقيضه . دين يقول عن الجيف - يعاذى منها النتن ، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية - إنها هي الإله ، وسبحان ربنا !! دين يقول عن القاتل ، عن السارق ، عن الباغى ، عن كل وغد تَسْقُلُ في دناءته ، عن كل طاغية بغى في تجبره . يقول عن كل هؤلاء : إنهم تَعْيِشَاتُ الذات الإلهية !! فأى إله هذا الذى يقتل ، ويبغى ، ويفسد في الأرض ؟ أى إله هذا الذى يدب تحت جناح الليل تَتَلَطَّى في عينيه ، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية ؟ أى إله هذا الذى يلحق دم الضحايا يُبَرِّدُ به غُلَّتَه ، ويخضب بدماء الأعراض التى سفحها يديه الظالمتين ؟ أى إله هذا الذى مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلما وجبروتا يدمر ، ويخرب ، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة ؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذى ابتدع أسطوره سلف ابن عربى ، وابن الفارض وغيرهما !! ؟ .

أيتها البشرية التى تهاب القانون ، أو ترهب السماء !! ها هو دين التصوف يناديك مُلِحًا ملهوف النداء : أن تنحدري معه إلى حيث تَنَزَّعِينَ من كل خمرة مخمورة ، وتتلطخين بكل فسق ، وتتمرغين في أحوال الإثم !! وأنتم أيها الماكفون في المساجد : لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة ، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه ، وترجونه ، ولا إلى إله تعبدونه .

لم هذا السكدر والجهد والنَّصَب والعبودية ؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب ، وهو الإله كما يزعم الصوفية !!؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة ، ودعوها تعيش في الصاب والدغل وحوشا ضارية ، وأفاعى فتاكة ! وأنتم يا بنى الشرق ! دعوا المستعمر الفاسب بسومكم انخسف والهوان ، ويُطَطِّخ شرفكم بالضة ، وعزتكم بالذل المهين ، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغى ، وبغْيهِ الظلوم . دعوه يهتك ما تحمون من أعراض ، ويدمر ما تشيدون من معال ،

وينسف كل ما أستم من أعجاد ، ثم الثموا ضارعين خناجره وهى تمزق منكم الحشاشات ، واهتفوا لسياطه ، وهى تشوى منكم - أذلاء - الجلود . فاذك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم ، تعين فى صورة مستعمر .

دعوا المواخير مُفْتَحَة الأبواب ، ممهدة الفجاج . ومبءات البقاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر ، وحانات الخمر تطغى على قدسية المساجد ، وأقيموا ذَهَبِيَّ الهياكل للأصنام ، وارفعوا فوق الذرى مُنْتَبِجَ الجَيف ، ثم خروا ساجدين لها ، مسبحين باسم ابن عربى وأسلافه وأخلافه . فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة ، وأن تتولوا إلى عبادتها بالجريمة !!

ذاك هو دين التصوف فى وسائله وغاياته ، وتلك هى روحانيته العليا !!
ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجله ، واصفوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح : إن التصوف أدنا وألأم كيد ابتدعه الشيطان لِيُسَخَّرَ معه عباد الله فى حربته لله ، ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفى العداوة للدين الحق . فتنس فيه تجذ برهمية ، وبوذية ، وزرادشتية ، ومانوية وديسانية . تجذ أفلوطينية ، وغنوصية ، تجذ فيه يهودية ونصرانية . ووثنية جاهلية ، تجذ فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف فى جرأة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيفضل غير المخلصين من عباده . تجذ فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مَكْحُولُ الإنم مُتَبَرِّجُ الغواية ، مُتَقَتِّلُ الفتون ، ثم سماه للمسلمين : « تصوف » وزعم لهم وأيده فى زعمه القدامى والمحدثون من الأبحار والرهبان - أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا فى الإسلام !! أقولها عن بينة من كتاب الله ، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وبعون من الله ، سأظل أقولها ، لعل أعين الفريسة التنصتة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش المثلث بوشاح الدعة الحانية المطوف ولكن سلوا الصوفية سوداً وبيضاً ، خضراً وحمراً ، سلوهم : ما رَدُّكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق ؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد « إن نراك

إلا اعتراضك بعض أهتتنا بسوء » وأهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها !!
 دمغناهم بالحق ، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر ، وقع نخاة في قبضة الحارس ،
 وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة ، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبرىء إلا مجرمًا ،
 وشكوا إلى رئيس حكومة سابق ، وختموا الشكاية بهذه الضراعة الذليلة : « والله
 نسأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامى الدين حضرة صاحب الجلالة
 الملك المعظم صان الله عرشه ، وأيد حكومته الرشيدة ، وألهمها التوفيق » ^(١) ،
 فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرمًا . وطاح الحق بينى إلههم
 وملاذم حامى دينهم ، كما كانوا يلقبونه .

وما زلنا - بعون من الله نستلهمه - بكتاب الله نتحدثهم ، وبسنة رسوله
 صلى الله عليه وسلم نحاججهم ، والله على كل شيء شهيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
 سيقول الناعمون - من ذوى الألسنة التى استمرت كلمات الذل والعبودية ،
 وليونة النفاق ، و يمن يتملقون الجماهير على حساب الحق ، و يزعمون أنهم لا يحبون
 إثارة شقاق ، أو جدال ، ولا الطعن على أحد - سيقول هؤلاء : ما هكذا يكون
 النقد ، ولا هكذا يكون البحث العلمى !! لا . أيها المدللون الخانعون للأساطير ،
 فإنا لسنا أمام جماعة مسلمة ، فنخشى إثارة الشقاق بينهم ، ولو خشى الرسول مثل
 هذا لما لأقريشاً على حساب الحق ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطاع أمير ربه
 (١٥ : ٩٤) فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ووعى قلبه - المشرق
 المؤمن الطهور التقي - موعظة ربه فيما قال له العلى الكبير (٦٨ : ٩) ودُّوا لو تذهبن
 فيذهبن) وفيما قال له (١٧ : ٧٣ - ٧٥) وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا
 إليك : لتفترى علينا غيره ، وإذا لا تأخذوك خليلاً ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت
 تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذا لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف المات ، ثم لا نجد لك
 علينا نصيراً) فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربه : « اللهم
 أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك

ما استطعت « فكيف بنا نحن الذين أمرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة ؟! ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل ، بل تزدريه وتحقره ، ثم تهب في قحاة طاغية الجراءة لتشتتم الله ، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن ، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة ، وسيرد على القارى عشرات النصوص من فصوص ابن عربى وثائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت ، وابن عربى وابن الفارض قطبا التصوف ، وإماما الصوفية المعاصرة . فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله ، وأنا نقول للشيطان : إنك أنت الشيطان ؟ ! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربى - يفترى أدناً البهتان على الله ، فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإنم ، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات الله ، سبحانه ؟ ! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم .

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ، ليبصره الخدوعون به ، ليبصروه مسخاً ثانياً للشيطان ؟ إننا في ميدان مستعر الأنون ، يقاتلنا فيه عدو دنى . يتراءى أنه الأخ الشفيق الحنو ، الندى الرحمة ، فلا أقول من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره ، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين ، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية .

هذا الكتاب : هو في الحقيقة كتابان صنفهما علم من أعلام القرن التاسع الهجرى ، هو برهان الدين البقاعى ، سعى أولهما « تنبيه النبى ، إلى تكفير ابن عربى » وسعى الآخر « تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ^(١) » نقد فيهما ابن عربى وابن الفارض بخاصة ، والتصوف المشاكل لدينتهما بعامة . ومنهاج البقاعى في النقد يقوم على أصلين .

أولاً : نقل نصوص كثيرة عن « فصوص الحكم » لابن عربى ، وعن

(١) لما كان الكتاب ينقد التصوف نقداً قاتلاً ، فقد سميناه « مصرع التصوف » وأعتذر عن مخالفة الأصل في التسمية لطول عنوانى الكتابين ، ولما فى أحدهما من تمرىض بالقارى .

« الثانية الكبرى » لابن الفارض ، وقليل ما يعلق البقاعى على هذه النصوص ، أو يكشف عما فيها من مجافاة لروح التوحيد القرآنى . معتمداً على فطنة القارى ومعرفته بدينه ، فهما كفيلا أن يادراك ما فى هذه النصوص من كفر ومجوسية ، يدركهما القارى حتى باللمحة الفكرية الهافية .

الآخر : ذكر فتاوى كثيرة عن أعلام شيوخ القرون : السابع والثامن والتاسع الهجرية ، وما لاحظته : أن المؤلف لم ينقل عن ابن تيمية سوى النزر اليسير جداً بيد أن هذا مما يحصل للكتاب خطره الكبير فى نظر المتصوفة على معتقدهم ، إذ ما يستطيعون اتهام أحد من ذكرهم البقاعى بالخصومة ، كما كانوا يفعلون - مفتقرين - بالنسبة إلى الشيخ الإمام ابن تيمية . فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربى وابن الفارض : إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصه ، ولكنه أدلى معه بدلوه فى فضح الصوفية ، وإما فريق لم يعرف عنه لا موالاة جليلة ولا خصومة صريحة لابن تيمية - وإن كانوا فيما يذهبون إليه فى مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية - فخلهم من أئمة الأشاعرة ، وإما فريق كان له جاه ومقام كبيران فى التصوف ، كعلاء الدين البخارى ، وهو أقتى هؤلاء جميعاً حلة على ابن عربى وابن الفارض ، ومن دان بدينهما .

على فى الكتاب : أولاً تحقيق نص الكتاب ، وهو إما نقول عن فصوص ابن عربى وثانية ابن الفارض ، أو عن كتب علماء نقدوا التصوف . وإما من إنشاء المؤلف . أما ما نقله عن الفصوص : فراجعته على مطبوعة الحلبي بتحقيق الدكتور عفيفى ، وجعلتها العمدة فى تحقيق نصوص الفصوص ، وقد أيقنت من هذه المراجعة أن المؤلف أمين جداً فيما نقل . بيد أنه كان يترك أحياناً ماله رحم ماسة بالكشف عن حقيقة معتقد ابن عربى ، أو ما لا بد منه للربط بين نصوص الفصوص ، وأحياناً كان يسقط منه - أو من الناسخ - بعض ألفاظ ، وكل هذا أثبتته عن الفصوص ، وجعلته بين قوسين هكذا [] ، وقد أشرت فى الهامش إلى هذا وإلى أرقام الصفحات التى وردت فيها هذه النصوص حسب ترقيم صفحات

فصوص الحكم طبع الحلبي ، حتى يسهل على القارىء مراجعة كل ما نقله المؤلف عن الفصوص في مصدره الأصيل ، أما أبيات تائية ابن الفارض ، فراجعتها على مرجعين ، أحدهما ديوان ابن الفارض طبع بيروت ، والآخر شرح تائية ابن الفارض للكاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض المطبوع سنة ١٣١٠ هـ في المطبعة الخيرية . أما ما نقله عن العلماء فقد بذلت كل الجهد في سبيل تحقيق نقوله بمراجعتها في كتب أولئك العلماء ، وأشرت إلى أرقام الصفحات التي وردت فيها تلك النقول في مصادرها الأصلية ، مثل ما فعلت بما نقل المؤلف عن الشفاء لمياض ، والمواقف للإيجي ، والمثل للشهرستاني وغيرها حتى يسهل أيضاً على القارىء مراجعة آراء هؤلاء العلماء في كتبهم هم . وقد يسر الله سبحانه ، فوجدت بعض ما نقله البقاعي من فتاوى عن العلماء في عصره وقبل عصره مذكوراً في كتاب « العلم الشامخ » للعلامة المقبلي بتحقيق وتعليق العلامة الشيخ رشيد رضا ، فراجعت بعض نقول البقاعي عن العلماء الذين لم أعر على كتبهم في العلم الشامخ ، وأثبت زيادة العلم ، وجعلتها بين قوسين هكذا [] ، ويشهد الله أني لقيت في سبيل ذلك نصبا كبيراً ، كان من نتائجه أن أصبحت أمانة البقاعي في النقل فوق كل مظنة ، وسيكون من آثاره اطمئنان القارىء إلى كل ما نقله البقاعي عن الفصوص والتائية ، وكتب العلماء ، وما نقل عنهم من فتاوى .

أما ما كان من أسلوب المؤلف : فتركته على حاله ، فاصوبت فيه إلا ما تجزم قواعد العربية بخطئه مشيراً إلى ذلك في الهامش .

ثانياً : ترجمت لمعظم من ذكروا في الكتاب ترجمة مختصرة ، ولقيت في سبيل هذا مشقة وجهداً ، سببها : أن المؤلف كان يذكرهم إما بألقابهم أو كنانهم ، في حين تذكرهم كتب التراجم بأسمائهم أولاً .

ثالثاً : ترجمت لكل فرقة أو نخلة جاء ذكرها في الكتاب ترجمة ذكرت فيها أهم الأصول لتلك الفرقة ، أو هذه النخلة ، معتمداً على أصدق المراجع .

رابعاً : حققت كل ماورد في الكتاب من أحاديث ، وخرجتها تخريجاً صحيحاً ، إذ كان يخطئ المؤلف أحياناً في نسبتها إلى رواتها .

خامساً : ولما كانت بعض نصوص الفصوص غامضة تخفى معانيها ومراميتها على بعض القراء ، وكذلك بعض أبيات تائية ابن الفارض ، لما كان ذلك كذلك : فقد شرحت في الهامش تلك النصوص وهذه الأبيات ، ويشهد الله ما فهمت في الألفاظ غير معانيها ، التي لها في عرف الصوفية ، ولا فسرتها إلا بما هو مقرر عند شراح الفصوص والتائية من الصوفية .

سادساً : برهنت في كثير من المواضع على مخالفة ما ذهب إليه الصوفية للنقل وللعقل ، إذ كان المؤلف يكتفى بإيراد النصوص تاركاً للقارى الحكم عليها ، وهو حكم يحزم به كل من له أدنى فهم لحقيقة التوحيد .

سابعاً : في الكتابين كثير من مصطلحات الصوفية ، كالفناء والجمع ، وجمع الجمع ، والقطب ، وقاب قوسين ، وغيرها ، وقد فسرته في هامش الكتاب هذه المصطلحات الصوفية معتمداً على كتبهم هم ، حتى يخلص الكتاب للحق والإنصاف ، والصدق .

ثامناً : عنونت لمواضيع الكتابين ، إذ خلا كلاهما إلا من عناوين قليلة وضعها الناسخ ، أو المؤلف على هامش الكتابين ، ومعظمها ليست دلالة^{دلت} على ماوضعته .

تاسعاً : رفقت ماورد في الكتاب من الآيات القرآنية ، والرقم الأول يدل على السورة ، والثاني على الآية .

ملحوظة . تشير الأرقام الواردة في صلب متن الكتاب إلى صفحات النسخة المصورة التي اعتمدت عليها في نشر هذا الكتاب .

الأصل المطبوع عنه : يملك النسخة التي عنها نشرنا الكتاب سرى^{سرى} جيدة الجليل ، الشيخ محمد نصيف . وقد تفضل - كدأبه دائماً في العمل على نشر العلم

فأعطاهما إلى فضيلة أستاذنا الكبير الشيخ محمد حامد الفقى ليعمل على نشرها ،
ففضل أستاذنا ، ووكل إلى "أسر تحقيقها والتعليق عليها .

وصف النسخة : وقد عثر على النسخة الخطية الأصيلة لكتايب البقاعى ،

العلامة شيخ العروبة فى وقته أحمد زكى ، عثر عليها فى خزائن القسطنطينية ، فنقلها
بالتصوير الشمسى فى مجلد واحد . ثم نقل عن نسخته المصورة نسخة أخرى
بالتصوير الشمسى أيضا فى مجلد واحد وأهداه إلى العالم الجليل الشيخ محمد نصيف .
وقد ورد فى الصفحة الأولى من الأصل الذى نشرنا عنه هذا الكتاب ما يأتى :

« نقلت باسم الله هذا الكتاب بالتصوير الشمسى من خزائن القسطنطينية
وأضفته إلى مجموعة كتفى التى أودعتها قبة الفورى بالقاهرة باسم الخزانة الزكية
وجعلتها وقفا على العلماء وطلبة العلم ، نفع الله بها » ثم بلى ذلك إمضاء « وكتبه
أحمد زكى » وورد أيضا فى الصفحة الأولى ما يأتى : « وهذه النسخة المنقولة عنها
هدية إلى خادم العلم الإسلامى والعمرانى بالحرمين الشريفين الشيخ محمد نصيف ،
فخر جده أعانه الله » ثم بلى ذلك إمضاء « أحمد زكى » وتاريخ الإهداء ٥ محرم
الحرام سنة ١٣٥٢ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٩٣٣ ، وقد صورت النسخة المهداة
سنة ١٩٣٣ م بمطبعة دار الكتب قسم التصوير .

والنسخة مكتوبة بخط فارسى جميل ، وناسخها سليمان بن عبد الرحيم . وقد
انتهى من نسخها - كما ذكر هو فى آخر الكتاب - سنة ٩٤٧ هـ وتقع النسخة فى
٨٤ صفحة ، وقد كتبت ورقاتها من وجه واحد ومسطرتها تبلغ ٢١ سطرا ، ويقع
الكتاب الأول منها ، وهو « تنبيه النفى » فى ٥٩ صفحة ، والثانى وهو « تحذير
العباد » فى ٢٣ صفحة .

وقد كتب الشيخ الجليل محمد نصيف على نسخته ما يأتى : « أقول أنا محمد
نصيف بن حسين بن عمر نصيف : سألت السامع التركى ولى هاشم عند عودته من
الحج فى محرم سنة ١٣٥٥ عن سبب عدم وجود ما صنفه العلماء فى الرد على

ابن عربي ، وأهل نحلته الحلولية والاتحادية من المتصوفة . فقال قد سعى الأمير للسيد عبدالقادر الجزائري بجمعها كلها بالشراء والهبة وطالعها كلها ، ثم أحرقها بالنار ، وقد ألف الأمير عبد القادر كتاباً في التصوف على طريقة ابن عربي . صرح فيه بما كان يلوح به ابن عربي ، خوفاً من سيف الشرع الذي صرع قبله « أبو الحسين الخلاج » وقد طبع كتابه بمصر في ثلاثة مجلدات ، وسماه المواقف في الوعظ والإرشاد ، وطبع وقفاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »

شبهة : يقول بعض من لا يستبطنون خبيثة التصوف ، ويرسلون النظرة السكاشفة إلى أعماقه : وهل تدين الصوفية المعاصرة بما دان به ابن عربي ، وابن الفارض ، حتى تحكموا عليهم بما حكيم به علي ابن عربي وابن الفارض ، أوحى يصلح هذا الكتاب رداً عليهم ؟ ! وأقول لهذا السائل : نعم ، تدين الصوفية المعاصرة بوحدة الوجود ، وبوحدة الأديان ، فإنما هو أمر مُبَيَّنٌ للدين الحق يتوارثه الصوفية خلفاً عن سلف ، ليكيدوا به لهذا الدين الحق . وفي أورادهم دليل ما نقول . وفي تقديسهم لابن عربي وكتابه الفصوص ، ولابن الفارض . وتأييده حجة على أنهم يدينون بدينهما ، فالأول عندهم « الشيخ الأكبر » . والثاني : « سلطان العاشقين » وياظلمنا قلنا للصوفية المعاصرة : أن تنغم رضاء الله مرة . فتبأ إليه من ابن عربي ، وابن الفارض . بل حتى من كتبهما وأشعارهما قلنا لها ذلك ، فكان أن برئت إلى أصنامها ممن يقدم لها النصيح ابتغاء وجه الله . واستغاثت بالأحياء ، وبالأَمْوات من الطواغيت ، حتى لا ينزع الناصح تاج القداسة الزائف عن الشيطان المرید !! .

وقد يقول قائل : وما بالسكم تخصون الصوفية بهذا كله ؟ ! . وأقول : بل هو جهادنا الأول . ونقتدى في هذا برسولنا وأسوتنا عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ بدأ دعوته بالدعوة إلى الله وحده ، وإلى النهي عن اتخاذ شركاء . أو شفعاء من دون الله رب العالمين ، بدأ بوحى من الله

بدعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، وإذا ما تمكنت عقيدة التوحيد الخالص من قلب المسلم ، جعلته إنساناً مثالياً في دينه وخلقه وروحانيته ، ودفعت به إلى الحياة بطلا يعمل باسم الله لتحقيق المثل العليا للجماعة المسلمة ، بل للإنسانية عامة ، وجعلت منه ولياً كريماً للحق والعدل والخير والصدق والسمو والكرامة ، وذلك لأنه يحمل قلباً مؤمناً لا يحب إلا الله ، ولا يرهب غير الله ، ولا يتقى غير الله ، ولا يرجو إلا ثواب الله ، ولا يطمع غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما الصوفية سواء كانت نظرية أم عملية ، فقد قامت لتصرف الناس عن عبادة الخالق ، إلى عبادة المخلوق . إنساناً كان أم حيواناً ، ملكاً أم شيطاناً ، حياً أم ميتاً . لتجعل من المسلمين عباد هوى وشهوة وأوثان .

ناج القلب الصادق الإيمان باسم الله يَتَجَاوَبُ معك ، أَيْنَ له عن أمر الله ، تجده يتلمس كل سبيل إلى طاعة أمر ربه سبحانه ، ناشده باسم الله ما يحب الله تجده طيعاً ذلولاً في عزة ونبل وكرم وإيثار . ثم سل القلب الصوفي بعض ماسألت قلب المؤمن ، فلن يسمع لك إلا إذا ناحيته باسم طواغيته ابن عربي وابن الفارض والشعراني وأمثالهم ، أو باسم أوثانهم وأصنامهم ، من قباب آلمته الموتى .

فنحن إذن نعمل ليكون لله وحده الدين خالصاً ، ولتكون قلوب عباده إيماناً به وحده ، وحباً له وحده ، ورجاء فيه وحده ، وتقوى له وحده ، ولتتوحد الجماعة الإسلامية بهذا الإيمان ، وهذا الحب ، وهذا الرجاء ، وهذه التقوى .

وإلى العلى القدير أضرع أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل من المسلمين أمة واحدة تعمل بقول الله سبحانه : (وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون) .

عبد الرحمن الوكيل

القاهرة : الجمعة ١٢ من صفر سنة ١٣٧٢
٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٢
عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

البقاعى فى سطور

ملخصة عن شذرات الذهب ، والضوء اللامع

هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن على بن أبى بكر أبو الحسن
برهان الدين البقاعى الشافعى المحدث المفسر العلامة المؤرخ :

ولد سنة ٨٠٩ هـ ، بقرية خربة روحاً من عمل البقاع ، ونشأ بها ، ثم دخل
دمشق وفيها جود القرآن وجدد حفظه وأفرد القراءات ، واشتغل بالنحو والفقه
وغيرهما من العلوم .

أخذ عن أساطين عصره ، كإبن ناصر الدين وإبن حجر ، وبرع ، وتميز ،
وناظر وانتقد حتى على شيوخه .

وصنف تصانيف عديدة . من أجلها المناسبات القرآنية ، وعنوان الزمان
بتراجم الشيوخ والأقران ، وتنبيه النبى بتكفير عمر بن الفارض وإبن عربى ، دخل
بيت المقدس ، ثم القاهرة .

وتوفى بدمشق فى رجب سنة ٨٨٥ عن ست وسبعين سنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

« خطبة الكتاب »

الحمد لله المصلِّ المهاد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تضمن الإسعاد ، يوم يقوم الأشهداد . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قموا أهل العناد ، وحكموا سيوفهم في رقاب أهل الفساد ، فلم يحسر أحد في زمانهم على إلحاد ، بتمثيل ، أو تعطيل ، أو حلول ، أو اتحاد . أبعدنا الله من ذلك أيما إبعاد ، وحمانا منه على مر الدهور والآباد .

وبعد : فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي ^(١) المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق : بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته ^(٢) وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً ، حتى يعلم حاله ، فيهجر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنه إلى الهاوية مأبه ومآله ، امثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد [الخدرى] رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن

(١) هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائى الأندلسى ، وولد بمصر سنة ٥٦٠ ونشأ بها وانتقل إلى أشبيلية ثم ارتحل وطاق البلدان فطرق بلاد الشام والروم والشرق ، ودخل بغداد ، وارتحل إلى مكة ، وكانت وفاته سنة ٦٣٨ هـ

(٢) غمط بقوله هذا حق الإمام ابن تيمية - وهو شيخ شيوخ البقاعى ، وإليه تنتهى الإمامة في نقد التصوف ، والبرهنة العقلية والنقلية على مناكبته للحق من الكتاب والسنة ، وللبدهيات من العقل .

لم يستطع ، فبلسانه ، فإن [لم] يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ^(١) »
وفي رواية [عن عبد الله بن مسعود] : « وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة
من خردل » ، وما أحضر إلى النسخة التي نقلت ماتراه منها إلا شخص من كبار
معتقديه ، وأتباعه ومحبيه .

عقيدة ابن عربي وكيدته للإسلام

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي : أنه لا شيء
سوى هذا العالم ، وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته . ثم إنه
يسعى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ؛ بأن كل أحد على
صراط مستقيم ، وأن الوعيد لا يقع منه شيء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب
المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك !! . وإن حصل لأهله ألم ، فهو لا ينافي
السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يخطط عند من
له وعى على اعتقاد : أنه لا إله أصلاً ، وأنه مأثم ^(٢) إلا أرحام تدفع ، وأرض
تبلع ، وما وراء ذلك شيء .

منهاج الصوفية في السكيد بدعوتهم

وكل ما في كلامه من غير هذا المميع ^(٣) فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليه ،
ولا يلتقى زمام انقياده إليه ، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداءً بعد كل سامع
من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم ، ووقف لهم في أودية اعتقادهم ، ثم استدرجهم
عند المضائق ، واستغواهم في أماكن الاشتباه ، وهو أصنع الناس في التلبيس ،

(١) مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) في الأصل : مأثم .

(٣) الطريق الواضح .

فإنه يذكر أحاديث صحاحا ، ويحرفها على أوجه غريبة ، ومناحٍ عجيبة ، فإذا تدرج معه من أراد الله - والعياذ به - ضلاله ، وصل - ولا بد - إلى مراده من الانحلال من كل شرعة ، والمباعدة لكل ملة . وخواص أهل هذه النحلة يتسترون [٣] بإظهار شعار الإسلام ، وإقامة الصلاة والصيام ، وتمويه الإلحاد بزى التنسك والتشف ، وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف ، فهو بمن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ^(١) » .

وقد أصّل لهم غويهم هذا كما صرح به في الفص النوحى : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ادعوا إلى الله . فهذا عين المسكر . . . إلى آخر كلامه .

وهذا هو السر في تنسكهم . على أنهم قد استغنوا في هذا الزمان عن التنسك ؛ لا تقياد أهله بغير ذلك ، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم - بمن يريد ضلاله - بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم ، كما يظهره الله على يد الدجال ، وأيدى بعض الرهبان ، ليتبين الموقن من المرتاب .

مثالهم في زندقته

وقد ضربوا - لتصحيح زندقته - مثالا مكبروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام ، ولا خالط أنفاس النبوة ، حتى صار يدفع الشبه . حاصل ذلك المثال : أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع ^(٢) ، فتم لهم المسكر ،

(١) من حديث رواه البخارى - واللفظ له - ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٢) قال ابن عربى : « علماء الرسوم يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ،

فيعد النسب . والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم » النواوى ص ٢٤٦

وتبهمهم في ذلك أكثر الرعاع ، ولم يبالوا بنحرق الإجماع ، وذلك المثال : أن ملكاً أقام على بابه سيافاً ، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله ، وقال لغيره : أذنت لك في الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير ، فقد أصاب ، وإن قتله السياف فقد أصاب . وعنوا بالسياف : الشارع . فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم به شيئاً . فإنهم اعترفوا فيه بإباحة دماهم ، وهو قصد أهل الشريعة ، ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع ، فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ودعوته شاملة .

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

ولا حجة لهم في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع أن الخبر يعلم الخضر جاء من الله تعالى ^(١) إلى موسى عليه

(١) يقول ابن تيمية « ولا حجة فيها - أى في قصة الخضر - لوجهين .

أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان يجب على الخضر اتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، ولهذا قال الخضر لموسى : إنك على علم من علم الله علمك الله إياه ، وأنا على علم من الله علمني لا تعلمه أنت . ومحمد رسول الله إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبادئه ظاهراً وباطناً ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ، ولا في الأعمال . وليس لأحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى . وأما موسى فلم يكن مبعوثاً إلى الخضر .

الثاني : إن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة . بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال . فإن خرق السفينة مضمونه : أن المال المعصوم يجوز للإنسان أن يحفظه لصاحبه بإتلاف بعضه ، فإن ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها : جواز قتل الصبي الصائل =

السلام ، فأين هي من دعاويهم^(١) ؟ ! ولا شبهة عليها ، فضلا عن دليل ، بل هي مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع ، انقطعت عنقه ، ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات (٨٨ : ٢ - ٤ وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية) الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فإنها شيطانية . قال الله تعالى : (٤٣ : ٣٦) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا ، فهو له قرين (٦ : ١٢١) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ؛ ليجادلوكم ، وإن أطمعهم ، إنكم لمشركون) .

القول في صرف الكلام عن ظاهره

وسميت هذه الأوراق : تنبيه النبی على تكفير ابن عربي ، وإن شئت فسمها : النصوص من كفر [٤] الفصوص ، لأنني لم أستشهد على كفره ، وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه ، فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله ، وصرفه عن ظاهره . وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشيء وتمقيبه بما يرفع شيئا ما من معناه ، ولا خلاف عند الشافعية في أنه إن كان مفصولا لا يقبل ، وأما إذا كان موصولا ، ففيه خلاف . ومن صورة ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر ،

ولهذا قال ابن عباس : وأما الثلمان فإن كنت تعلم منهم ماعله الخضر من ذلك الغلام فاقتلهم وإلا فلا . وأما إقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجره مع الحاجة ، إذا كان لذرية قوم صالحين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٧ . وأقول : على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر . فهذا بالنسبة إلى شريعتين ، شريعة الخضر وشريعة موسى . أما الأمر بالنسبة إلى الخضر ، فكان ما فعله هو الظاهر في شريعته ، فلم يخالف ظاهر ما فعل باطن ما به أمر . فليس إذن شحباطن خالف ظاهراً ، أما دعوى الصوفية فتفترى جواز مخالفة الباطن للظاهر في الشريعة الواحدة .

كما لو أقر بيع ، أو هبة ، ثم قال : كان ذلك فاسدا ، فأقررت بظني الصحة ، فإنه لا يُصَدَّق في ذلك .

حكم من ينطق بكلمة ردة

ونقل الشيخ سراج الدين بن الملحق في العمدة على المنهاج ، والزرکشی في التكملة عن إمام الحرمين ، أنه قال في أوائل الإيمان : « قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة ، وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهرا وباطنا » قال الإمام الغزالي^(١) في البسيط بعد حكايته أيضا عن الأصوليين : « لحصول التهاون منه ، وهذا المعنى - يعنى التهاون - لا يتحقق في الطلاق ، فاحتمل قبول التأويل بإطلاقه » . وسيأتى ما يشهد لذلك من نقل شيخ الإسلام الشيخ زين الدين العراقي عن العلامة علاء الدين القونوي مُحَسِّنًا له ، على أن بعض العلماء غلب جانب الحرمة لله ولرسله فمنع التأويل مطلقا . قال القاضي أبو الفضل عياض^(٢) المالكي في كتابه :

(١) لقب الغزالي في التاريخ الذى صنعه الأهواء بالإمام ، وغوى فيه حتى لقب بحجة الإسلام . أما هو في التاريخ الذى يستمد من الحق قصصه وعبره . ويشهد بصدقه كتبه . فليس من هذه الألقاب السحرية فى شيء . بما خلفه فى كتبه من تراث هو أرجاس من الباطنية ، والصوفية ، والفلاسفة ، وفيه ما يناقض أصول الدين الذى لقب هو بأنه حجة وإمامه . يقول ابن تيمية عنه - وقوله عن بينة « ولهذا صنف الكتب المضمون بها على غير أهلها . وهى فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا » ثم يقول عن كتابه المضمون به على غير أهلها « وهو فلسفة محضة . قول المشركين من العرب خير منه ، دع قول اليهود والنصارى » النبوات لابن تيمية ص ٨٢ - ٨١ وقال عنه أخص أصحابه أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي « شيخنا أبو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر » والغزالي نفسه يقر فى كتابه التأويل : بأنه رجل ردى البضاعة فى الحديث !!

(٢) ولد بمدينة سبته سنة ٤٧٦ هـ وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ .

الشفاء ، وهو الذى تلقته الأمة بالقبول ، وتدارسوه فى الارتحال والحلول ^(١) -
فى القسم الرابع منه : « فصل : الوجه الرابع : أن يأتى من الكلام بمجمل ،
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبى صلى الله عليه وسلم ، أو غيره ، أو
يتردد فى المراد به من سلامته من المسكروه ، أو شره ، فهنا متردد النظر ، وحيرة
العبر ، ومظنة اختلاف المجتهدين ، ووقفة استبراء ^(٢) المقلدين ؛ (٨ : ٤٣) ليهلك
من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة) فمنهم من غلب حرمة النبى صلى الله
عليه وسلم ، وحى حى عرضه ، فحسر على القتل ، ومنهم من عظم حرمة الدم ^(٣) »

بيان ماهو من المقالات كفر

وقال فى فصل بيان ماهو من المقالات كفر : « كل مقالة صرحت بنفى
الربوبية ، أو الوحدانية ، أو عبادة أحد غير الله ، أو مع الله ، فهى كفر ،
كقالة الدهرية ^(٤) ، وسائر فرق [أصحاب ^(٥)] الإثنى عشر [من الديبانية ^(٦)]

(١) ليس للشفاء هذه القيمة التى مجده بها البقاعى . قال الحافظ الدهبى عنه :
إنه محشو بالأحاديث الموضوعة ، والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج
إليه قدر النبوة .

(٢) فى الأصل : استبر . والتصويب من الشفاء .

(٣) ص ٢٥٥ ج ٢ الشفاء ط الأستانة سنة ١٢٩٠ هـ

(٤) يقول عنهم الحميري فى كتابه الحور العين ص ١٤٣ : « إنهم القائلون بقدوم
العالم وقدام الدهر ، وتدييره للعالم وتأثيره فيه ، وأنه ما أبلى الدهر من شىء أحدث
شيئاً آخر » ويتحدث الشهرستانى عنهم فى الملل ، فيقول عنهم : « أنكروا الخلق
والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع الهوى ، والدهر المفقى ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن
الحديد (٤٥: ٢٤) وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلا الدهر)
إشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى ، وقصر الحياة والموت على تركيبها
وتحللها ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر » ص ٢٥٩ ج ٢ ط توفيق .

(٥) ما بين هذين [] ساقط من الأصل . وأثبتته قلا عن الشفاء .

(٦) هم أصحاب ديسان القائلون بأصلين : النور والظلام ، فالأول يصنع الخير =

والثانية^(١)، وأشباههم من الصابئين^(٢) والنصارى والجوس^(٣) [والذين أشركوا

= قصداً واختياراً ، والثاني يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، ويزعمون أن سمع النور وبصره وسأثر حواسه شيء واحد . فسمعه هو بصره ، وبصره هو حواسه » انظر ٢٠ ص ٨٩ من الملل والنحل .

(١) أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في عهد سابور بن أردشير . وضع ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين نور وظلمة . الأول مصدر الخير ، والثاني مصدر الشر . ويدعي ماني بأن الظلام امتزج بالنور امتزاجاً كلياً في هذا الوجود ، ولا يمكن أن يفصل النور عن الظلام إلا بعد أن يفنى هذا العالم ، ولهذا حرم الزواج على أتباعه حتى يبديد النوع الإنساني ، فيستطيع النور الخلاص من الظلام ، ولهذا قتله الملك . ودعوة ماني ذات نزعة تشاؤمية سوداء ، شديدة الغلو في الحث على الزهد والحرمان .

(٢) اختلف في شأن الصابئة . فالمسعودي يرى أنهم عبدة الكواكب ، فيقول في المروج — وهو بصدد الحديث عن أحد ملوك الفرس : « وظهر في سنة من ملكه رجل يقال له : بوداسف أحدث مذهب الصابئة ، وقال : إن مجالى الشرف الكامل ، والصالح الشامل . ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع «يعنى السماء» وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات «مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٢ ويقول عنهم الحميري في الحور العين ص ١٤١ » وقال الصابئون : شيئان قديمان : نور وظلام ، فالنور عالم ، والظلام جاهل . وقيل : إن الصابئين قوم يعبدون الملائكة . وقيل : إن الصابئين قوم يخرجون من دين إلى دين » .

ويقول الرازى في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠ : « إنهم قوم يقولون : إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب » ويقول الشهرستاني في الملل والنحل « ذكرنا أن الصبوة في مقابل الخفية . وفي اللغة : صبا الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء «يعنى الصابئة» عن سنن الحق ، وزيغهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم : الصابئة ، وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين » .

ويقول في موضع آخر « ومنهم — أى من الناس — من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ، ولا يقول بالشرعية والإسلام ، وهم الصابئة » وانظر القرطبي ج ١ ص ٣٨٠ ، وابن خلدون ج ١ ص ١١٦ .

(٣) هم الثنويون من الفرس الذين يثبتون أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير =

بعبادة الأوثان ، أو الملائكة ، أو الشياطين ، أو الشمس ، أو النجوم ، أو النار ، أو أحد غير الله ^(١) . ثم قال : « وكذلك من أقر بالوحدانية ، وصحة النبوة ، ونبوة نبينا عليه السلام ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به . ادعى في ذلك المصلحة بزعمه ، أو لم يدعها - فهو كافر بإجماع ، كالمفلسين ، وبعض الباطنية ^(٢) والروافض ^(٣) ، وغلاة المتصوفة ، وأصحاب الإباحة ^(٤) ؛ فإن هؤلاء

= والشر . انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٩ ط صبيح ، والحدود العينية للحميري ص ١٤٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٨٦ .

(١) ص ٢٦٨ ج ٢ الشفاء .

(٢) بل كل الباطنية ، فما من باطنى إلا وهو يبطن بغضاء الله ورسوله ، وأولى الناس بهذا اللقب هم الصوفية .

(٣) يقول الأشعري في كتابه المقالات « وإنما سُموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم » ص ٨٧ . ويقول ابن تيمية « فهذا اللفظ - يعني الرافضة - أول ما ظهر في الإسلام ، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك ، واتبعه الشيعة ، فقتل عن أبي بكر وعمر ، فتولاها وترحم عليهما ، فرفضه قوم . فقال : رفضتموني ، رفضتموني ، فسموا : الرافضة » ص ٢٥ ط مجموعة الرسائل الكبرى . وانظر ص ١٨٤ من الحدود العينية ففيه تفصيل مدار بين الرافضة وبين زيد من محاجة في شأن أبي بكر وعمر .

(٤) هم صنفان . صنف كانوا قبل دولة الإسلام كالزديكية ، وصنف ظهروا في الإسلام . وهم كذلك صنفان . بابكية ، ومازيارية . والأول أتباع الحرّمي الذي ظهر في الجبال بناحية أذربيجان ، وكثروا واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين . وأما المازيارية فهم أتباع مازيار . وكانت لهم ليلة يجتمعون فيها على الخمر والزمر . رجالهم ونساؤهم ، فإذا طفت السرج افترض الرجال النساء .. انتهى مختصراً عن مختصر الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ، وانظر ص ٧٤ من الاعتقادات للرازي وص ٣١ من كشف أسرار الباطنية للحمادي . ولعله لقب عام يصدق على كل طائفة =

زعموا أن بظواهر الشريعة [٥] وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ، ليس منها شيء على مقتضى لفظها ، ومفهوم خطابها ، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة للصالح ، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم^(١) ؛ فَمُضْمَنٌ^(٢) مقالاتهم إبطال الشرائع ، وتعطيل الأوامر والنواهي ، وتكذيب الرسل والارتياح فيما أتوا به . . . وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن [في]^(٣) كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً من الفردة والخنزير والدواب والدود [ويحتاج بقوله تعالى : (٣٥ : ٢٤) وإن من أمة إلا خلا فيها نذير^(٤)] إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس

== تستبيح لنفسها ما حرمه الله سبحانه ، ولعل القراء على ذكر مما نشرته الصحف عن إحدى الطرق الصوفية التي استباح شيخها لنفسه أعراض أتباعه رجالاً ونساء ، مما يؤكدهم أن كل طريقة صوفية : إنما هي امتداد لفرقة سابقة ناهضت الإسلام ، وناذت شرعته .

(١) يقول ابن سينا « أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد ، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة . ثم من المعلوم الواضح ، أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً مقدساً — تمتنع إفساؤه إلى الجمهور . ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء ، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل ، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا ، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية » باختصار عن رسالة الأضحوية لابن سينا من ص ٤٤

وهكذا يدين الفلاسفة ومخانيثهم الصوفية بأن ليس في القرآن ما يهدي النفس إلى التوحيد أو يبين للفكر ما يجب اعتقاده في الله ، وغير هذا من الأمور التي هي قوام الدين وملاكه . يدينون بهذا الإلحاد ، ويقررونه في كتبهم في جرأة بالغة السفه والقحة والجحود بآيات الله التي تقرر في جلاء وإشراق ما يوجب به الفلاسفة .

(٢) في الأصل : فمضمون ، وهي كما أثبتتها في الشفاء .

(٣) ساقطة من الأصل . وأثبتها عن الشفاء .

(٤) القائلون بهذا هم الحائطية أنباع أحمد بن حنبل ، أحد أصحاب النظام == .

بصفاتهم المذمومة ، وفيه من الإلزاء على هذا المنصب المنيف ما فيه ، مع إجماع المسلمين على خلافه ، وتكذيب قائله^(١) » انتهى

قلت : فكيف يتم يدعى أن الإله عين كل شيء من ذلك^(٢) ؟ !
« وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب ، أو خص^(٣)
حديثاً مجمعا على نقله ، مقطوعاً به ، مجمعاً على حمله على ظاهره ، كتكفير الخوارج
بإبطال الرجم ؛ ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ، أو توقف فيهم
أوشك ، أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده ، واعتقد إبطال
كل مذهب سواه ، فهو كافر بإظهاره^(٤) » ما أظهر من خلاف^(٥) ذلك » . انتهى
قلت : فكيف بمن يقول : إن جميع الخلق من أهل الملل وغيرها على
صراط مستقيم^(٦) ، وأن فرعون مات طاهراً مطهراً^(٧) بعد النص القطعي على أنه

= أنظر ص ٢٠ من كتاب الفرق الإسلامية للأستاذ محمود الشببشي . وما بين
هذين [] أثبتته عن الشفاء .

(١) ص ٢٩٦ ، ٢٧٠ ج ٢ من الشفاء .

(٢) أى من القردة والخنزير والدواب والدود التي كفر القاضى عياض من
يزعم النبوة لشيء منها . وافترأ أن الإله عين كل شيء من هذه وغيرها ، هو دين
ابن عربي وأحلاس زندقته . لإيمانه بوحدة الوجود .

(٣) كذا بالأصل . وبصلب الشفاء أيضاً ، ولكن على هامش الشفاء ط الآستانة
تصويب هو « أو نص حديث مجمع على نقله مقطوع به ، مجمع على حمله على ظاهره »
وهو هكذا في الشفاء . ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى . وهذا هو الصواب .
بدليل ما كفر به الخوارج ، وهو إبطالهم للرجم ، والرجم إنما نصت عليه السنة
لا القرآن فتكون العلة في تكفير القاضى لهم هى مخالفتهم لنص حديث .

(٤) فى الأصل : وما . والتصويب من الشفاء .

(٥) ص ٥١٠ ج ٤ ط المطبعة الأزهرية بشرح القارى .

(٦) هذا دين ابن عربي لإيمانه بوحدة الأديان .

(٧) سيأتى النص بلفظه .

من أهل النار؛ بقوله تعالى: (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لعالٍ في الأرض ، وإنه لمن المسرفين) وقوله تعالى: (٤ : ٤٣ وأن المسرفين هم أصحاب النار) !!
وقال: ^(١) «إن كل عابد شيئاً فهو عابد لله ، وحرّف ما أخبر به عن عذاب قوم نوح وهود ، ونحوهم بما سيأتي من أن ما حلّ بهم أعقبهم راحة وعذوبة ، وأن الله تعالى كان ناصرهم على أنبيائه ، فإن العداوة ما كانت إلا بينهم وبينهم ؟!»
قال ^(٢) : « وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب ، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع » ^(٣) ثم قال : « وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية ، وقاضى قضائهما أبو عمرو المالكي على قتل الحلاج » ^(٤) وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول بالحلول ، وقوله : أنا الحق ، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ، ولم يقبلوا توبته ، وكذلك حكموا في ابن أبي العرافيد ^(٥)

(١) أي ابن عربي .

(٢) أي القاضى عياض .

(٣) ص ٢٧٢ ج ٢ الشفاء ط الآستانة .

(٤) هو الحسين بن منصور ولد سنة ٢٤٤ هـ وهلك مصلوباً سنة ٣٠٩ . وفى عصره تم انتقال التصوف من جانبه العملى إلى جانبه النظرى . فبدأ الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله ، وعن حقيقة العلاقة التى تربط الإنسان بالله : وقد آمن الحلاج بثنائية الطبيعة الإلهية باللاهوت والناسوت ، وآمن بحلول اللاهوت فى الناسوت . والحلاج فى هذا متأثر بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على طبيعته المسيح . يقول فى الطواشين ص ١٣٤ :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتنى ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول فى ص ٥١ « أنا الحق ، وصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون » .

(٥) هو محمد بن طى أبو جعفر الشلمغاني . كان يعتقد أنه إله الآلهة ، وأن الله سبحانه يحل فى كل شيء على قدر ما يحتمل ، وأنه قد حل فى آدم ، وفى إبليس ، وأن الله تعالى إذا حل فى جسد أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو الله =

وكان على [نحو] ^(١) مذهب الخلاص - بعد هذا أيام الرازي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي ^(٢) » انتهى .

قلت : فكيف عن يقول صريحاً : إن الخلق هو الحق ^(٣) ، والحق هو الخلق . والحق هو الإنسان الكبير ، وهو حقيقة العالم وهو يته ؟ !

وقال شيخ الإسلام الشيخ محي الدين النووي الشافعي في كتاب الردة الروضة ^(٤) مختصر الرافعي . قال المتولي : « من اعتقد قدم العالم ، أو حدوث [٦] الصانع - إلى أن قال - أو أثبت له الانفصال ، أو الاتصال ، كان كافراً ^(٥) » انتهى .

= له كتاب اسمه الحاسة السادسة ، صرح فيه برفض الشريعة وإباحة اللواط . وزعم أنه إيلاج نور الفاضل في المفضول ، ولذا أباح أتباعه نساءهم له ، طمعاً في إيلاج نوره فيهن . وكان يسمى محمداً وموسى بالخائنين ، زعماً منه أن هرون أرسل موسى ، وأن علياً أرسل محمداً فخاناها . صلب في خلافة الرازي سنة ٣٢٢ انظر الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٤١ ، والشذرات ج ٢ ص ٢٩٣ ، ومختصر الفرق ص ١٦٠

(١) ساقطة من الأصل . وأثبتها عن الشفاء .

(٢) ص ٢٨٢ ج ٢ الشفاء .

(٣) يعني الصوفية بالحق : الله تبارك وتعالى .

(٤) لعله سقط حرف « من » قبل لفظ الروضة .

(٥) في التصريح بنفي الانفصال والانفصال معاً في آن واحد ، وعن ذات واحدة خلل منطقي . فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب . فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر . وفيهما أيضاً إجمال واشتباه ، فقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه ، ليس كمثل شيء . وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله ، ووحدته توحيداً صادقاً في ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هي في القرآن والسنة .

وقد يعنى بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير ، أو علم منه سبحانه ، أعني نفي كونه خالقاً علماً يدبر الأمر ، أو أنه سبحانه ليس لإرادته ، أو قدرته أثر في مقادير الوجود ، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة ، ومرادهم منه =

قلت فكيف بمن يصرح بأنه^(١) عين كل شيء؟! قال: « والرضى بالكفر كفر ». قلت: فكيف بمن يُصوّب كل كفر، وينسب ذلك التصويب إلى نقل الله تعالى له عن نبيه هود عليه السلام؟ ويقول: إن الضلال أهدي من الهدى؛ لأن الضال حائر، والحائر دائر

= نفى الخالق القادر المريد المختار. وهذا كفر يمحّد بالربوبية والإلهية.

وكذلك الاتصال: فقد يراد به أنه سبحانه يدبر الكون، ويصرف الليل والنهار، ويسخر الشمس والقمر، ويحيط علمه بكل شيء كلياً كان أو جزئياً، وتشمل قدرته كل شيء، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية. وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به. وقد يعنى به مفهومه الصوفى، أى أنه سبحانه حال فى كل شيء، أو متحد بكل شيء، أو أنه عين كل شيء، أو أنه هو الوجود السارى فى كل موجود، ومن يدين بهذا فهو زنديق، أو مجوسى، أو بتعبير أدق: صوفى. فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق، والتوحيد الحق. لذا يجب على كل من يخبر عن الله أو صفاته أو أسمائه أن يلتزم حدود ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر الرسول به عن ربه، وإلا ترندق، أو تمجس كالصوفية، وألحد كالفلاسفة، وضل كالمستكلمين ألم تر إلينا نحن البشر كيف نغيب فلانا بأنه لم يكن دقيق التعبير عن المذهب الفلسفى أو الأخلاقى، أو الفنى لفلان، أو لم يكن مهذباً فيما تحدث به عن فلان، أو خاطب به فلانا، بل قد نذهب فى مذمته كل مذهب، حتى نهجم بالعى والفهاة والسفه، فكيف - والله المثل الأعلى - نطلق للقلم العنان فيما يكتب عن الله، مما يصوره له الأفن والوهم عن ذات الله وصفاته؟ وكيف نستبيح - سادرين - الإخبار عن الله سبحانه بما لا يجب، وما لا يرضى، وما لم يخبر به عن نفسه. ونصف هذه الجراءة الكافرة بأنها حرية فكرية أو تجاوب مع العقل، أو استيحاء من الذوق! ولقد كان من نتائج هذه الحرية المزعومة - والحق أنها عبودية للوهم وللشيطان - أن آمن بعض الناس برب لا يوصف إلا بالسلب، أى بالعدم نعتوه رباً. أو برب هو عين العبد، أو بالله يجب أن يعبد فى كل شيء، لأنه عين كل شيء. فلتعبد العبودية ربوبية الله، بما يجب سبحانه وحده أن تعبد به.

(١) أى الله سبحانه.

حول القطب^(١) والمهتدى سالك في طريق مستطيل ، فهو بعيد عن القطب ؟ !
وسترى ذلك كله في عباراته^(٢) صريحا .

ثم نقل الشيخ محي الدين النووى عن الحنفية - مرتضيا له - قائلا : « إن إطلاق أصحابنا يقتضى الموافقة عليه . أنه إذا سخر بوعده الله تعالى ، أو بوعيده ككفر . ولو قال : لا أخاف القيامة - كفر » انتهى .

قلت : فكيف بمن يقول : إنه ليس لوعيد الله عينٌ تعين ، وأن الآخرة موضع السعادة لكل أحد ، والمعذب مُنعمٌ بعذابه ؟ !

ثم نقل الشيخ عن القاضى عياض - مرتضيا له - : « أن من لم يكفر من دان بغير الإسلام ، كالنصارى ، أو شك في تكفيرهم ، أو صحح^(٣) مذهبهم ، فهو كافر ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام ، واعتقده - قال : وكذا نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة ، أو تكفير الصحابة^(٤) .. »

ثم قال^(٥) في الباب الثانى في أحكام الردة : « إن حكما إهدار دم المرتد ، فيجب قتله إن لم يتب ، سواء كان الكفر الذى ارتد إليه كفرا ظاهرا ، أو غيره ككفر الباطنية » انتهى .

(١) القطب عند الصوفية عبارة عن « الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، أعطاء الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل » . وستعرف مما سندكره عن خصائص القطب أن ابن عربى يريد بالقطب هنا الله سبحانه وهو فى زعمه متعين فى سورة الحقيقة المحمدية

(٢) أى عبارة ابن عربى . فكل ما يذكره المؤلف دائما بعد قوله : قلت فكيف بمن يقول . . . هو من دين ابن عربى .

(٣) فى الأصل : صح .

(٤) انظر ص ٢٧١ ج ٢ من الشفاء .

(٥) أى النووى .

وقال الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقرئ في مختصر الروضة : « فن اعتقد قدم العالم — إلى أن قال — أو شك في تكفير اليهود والنصارى ، وطائفة ابن عربى — كَفَر ، لا إن جعل لقرب إسلامه أو بعده عن المسلمين » ^(١) . انتهى

الباطنية ^(٢)

قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل : « وإنما لزمهم — يعنى الباطنية — هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم [قوم] ^(٣) فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة ^(٤) والمزدكية ، وبخراسان : التعليمية والملاحدة ، وهم يقولون : نحن إسماعيلية ^(٥) ، لأننا نُصَيِّر عن فرق الشيعة بهذا الاسم ، وهذا

(١) كذا بالأصل . وفي الكلام اضطراب . فليحذر

(٢) يقول أبو المظفر الاسفراينى فى التبصير ص ٨٤ : « إن الدين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم ، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين »

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الملل والنحل

(٤) طائفة سياسية دينية اتخذت الدعوة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة إلى تحقيق أغراضها السياسية والدينية ، هى قلب الدولة الإسلامية ، وبعث المجوسية الفارسية ، وقد عرفت بهذا نسبة إلى حمدان بن الأشعث العروف بقرمط ، وكان فى أول أمره أكارا من أكره سواد الكوفة ، وقد ظهر بدعوته لللعونة أيام المأمون ، وقد نجحت هذه الفرقة فى إقامة دولة لها فى بلاد البحرين ، وجعلت الأحساء عاصمة لدولة القرامطة

(٥) فرقة من الشيعة الإمامية ، تزعم أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق — وهو الإمام السادس للشيعة — إلى ولده إسماعيل . ومنهم الفاطميون . وهم الآن فريقان : البهرة السليمانية أتباع أغا خان وعم فى الهند وبنجار والشام ، يرون فى زعيمهم إلها مقدسا يصير كل مأمسه مقدسا . ومبادل هذا الإله وتهتكاته مشهورة =
٣ — مصرع التصوف

الشخص - يعنى إسماعيل بن جعفر - ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج ، فقالوا فى البارئ تعالى : إنا لا نقول : هو موجود ، ولا : لا موجود ، ولا عالم ، ولا جاهل ، ولا قادر ، ولا عاجز وكذلك فى جميع الصفات ، فإن الإثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقناها عليه ، وذلك تشبيهه ، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق ، والنفى المطلق ، بل هو إله المتقابلين ، وخالق الخصمين ، والحاكم بين المتضادين^(١) ، ونقلوا فى هذا نصا عن محمد بن على الباقر [٧] أنه قال : لما وهب العلم للعالمين قيل : هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل : هو قادر ؛ فهو عالم قادر ؛ بمعنى أنه وهب العلم والقدرة ، لا بمعنى أنه قائم به العلم والقدرة ، أو وُصِفَ بالعلم والقدرة ، فقيل [فيهم]^(٢) إنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن

== معروفة لرواد مواخير فرنسا ، وغيرها ، وأندية القمار . وأثاوتة المفروضة على أتباعه تجعل منه قارون العصر الحديث . والفريق الثانى : هم البهرة الداودية . وهم أتباع طاهر سيف الدين ، وينتشرون فى بومباى وكراشى وجبل حراز باليمن ، وبعض جهات زنجبار . ولطاهر عليهم الكلمة النافذة التى لا ترد ولا تناقض ، وكيف ، وهو الإمام المعصوم ؟ ! هذا وقد نشط دعاة الإسماعيلية فى السنين الأخيرة نشاطا عجيبا غربيا فى مصر ، من مظاهره اتصال زعمائهم بشيوخ الأزهر ، ونشر بعض أساتذة الجامعة بعض مخطوطاتهم التى كانوا أشد ما يكونون حرصا على إخفائها ، ولا يخالفنا شك فى أن غاية الناشر هى خدمة الحقيقة ، ونحن نرحب بهذا النشر حتى يكون المسلمون على بينة من أمر هذه الطوائف التى تعمل جاهدة فى سبيل أن تكون المجوسية دينا ودولة .

(١) قال الحميرى فى الحور ص ١٤٨ : « وقالت الإسماعيلية : إن الله لا شئ ، ولا : لا شئ لأن من قال إنه شئ فقد شبهه ، ومن قال إنه لا شئ فقد نفاه . فقالوا فيه بالنفى والإثبات جميعا » اقرأ كتاب راحة العقل للكرمانى فيه تفصيل مذهبهم

(٢) أثبتنا نقلا عن الملل والنحل

جميع الصفات . قالوا : وكذلك نقول في القدم : إنه ليس بقديم ، ولا محدث ، بل القديم أمره وكلمته ، والمحدث خلقه وفطرته^(١) انتهى .
وقول ابن عربي في الجمع بين التشبيه والتنزيه أشنع من هذا ، وأبشع ، وأقبح وأفظع .

من هو الزنديق ؟

قال الشيخ محيي الدين النووي : « وسواء كان ظاهر الكفر ، أو زنديقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر » كذا فسر الزنديق في باب الردة في كتاب الفرائض وضعفه الأئمة . قال ابن الملقن في الممعة ، وقال في كتاب اللعان في الكلام على التخليط : « إنه الذي لا ينتحل ديناً - قال : وهذا أقرب ؛ لأن الأول هو^(٢) المنافق ، وقد غايروا بينه وبين الزنديق . قال : وقال الغزالي في الأصول : الزنديق ضربان . زنديق مطلق . وهو الذي ينكر أصل المعاد حساً وعقلاً ، وينكر الصانع . وزنديق مقيد ، وهو الذي يثبت المعاد بنوع عقل ، مع نفي الآلام والذات الحسية الجسمية ، وإثبات الصانع مع نفي علمه ، فهذه زندقة مقيدة بنوع اعتراف بتصديق الأنبياء » . انتهى .

وسياً في آخر هذا الكتاب عن العلامة علاء الدين البخاري^(٣) تحقيق معنى الزنديق ، وغيره من أسماء الكفرة .

(١) ص ٣٦٦ ج ١ الملل والنحل ط توفيق

(٢) أى من قال عنه النووي قبل أنه الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد علاء الدين البخاري العجمي الحنفي ولد سنة ٧٧٩ هـ ، ونشأ ببخارى . ثم استقر به النوى في مصر ، وفيها علاقه ، وعظم عند أهلها جاهه ، وقد مات بالشام سنة ٨٤١ . والبخاري صوفي كبير كانت له الكلمة النافذة في عصره ، وإن كان هو ممن كفر ابن الفارض وابن عربي ، وتلك ظاهرة تقف بالنظر عندها ليستبطنها ، ويستخرج من أعماقها العبر ، فكبار =

على أن قتل المعتقد لمثل هذا لا بد منه ، ولو توقفنا في تسميته . قال القاضي عياض : « وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعنه من قولهم في القدرية : يستتابون ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا ^(١) » وقال عيسى عن أبي القسم في أهل الأهواء من الأباضية ^(٢) والقدرية وشبههم بمن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى : يستتابون ^(٣) أظهروا ذلك أو أسروه ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، وميراثهم لورثتهم . وقال مثله ابن القسم في كتاب محمد في أهل القدر .. وقد انتهى بنا المقال الدال على كفر من اعتقد ما قاله من الضلال ، وهذا حين الشروع في سوق كلامه الموضح لفساد طويته ، وقبح مرامه .

= الصوفية من المشرق والمغرب كانوا يفتدون إلى مصر ، فتكسوم الأوهام طيالس الدهاقين ، وتصنع لهم التهاويل صور القديسين ، كالبخاري والشاذلي والبدوي وغيرهم فلم كانوا يفتدون إلى مصر بالذات ، ولم كانوا يجحدون حتى يستذلوا القلوب بهوهم ؟ والملاحظ أن أكثر هؤلاء الصوفية وفدوا إلى مصر بعد طرد الفاطميين منها . والمشهد الذي يلسمه اليقين بالحقيقة أن عقائد كثير من المسلمين في مصر تأثرت بدعوة هؤلاء الصوفية ، حتى صارت ذات رحم ماسة بالجوسية الفاطمية . قد تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا ربطت بين القدماء والتأريج ، وإذا كنت على بينة من أن التصوف العملي يدين بعبادة مشاهد آل البيت ، سواء أ كانت صحيحة النسبة إليهم أم زائفتها ، وإذا كنت على بينة أيضا من أن التصوف النظري يشابه عقيدة الفاطميين ، ويشاكلها في التلبس والتأويل ، والمصدر والوسيلة والغاية . بل أقول : إنه هي في الظاهر والباطن والأهداف . تستطيع الإجابة عن تلك الأسئلة إذا تبينت كل هذا ، بل ستدرك الجواب الصحيح ، وبخاصة إذا قارنت بين ما ترتب من نتائج دينية وسياسية واجتماعية على الدعوة الفاطمية ، وبين ما ترتب — وما زال — على الصوفية . قارن وتأمل وتجرد ، تجد النتائج واحدة ، تجد الجواب يدفعك دفعا إلى إدراكه ، وهو أن الصوفية دعاة الفاطمية

(١) ص ٢٦١ ج ٢ الشفاء

(٢) إحدى فرق الخوارج أتباع عبد الله بن أباض ، اختلفوا فرقا كثيرة يجمعها القول بأكفار مخالفهم من هذه الأمة ولا يزال منهم بقايا في عصرنا بطرابلس وزنجبار انظر ص ٦١ من الفرق بين الفرق للبغدادى

إفك وبهتان

وأعظم الأمر أنه نسب كفره إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماحي لجميع الإشراك ، المخلص لتبعيه من حبائل سائر الأشرار ، فقال في الخطبة^(١) :
 « أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُبَشِّرَةٍ [أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستائة بمحروسة دمشق^(٢)] وبيده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم . خذه ، واخرج به إلى الناس [ينتفعون به] ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأولى الأمر منا [كما أمرنا] فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والمهمة إلى إبراز^(٣) هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] من غير زيادة ولا نقصان^(٤) .
 فن الله ، فاسمعوا ... وإلى الله^(٥) فارجعوا ... انتهى

دفع ما افتراه على الرسول

ولا شك أن النوم والرؤيا في حد ذاتهما في حيز الممكن ، لكن ما أصَّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك محالا ، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو الله ، فإذا الكل هو الله ، لا غير ، فلا نبي ولا رسول ، ولا مرسل ، ولا مرسل إليه ، فلا خفاء في امتناع النوم على الواجب ، وفي امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبي بشيء في المنام ، فمن هنا يعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله . نبه على ذلك الإمام علاء الدين البخاري في كتابه « فاضحة الملحدين ، وناصحة الموحدين » .

(١) أي خطبة كتاب الفصوص لابن عربي

(٢) ما بين هذين [] ساقط من الأصل أو مختصر وأثبتته عن فصوص الحكم

(٣) في الأصل : إيراد . وهي كما أثبتتها في الفصوص

(٤) اختصر المؤلف بعدها مقدار سبعة أسطر من مطبوعة الحلبي ، ولو كان فيها

ما يدفع عن الصوفية شبهة لأثبتها ، حتى لا يتهم المؤلف بغير الأمانة في النقل

(٥) في الأصل : وإليه . والتصويب من الفصوص

إيمانه بأن الله إنسان كبير

ثم قال ابن عربى فى فص حكمة إلهية فى كلمة آدمية : « لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى [التى لا يبلغها الإحصاء] أن يرى ^(١) أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه فى كون جامع يحصر الأمر [كله] ، لكونه متصفا بالوجود ، ويظهر به سره إليه ، فإن رؤية الشيء [بنفسه] بنفسه ما هى مثل رؤية نفسه فى أمر آخر يكون له كالمرآة ^(٢) » .

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرأة ، وروح تلك الصورة ، وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التى هى صورة العالم المبرّ عنه فى اصطلاح القوم : بالإنسان الكبير ^(٣) » .

ثم قال : « فسمى هذا المذكور : إنسانا وخليفة فأما إنسانيته ؛ فلمعوم

(١) فى الأصل : ترى . وابن عربى يجعل العلة الغائية من الوجود هى تعين الله — سبحانه — فى صورة آدم . والله يقول : (٥١ : ٥٦ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . والصوفية يدينون رب كان وجودا مطلقا ، بل وجودا منزها حتى عن الإطلاق . لا يوصف بوصف ، ولا يسمى باسم ، ولا يعرف بمحد ولا برسم . ويطلقون عليه فى هذه المرتبة « العماء » ويسمون هذه المرتبة : الأحدية ، ويريدون بالعماء أنه سبحانه فى مرتبته هذه كان لا يعرف نفسه ، ولا يراها ، ولا يدرك هو من هو . ولا يعرفه أحد ، إذ ما ثم غير حتى يعرف ويرى ، ثم اشتاق أن يعرف نفسه وأن يرى ذاته ، فتعين فى صورة الحقيقة المحمدية ، ثم راحت الذات تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ، حتى صار المطلق مقيدا ، أو معينا ، وصارت الوحدة كثرة . بيد أنها كثرة وهمية ، فما من شيء إلا وهو عين الذات هوية وماهية وصفة ، أو ما من شيء إلا وهو اسم إلهى تعين فى مادة . والحق عند الصوفية لا يرى مجردا عن المواد أبدا ولهذا يقولون : الخلق معقول ، والحق محسوس ١١١

(٢) ص ٤٨ فصوص

(٣) ص ٤٩ فصوص

نشأته ، وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذى به يكون النظر ، وهو المعبر عنه بالبصر ؛ فلهذا سمي إنسانا ، فإنه به ينظر ^(١) الحق إلى خلقه ، فيرحمهم ^(٢) ، فهو الإنسان الحادث الأزلى ، والنشء الدائم الأبدى ^(٣) .

ثم قال : « ولا شك أن الحادث قد ثبت حدوثه ، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفه ، ماعدا الوجوب ^(٤) الذاتى ، فإن ذلك لا يصح فى الحادث ، وإن كان واجب الوجود ، ولكن وجوبه بغيره ، لا بنفسه ^(٥) » . ثم قال : « فوصف نفسه لنا بنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شهدنا شهد نفسه ، ولا شك أنا كثيرون بالشخص والنوع ، وأنا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمنا - فنعلم قطعاً أن ثم فارقا به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ، ولولا ذلك ما كانت الكثرة فى الواحد ^(٦) » .

آدم عند الصوفية

ثم قال : فاجمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس :

(١ ، ٢) فى الأصل : نظر - رحمهم

(٣) ص ٤٨ — ٤٩ فصوص . وفى هذا النص يذكر ابن عربى رأيه فى الإنسان ، فيقرر أنه لاهوت وناسوت ، أو هو الله سبحانه تعين فى مادة . ولذا يجمع الإنسان بين صفات الأضداد — تماما كالذات الإلهية عندهم — فهو حق أزلى أبدي ، قديم سرمدى باعتبار لاهوتيته . وهو خلق حادث فان متجدد الصور ، يتحول ، ويجرى فى تيار الصيرورة باعتبار ناسوتيته . أى باعتباره مادة ، أو باعتبار صورته البدنية العنصرية . ولذا فالإنسان عندهم : حق خلق

(٤) فى الأصل : الوجود . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٣ فصوص .

(٦) ص ٥٣ فصوص .

(٣٨ : ٣٥ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ) وما هو إلا عين جمعه^(١) [الصورتين] صورة العالم وصورة الحق [وهما يدا الحق^(٢)] «

ثم قال : فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل ، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره ، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ؛ ولذلك قال فيه : كنت سمعه و بصره . ما قال كنت عينه وأذنه^(٣)

زعمه أن الحق مفقّر إلى الخلق

ثم قال : « ولولا^(٤) نريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان [٩] للعالم وجود ، كما أنه لولا تلك الحقائق المعقولة السكلية ، ما ظهر حكم في الموجودات العينية ، ومن هذه الحقيقة كان الافتقار من العالم إلى الحق في وجوده — شعر . فالكل مفقّر ، ما السكل مستغنى

هذا هو الحق قد قلناه ، لا نكفي^(٥)

(١) في الأصل : جمعت . والتصويب من الفصوص .

(٢) ص ٥ فصوص ، وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص

(٣) ص ٥٥ فصوص ، وسيأتي الرد على ما افتراه ابن عربي مستدلاً في زعمه بهذا الحديث .

(٤) في الأصل : ولو . والتصويب من الفصوص .

(٥) ص ٥٨-٥٩ فصوص : وابن عربي يعنى « بالسكل » الله والعالم ، وكلاهما عنده مفقّر إلى الآخر إذ يدين بأنهما وجهان لحقيقة واحدة . ويفسر افتقار الخلق إلى الحق باحتياج الخلق إلى سريان الحق فيه ، لينقل من الثبوت — وكل شيء عند الزنديق ثابت قبل وجوده — إلى الوجود ..

ثم إن الخلق عند ابن عربي ليس إلا أسماء الحق تعينت في صور بدنية عنصرية ، ولذا لا يضاف الوجود إلى الخلق حقيقة . بل مجازاً . فوجوده حقيقة عين وجود الحق . فإذا تحدث الصوفي عن عجل السامري مثلاً قال عنه : إنه اسم من أسماء الله سبحانه تعين في صورة العجل . أو هو الحق تبارك وتعالى مسمى عجلاً !! =

التنزيه والتشبيه^(١)

ثم قال في فص حكمه سُبُوحِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ نُوحِيَّةٍ : « اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجنب الإلهي عين التحديد والتقييد ، فالْمُنْزَه إما جاهل ، وإما صاحب سوء أدب ، ولسكن إذا أطلقاه^(٢) ، وقالوا به . فالقائل بالشرائع للمؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ، ولم ير غير ذلك ، فقد أساء الأدب ، وأكذب الحق والرسول وهو لا يشعر ، ويتخيل أنه في الحاصل ، وهو في الغائت ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ، ولا سيما وقد علم أن أَلْسِنَةَ الشرائع الإلهية ، إذا نطقت في الحق تعالى بما نطقت به ، إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول ، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان .

= وهذا تفسير آخر لافتقار الخلق إلى الحق عند الصوفية . أما افتقار الحق إلى الخلق ، فيفسره ابن عربي بأنه احتياجه إلى تعين أسمائه وصفاته ، بل ماهيته في صور خلقية . فلولا المادة عند ابن عربي ماظهر للحق وجود ، ولا تعينت له ذات ، ولذا وضع الصوفية الحديث المقتضى : « كنت كنزا مخفياً ، فخلقت الخلق فبي عرفوني » وما زلت أذكر ذلك الشيخ الذي راح يشرح لنا هذا الحديث وأنا بمعهد طنطا ، فكان مما قاله أن المراد بـ « في » محمد ١١ وكان دليله على خرافته أن العدد الناتج من حروف « في » يساوي العدد الناتج من حروف « محمد » فكلاهما على طريقة حساب الجمل : أبجد هوز الح = ٩٢ ١١

وكم صفقنا وانتشينا . ويذهب الطالب الصغير إلى قريته ويحدث الناس بهذا ، فيطربون للصبي الصغير إذ جاءهم بعلم لدني رباني ١١

(١) يريد ابن عربي بالتنزيه الإطلاق ، وبالتشبيه التقييد ، وإله الصوفية مشبه إذا نظرت إليه من حيث تعيناته في صور خلقية . وهو منزّه إذا نظرت إليه من حيث كونه وجوداً مطلقاً والعارف الحق عندهم من يؤمن برب كان مطلقاً ، ثم تعين فصار مقيداً ، أي خلقاً . أما من يؤمن بأن الله غير خلقه ، فهو ضال مشرك ، إذ يؤمن بغير ما من الأغيار .

(٢) في الأصل : أطلقناه .

بم يعرف الله عند الصوفية ؟

فإن الحق في كل خلق ظهوراً ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته^(١) ، وهو الإسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر ، فهو الباطن . فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة ، فيؤخذ في حد الإنسان مثلاً باطنه وظاهره ، وكذلك كل محدود . فالحق محدود بكل حد^(٢) ، وصور العالم لا تنضبط ، ولا يحاط^(٣) بها ، ولا تعلم حدود^(٤) كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته^(٥) ، فلذلك يُجهَل حَدُّ الحق ، فإنه لا يعلم حَدُّه إلا بعلم حَدِّ كل صورة . وهذا محالٌ حصوله ، فحد الحق محال ، وكذلك من شبهه ، وما نَزَّهه ، فقد قيَّده وحدَّه ، وما عرفه ، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ، ووصفه بالوصفين

(١) الهوية عند الصوفية هي كما عرفها الجيلي في الإنسان الكامل ص ٦٧ ج ١ « هوية الحق غيبه الذي لا يمكن ظهوره ، لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات » . والجرجاني في التعريفات « هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق » . والعالم عند الصوفية ظاهر الله وباطنه ، أو صورته وحقيقته .

(٢) الحد هو أكل أنواع التعريف ، ولما كان كل شيء هو الله عند الصوفية كان حد كل شيء هو في الحقيقة حداً لله سبحانه ، فإذا أراد الصوفي وضع تعريف لله سبحانه أخذ في حده حد كل موجود ، إذ الكل تعيينات الذات ، ولما كانت هذه التعينات لا تنتهي ، ولا يمكن أن يحاط بها ، امتنع تبعاً لهذا تنهاى الحدود التي يمكن حد الله سبحانه بها ، وامتنعت الإحاطة بهذه الحدود . وسيأتي بعد زيادة بيان عما يريده الصوفية بهذه الزندقة .

(٣) في الأصل : يحاد . والتصويب من الفصوص .

(٤) في الأصل : يعلم حد .

(٥) في الأصل : صورة .

على الإجمال - لأنه يستحيل ذلك على التفصيل ، لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور - فقد عرفه [مُجَمَّلاً^(١)] ، لا على التفصيل ، كما عرف نفسه مجملاً ، لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس ، فقال : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه^(٢) » وقال الله تعالى (٤١ : ٥٣) سنريهم آياتنا في الآفاق) وهو ما خرج عنك (وفي أنفسهم) وهو عينك (حتى يتبين لهم) ، أى للنظر (أنه الحق^(٣)) أى من حيث أنك صورته ، وهو روحك ، فأنت له كالصورة الجسمية لك ، وهو لك كالروح المَدَبَّر لصورة جسدك ، والحد يشمل الظاهر والباطن منك ، فإن الصورة الباقية إذا زال عنها الروح المَدَبَّر لها ، لم تبقى إنساناً ، ولكن يقال فيها : إنها صورة تشبه صورة الإنسان ، فلا فرق بينها وبين صورة من خشب أو حجارة ، ولا ينطلق عليها اسم إنسان إلا بالحجاز ، لا بالحقيقة وصور العالم لا يمكن زوال [١٠] الحق عنها أصلاً ، لحد الألوهية له^(٤) بالحقيقة ،

(١) أثبتتها عن الفصوص .

(٢) ليس بحديث . قال النووي : ليس بثابت ، وابن تيمية : موضوع . ويريد الصوفية به أن من عرف نفسه ، عرف أنه هو الله .

(٣) تأمل كيف يفسر آى الله ، ويضع للحق معنى الباطل ، وللإيمان مدلول الكفر . وحق ما يقول جولدزهر « إذا حملت العبارات الدينية المعانى التصوفية ، وفسرت تلك بهذه ، تكون دلالة تلك العبارات على هذه المعانى أشبه بدلالة الرموز على ما جعلت رمزاً له ، وبعبارة أخرى تكون دلالتها عليها على غير العرف العام للغة ، وعلى غير الجارى فى إطلاق ألفاظها على معانيها ، وفهم هذه من تلك ، ولكنهم فى سبيل غايتهم لا يحفلون برعاية هذا العرف العام للغة ، وربما على العكس يتجاوزونه قصداً » انظر ج ٢ من الجانب الإلهى لأستاذنا الدكتور محمد البهى .

(٤) الضمير فى «له» يعود على العالم . والحد كما سبق آثم أنواع التعريف ، ولما كان ابن عربى يدين بأن الحق عين كل شيء ، فإنه يزعم هنا أنه يجب تعريف كل شيء بأنه إله ، أو بما نعرف به الله سبحانه ، فإذا سئل الصوفى عن خنزير أو صنم ما هو ؟ عرفه بأنه هوية الله وظاهره ، ونسب إليه اسماً وصفة من أسماء الله سبحانه وصفاته .

لا بالحجاز ، كما هو حد الإنسان إذا كان حيًّا ، وكما أن ظاهر صورة الإنسان تثني
بلسانها على روحها ونفسها ، والمدبر لها ، كذلك جعل الله تعالى صورة العالم
تسبح بحمده ، ولكن لا نفقه تسبيحهم ، لأننا لا نحيط بما في العالم من الصور ،
فالكل أسنة الحق ، ناطقة بالثناء على الحق ، ولذلك قال : الحمد لله رب العالمين
أى إليه ترجع عواقب الثناء ، فهو المُنْتَنى والمُنْتَنى عليه شعر .

فإِن قَاتَ بالتزويه ، كَفَتَ مُقَيِّدا

وإِن قَلَتَ بالتشبيه ، كَفَتَ مُحَدِّدا

وإِن قَلَتَ بالأمرين ، كَفَتَ مُسَدِّدا

وكَفَتَ إماما في المعارف سيدا

فمن قال بالإشفاق ، كان مُشَرِّكا^(١)

ومن قال بالإفراد ، كان مُوَحِّدا

فإياك والتشبيه ، إِن كَفَتَ ثانيا

وإياك والتزويه إِن كَفَتَ مُقَرِّدا

فأنت هو^(٢) ، بل أنت هو^(٣) ، وتراه في

عين^(٤) الأمور مُسَرِّحا ومُقَيِّدا

(١) أى من آمن بوجود الحق ، وبوجود الخلق على أنهما وجودان متغايران
أو حقيقتان منفصلتان متباينتان - فهو مشرك . لأنه جعل وجود الخلق ، غير وجود
الحق ، وجعل الحق غير الخلق أى جعل الواحد اثنين ، وغاير بين الإله وبين نفسه
وهذا شرك عند الصوفية . أما الموحّد عندهم فهو من يؤمن بأن الحق عين الخلق ،
وجوداً وماهية .

(٢) باعتبار الإطلاق .

(٣) باعتبار التعيين . ولاحظ التناقض التوتّر بين السلب والإيجاب اللذين يجعلهما
ابن عربى شيئاً واحداً .

(٤) فى الأصل : عيون .

قال الله تعالى : [(٤٢ : ١١) ليس كمثل شيء) فنزّه (وهو السميع البصير)
فَنَشَبَهُ^(١) [وقال تعالى : (ليس كمثل شيء) فَنَشَبَهُ وَثْنِي (وهو السميع البصير)
فَنَزّه وَأَفْرَدَ^(٢)

(١) ما بين هذين [ساقط من الأصل وأثبتته عن الفصوص .

(٢) يريد ابن عربي بهذا التلبيس في فهم الآية أن يقول : إن اعتبرت الكاف
زائدة في : كمثل كان معنى الآية : ليس مثله شيء ، وبذا تنتفي المثلية . وهذا
تنزيه . ولكن في قوله « وهو السميع البصير » تشبيه . لأنه أثبت لنفسه - هكذا
يفهم الزنديق - عين ما للخلق من سمع وبصر . وهذا يستلزم كون ذات
الحق عين الخلق ...

وإن اعتبرت الكاف غير زائدة في « كمثل » كان معنى الآية : ليس مثل مثله
شيء . يعنى أنها تثبت المثلية . وهذا تشبيه . ولكن في قوله « وهو » نفى للمثلية
لأن الضمير للمفرد . وهذا تنزيه فيفيد أنه هو وحده الذي يسمع ويصير في صورة
كل من يتأتى منه أن يسمع وأن يبصر . أى هو عين كل سميع وبصير !!

هذا ما يفهمه الزنديق في الآية يهدف به إلى إثبات أن لله وجهين . وجه يسمى
الحق ، والآخر يسمى الخلق ، وأنه لا يمكن تسميته حقاً فحسب ، أو خلقاً فحسب ،
بل يسمى حقاً خلقاً في آن واحد . وتعقيبه الآية أولاً بقوله : فنزه على اعتبار زيادة
الكاف ، وتعقيبها ثانياً بقوله : فَنَشَبَهُ وَثْنِي على اعتبار عدم زيادة الكاف !! وإليك الحق
يهتك باطله : قال صاحب المغنى - وهو يعدد معاني الكاف « التوكيد وهى الزائدة
نحو ليس كمثل شيء . قال الأكترون : التقدير ليس شيء مثله ، إذ لو لم تقدر
زائدة صار المعنى ليس شيء مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت
لتوكيد نفي المثل ، لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة » .

وابن عربي قرر هذا بيد أنه لبس في تفسير « وهو السميع البصير » إذ فسرهما
بأنه سبحانه يسمع كما يسمع العبد ، وب نفس الأذن التى يسمع بها ، ليزعم من وراء
هذا الباطل أنه سبحانه عين من يسمعون ، ومن يبصرون ، لأن جوارحهم وحواسهم
هى عين جوارح الإله الصوفى وحواسه ، فتكون ذواتهم عين ذاته . والآية ناطقة
بإبطال هذا الكفر الفاجر . فما فيها سميع كما تسمعون أو بما تسمعون وإنما هى =

تكفير الصوفية لنوح

لو أن نوحاً جمع لقومه بين الدعوتين لأجابوه : فدعاهم جهاراً ، ثم دعاهم إسراراً ، ثم قال لهم : (٧١ : ١٠) استغفروا ربكم ، إنه كان غفاراً) وقال : (٧١ : ٥ ، ٦) إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدكم دعائى إلا فراراً) وذكر عن قومه أنهم تصاموا عن دعوته ، لهم بما يجب عليهم من إجابة دعوته ، فلم الملاء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم في القرآن لا يصفى إلى الفرقان ، وإن كان فيه . فإن القرآن ^(١) يتضمن

= لإثبات أن الله سبحانه له صفتا السمع والبصر ، وإنه لإعجاز حكيم أن يحىء الإثبات بعد النفي ، حتى يستقر اليقين في القلب بأنه سبحانه لا يماثل شئ ، ولا يماثل هو شيئاً ، فإذا أثبت الله بعد هذا النفي المؤكد لنفسه صفى السمع والبصر ، فهم فيهما المؤمن ما يليق بجلال الله وكبريائه وربوبيته ، لاما استقر في الوعى مما يشهده الحس في الخلق فسبق النفي تصفية للفهم والقلب والفكر ، من زيف التثنية ، وإعداد لتلقى ما يرد بعده من إثبات تلقى إيمان ويقين لا يحسه وهم من التشبيه ، أو طائف من التثنية . أما إذا اعتبرت الكاف غير زائدة ، فلا يفيد هذا مطلقاً إثبات التثنية ، لأن سياق الآية ينفيها ، والضمير «هو» ينفيها كذلك . ثم إن العرب - والقرآن عربى - كانوا إذا بالغوا في نفي التثنية قالوا : مثلك لا يفعل كذا ، ومرادهم نفي الفعل عنه ، لا عن مثله ، ولكن إذا نفوه عن من هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه بالأولى . وعلى فرض ، المستحيل فإن تلبس ابن عربى يهدم باطله ، لأن التثنية تستلزم الإثنية ، تثبت وجود اثنين في أحدهما غير ما في الآخر . وهو يدين بالوحدة المطلقة (١) يريد ابن عربى بالقرآن : الجمع بين الحق والخلق ، أى إدراك أنها وجهان لحقيقة واحدة سميت حقاً باعتبار باطنها ، وخلقاً باعتبار ظاهرها . هذه الحقيقة : هى ما هية الله سبحانه ، ويريد بالفرقان : التفرقة بينهما . ولذا يهت نوحاً عليه السلام بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه ، أو بأنه مكر بقومه في دعوته ، إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجرداً عن الخلق ، أى بأن الحق غير الخلق ، ففصل نوح - هكذا =

الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، فـ (ليس كمثله شيء) يجمع الأمرين في أمر واحد ، فلو أن نوحاً أتى بمثل هذه الآية لفظاً أجابوه ، فإنه شبه ونزه في آية واحدة بل [في] نصف آية . ونوح دعا قومه « ليلاً » من حيث عقولهم ، وروحانيتهم ، فإنها غيب ، و « نهراً » دعاهم أيضاً من حيث ظاهر صورهم وحسهم ^(١) ، وما جمع في الدعوة مثل : ليس كمثله شيء ، فنفرت بواطنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فراراً ، ثم قال عن نفسه : إنه دعاهم ليغفر لهم ، لا ليكشف لهم ^(٢) ، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، لذلك : « جعلوا أصابعهم في

= يفترى الزنديق - بحمله بين وجهي الحقيقة الواحدة ، أو جعل - بمكره - الحقيقة الواحدة شيئاً آخر غير نفسها ، وفرق بين باطن الذات الإلهية - وهو الحق - وبين ظاهرها وهو الخلق . ولذا لم يستجب قومه لدعوته ، إذ كانوا على بينة من الأمر ، على علم صادق بالحقيقة ، كانوا على يقين - ويقينهم هو الحق عند الصوفية - من أن الله سبحانه حق وخلق ، مطلق ومقيد ، رب وعبد . وأنه عين كل شيء ، فعبوده في بعض ما تعين فيه ، وهي الأصنام . فدلوا بهذه العبادة على صدق الإيمان ، وكال التوحيد ، لهذا يقول الزنديق : ما كان ينبغي لنوح ، أن يمكر بقومه في دعوته ، أو أن يضلهم عن السبيل السوي ، فيدعوهم إلى الإيمان بأن الرب غير العبد وأن الحق غير الخلق ، وأن العبود غير العابد . وإنما كان واجبا على نوح أن يؤيد الحق الذي آمن به قومه ، والهدى الذي كشف لهم عن كنه الحقيقة ، وهي أن هذه الأصنام ما هي إلا ذات الله سبحانه ، وأن عبادتهم لها عبادة حقة لله سبحانه !! فتأمل !! كيف يهت رسولاً من أولى العزم بالمكر أو بالجهل ، وكيف يفضل عليه أوباش الوثنية ، وعبد الشيطان !! ورغم هذا يظل الشيوخ يدينون لابن عربي بالبودية .

(١) في الأصل : جثهم

(٢) يريد الزنديق أن نوحاً دعا قومه إلى مقام الستر المطلق ، لا إلى مقام الكشف والظهور . والستر المطلق هو الحق المنزه عن التجلي في أية صورة خلقية .

آذانهم ، واستغشوا ثيابهم » وهذه كلها صورة الستراتى دعاهم إليها ، فأجابوا دعوته بالفعل ، لا بَلَّتَيْكَ فَنى (ليس كمثله شىء) إثبات المثل ونفيه ^(١) ، وبهذا قال عن نفسه صلى الله عليه وسلم : أنه أوتى جوامع السكلم ، فمادعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ، ونهاراً فى ليل ^(٢) ، فقال نوح فى حكيمته لقومه : (١١ : ٧١ يرسل السماء عليكم مدرارا) وهى المعارف العقلية فى المعانى والنظر الاعتبارى (ويمدكم بأموال) أى بما يميل بكم إليه ، فإذا مال بكم إليه ، رأيتم [١١] صورتمكم

ومقام الكشف تجلى الحق فى صورة كل موجود ، ويهت نوحا بالخداع والسكر ، إذ غفر — أى ستر — عن قومه الحق العلوى الذى هم به مؤمنون . وهو أن أصنامهم بعض مجالى الله وظهوراته ، وتعالى الله عما يافك الصوفية

(١) تقدم الرد على ما يفتره هنا

(٢) يقصد بالليل باطن الذات الإلهية ، وبالنهار ظاهرها . والباطن هو وجه الذات وغيبها المسمى حقا ، والظاهر هو وجهها الآخر المسمى خلقا ، ويذم نوحا بأنه دعا قومه ليلا ونهارا أى إلى الإيمان بالحق — وهو الليل — وبالخلق ، وهو النهار ، وبأنها غيران ، ويمجد محمدا الذى يزعمه — وحاشا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم — لأنه جمع فى دعوته بين الدعوتين ، إذ دعا قومه إلى الإيمان بأن الحق عين الخلق . وعبر الفاجر الزنديق عن هذا بقوله : ليلا فى نهار ، أى حقا فى خلق . وإلى الإيمان بأن الخلق عين الحق ، وهذا ما يعبر عنه الشيطان بقوله : نهارا فى ليل . أى خلقا فى حق . أى قال لهم : الواحد عين الكثير ، والكثير عين الواحد . وبهذا البهتان الأثيم يفضل ابن عربى محمدا المزعوم على نوح الذى جهل أو مكر ، ففاير بين الحق والخلق : فتأمل ! ! تأمل الشيخ الأكبر فى عرف الزنادقة أى الصوفية إلى أى حد تبلغ القحّة فى جراءة كفره ، فيصم نوحا بالشرك والكفر ، ويفترى على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان مشركا أصم الوثنية . ولكن كيف تعجب من رجل يحمل من الخنازير والجيف والقيح بما فيه من ميكروبات فتاكّة ، يحمل هذه آلهة له ، وأربابا يفزع إليهم بالرجاء والأمل والحب والخوف ! ! !

فيه ، فمن تخيل منكم أنه رآه فاعرف ، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه ، فهو العارف ، فلهذا انقسم الناس إلى غير عالم ، وعالم « وولده ^(١) » وهو ما أنتجه لهم نظرم الفكرى ، والأمـر موقوفٌ علـمـه على المشاهدة ، بعيد عن نتائج الفكر « الإخسار » « فاربحت تجارتهم » فزال عنهم ما كان فى أيديهم مما كانوا يتخيلون أنه ملك لهم ، وهو فى الحمددين (٥٧ : ٧) وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) . وفى نوح (٧١ : ٢) أن لا تتخذوا من دونى وكيلا ^(٢)) فأثبت الملك لهم ، والوكالة لله فيهم ، فهم مستخلفون فيه ، فالملك لله ، وهو وكيلهم ، فالملك لهم ، وذلك ملك الاستخلاف ، وبهذا كان الحق تعالى مالك الملك ، كما قال الترمذى رحمه الله .

الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية

(ومكروا مكرأ كبارا) لأن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو ^(٣) ، لأنه

(١) فسر المدرار بالمعارف العقلية ، والمال بما يعيل الإنسان إلى الله فىرى فى الله سبحانه صورته ، وفسر الولد بالنتاج الفكرى . وهكذا يضع لغة القرآن ما شاءت زندقته من معان ، وبمثل ما يفترى ابن عربى يعجب بعض من يوصفون بأنهم من ذوى الفكر . ولو اتخذنا أسلوب ابن عربى قاعدة لنا فى البيان ما بقيت للغة بل ما بقيت حقيقة واحدة يمكن أن تجتمع عليها العقول

(٢) الآية فى بنى إسرائيل ، لاقى قوم نوح

(٣) يشرح القاشانى هذا بقوله « معناه : أن الدعوة إلى الله دعوة منه إليه ، لأن الله عين الداعى والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شئ » ص ٥٨ ط ١٣٠٩ شرح القاشانى للفصوص . وأقول : يدين ابن عربى وعبد الطاغوت الصوفية أن الله سبحانه عين كل شئ ، فإذا ما جاء الرسل ، وأمروا بعبادة الله وحده ، ونهوا عن عبادة غيره ، عن عبادة العجل مثلا ، والأصنام والكواكب وغيرها . فإن الصوفية يرون هذه الدعوة فى مظهرها الإيجابى والسلبى مكرًا وخداعًا ، إذ توحى إلى عباد الأصنام والأوثان وغيرها أنهم يبدون غير الله ، والرسل يملون - هكذا =
٤ - مصرع التصوف

ما عدم من البداية ، فيدعى إلى الغاية (١٢ : ١٠٨ أدعو إلى الله) فهذا عين المكر^(١) .

قلت : فهذا ، وأشكال من قوله - كما يأتي في الفصل اليوسفي - يُدندن به على تصحيح قول الكفار : إن القرآن سحر . ولا يقدر على التصريح به ، ولقد أخبرني من أثق به أن بعض أتباعهم قال له : القرآن أساطير الأولين^(٢) !!

ثم قال ابن عربي : [مفسراً قول رب العالمين^(٣)] (١٢ : ١٠٨ على [بصيرة] فنبه على أن الأمر له كله ، فأجابوه مكرراً كما دعاهم ، فجاء الحمدي ، وعلم أن الدعوة إلى الله ما هي من حيث هويته ، وإنما هي من حيث أسماؤه^(٤) ، فقال : (١٩ : ٨٦ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) فجاء بحرف الغاية ، وقرنها بالإسم فصرّفنا أن العالم كان تحت حيلة إسم إلهي ، أوجب عليهم^(٥) أن يكونوا متقين ،

= يفترى الصوفية - أنه ما ثم غير ، أو سوى ، فكل ما عبد ، أو سجد إنما هو الله . إذ كل معبود شيء ، والله سبحانه عند الصوفية عين كل شيء .

(١) ص ٧٧٢ - ٦ فصوص الحكم

(٢) بل قال الفاجر التلساني : « القرآن كله شرك ليس فيه توحيد ، وإنما التوحيد في كلامنا نحن » ص ٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل

(٣) وضعت ما بين هذين [] هنا من عندي حتى لا يظن بآية من القرآن أنها من كلام ابن عربي

(٤) أي ما يدعو الرسل إلى عبادة الله من حيث كونه حقاً ، أو وجوداً مطلقاً ، بل من حيث كونه خلقاً ، أو وجوداً مقيداً تعين في صور بدنية عنصرية . فما من شيء إلا وهو - عند الصوفية - اسم من أسماء الله تعالى . تعين في صورة ذلك الشيء . لذا يدعو الرسل الصادقون - هكذا يكفر الصوفية - إلى عبادة الخنازير والقمل والضفادع ، والبلغايا الأوثام ، والأجساد الفواجر ؛ لأن هذه عند الصوفية أسماء الإله الذي يزعمونه

(٥) في الأصل : فعلنا أن النور كان تحت حيلة اسم إلهي أوجب عليه

فَقَالُوا^(١) فِي مَكْرَمٍ (٢٣ : ٧١) لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) ، فَإِنَّهُمْ إِذَا تَرَكَوْهُمْ جَهِلُوا مِنَ الْحَقِّ عَلَى قَدَرِ مَا تَرَكَوْا مِنْ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ وَجْهًا يَعْرِفُهُ مِنْ عَرَفِهِ ، وَيَجْهَلُهُ مِنْ جَهْلِهِ . فِي الْحَمْدِيِّينَ : (١٧ : ٢٣) وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (أَيْ حَكَمَ^(٢)) ، فَالْعَالَمُ يَعْلَمُ^(٣) مِنْ عَبْدٍ ، وَفِي أَى صُورَةٍ ظَهَرَ حَتَّى عَبْدٌ ، وَأَنَّ التَّفْرِيقَ وَالْكَثْرَةَ كَالْأَعْضَاءِ فِي الصُّورَةِ الْمَحْسُوسَةِ^(٤) ، وَكَالْقُوَى الْمُخَوَّيَةِ فِي الصُّورَةِ الرُّوحَانِيَةِ ، فَمَا عَبْدٌ غَيْرُ اللَّهِ

(١) يَعْنِي قَوْمَ نُوحٍ الْوَنُثَيْنِ

(٢) بَلْ أَمْرٌ وَوَصَى كَمَا سَتَعْرِفُ

(٣) فِي الْأَصْلِ : يَعْلَمُهُ

(٤) يَشْبَهُ الْحَقُّ وَالْخَلْقُ ، بِالْجَسَدِ وَأَعْضَائِهِ فِي أَنَّ كُلَّيْهِمَا وَاحِدٌ فِي الْحَقِيقَةِ ، كَثِيرٌ بِالْإِعْتِبَارِ . فَأَنْتَ إِذَا أَفْرَدْتَ بِالنَّظَرِ كُلَّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ ، فَهُوَ كَثِيرٌ ، إِذَا تَرَى رَأْسًا ، وَوَجْهًا ، وَيَدَيْنِ ، وَقَدَمَيْنِ ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ جَمْلَةً وَجَدْتَهُ وَاحِدًا . وَهَذِهِ الْوَحْدَةُ حَقِيقَةٌ . أَمَّا الْكَثْرَةُ فَاعْتِبَارِيَّةٌ خُصْبٌ . وَكَذَلِكَ هَكَذَا يَفْتَرِي الزَّنْدِيقُ - أَقْبَرُ الْعَالَمِ . فَالْعَالَمُ فِي حَقِيقَتِهِ لَيْسَ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ ، أَوْ هُوَ تَعَيَّنَاتُ أَسْمَائِهِ بَرَزَتْ فِي صُورِ مَادِيَةِ . كَمَا أَنَّ أَعْضَاءَ الْجِسْمِ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ غَيْرِ الْجِسْمِ ، بَلْ هِيَ هُوَ . وَمَدْلُولُ جَمِيعِهِا مَدْلُولُهُ . وَرَغْمَ مَا فِي الثَّلْثِ مِنْ تَلْبِيسٍ وَزَنْدَقَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَصْحَحُ لِابْنِ عَرَبِيٍّ مَذْهَبُهُ ، قَالِدٌ مِثْلًا لَيْسَتْ هِيَ كُلُّ الْجَسَدِ ، وَإِنَّمَا هِيَ عَضْوٌ ، أَوْ جُزْءٌ مِنْهُ . وَابْنُ عَرَبِيٍّ لَا يَقُولُ عَنْ شَيْءٍ مَا : إِنَّهُ عَضْوُ الْإِلَهِ أَوْ جُزْؤُهُ ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُ عَيْنُهُ وَكُلُّهُ !!

وَالَّذِي يَسْتَلْتُ نَظَرَ الْمُؤْمِنِ أَنَّ الْغَزَالِيَّ سَبَقَ ابْنَ عَرَبِيٍّ إِلَى اسْتِعْمَالِ هَذَا الثَّلْثِ فِي نَفْسِ مَا اسْتَعْمَلَهُ فِيهِ ابْنُ عَرَبِيٍّ ؛ إِذْ يَقُولُ - وَهُوَ بِصَدَدِ بَيَانِ الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ التَّوْحِيدِ : « أَلَا بَرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا وَاحِدًا ، وَهِيَ مُشَاهِدَةُ الصَّدِيقَيْنِ . وَتَسْمِيَةُ الصُّوفِيَةِ الْغِنَاءِ فِي التَّوْحِيدِ » ثُمَّ يَشْرَحُ حَالَ الْمُوَحَّدِ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ ، يَقُولُ : « وَالرَّابِعُ مُوَحَّدٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَخْضَرْ فِي شَهُودِهِ غَيْرَ الْوَاحِدِ فَلَا يَرَى الْكُلَّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ كَثِيرٌ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ وَاحِدٌ ، فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَلَا يَشَاهِدُ إِلَّا وَاحِدًا وَهُوَ يَشَاهِدُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ، وَسَائِرَ الْأَجْسَامِ الْمَحْسُوسَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ ؟ ! » يَجِيبُ الْغَزَالِيُّ عَنْ هَذَا مِثَالًا يَقْرُبُ فِي زَعْمِهِ ذَلِكَ إِلَى الدَّهْنِ ، يَقُولُ : « إِنَّ الْإِنْسَانَ =

في كل معبود^(١)»

تسكفير العراقي لابن عربي

وقال شيخ شيوخنا الإمام القدوة العارف شيخ الإسلام حافظ عصره الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربي هذا : « وقوله في قوم نوح : لا تذرنا آلهتكم - إلى آخره - كلامٌ ضلالٌ وشركٌ واتحادٌ وإلحادٌ ، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جهلاً يفوت عليهم من الحق بقدر ما تركوا » انتهى .

قلت : ياليت شعري من قال هذا القول في هذا العدد اليسير من الأصنام ، ماذا يقول فيما روى في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً^(٢) ، فجعل يطعنهم بعود في يده^(٣) ، وجعل يقول : (١٧ : ١٨ جاء الحق وزهق الباطل^(٤))

= كثير إن التفت إلى روحه وجسده وعروقه ، وهو باعتبار آخر ، ومشاهدة أخرى واحد ، وكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد ، وباعتبارات آخر سواء كثير » انظر باب التوحيد من كتاب الإحياء

(١) ص ٧٢ فصوص

(٢) في البخاري « نصب » . واحدة الأنصاب ، وهو ما ينصب للعبادة من دون الله ، ويراد به أيضاً الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام . غير أنها ليست مرادة هنا .

(٣) في مسلم عن أبي هريرة : « يطعن في عينه بسية القوس » وفي حديث ابن عمر عند الناكهي - وصححه ابن حبان - فيسقط الصنم ولا يمسه ، والفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض »

(٤) ورد في البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد هذا (جاء الحق وما يبدى الباطل ، وما يعيد)

وفي السير : أنها كانت [١٢] مثبتة في الأرض بالرصاص ، فما أشار بذلك العود إلى صنم منها إلا انقلب . إن أشار إلى قفاه انكسب على وجهه ، وإن أشار إلى وجهه انقلب على قفاه ^(١) ، وكان في جزيرة العرب من الأصنام ما يتعسر حصره ، فما أبقى لشيء منها باقية ، وما استباح قتالهم ، ونهب أموالهم ، وقتل رجالهم ، ومزق أبطالهم ، وركب من دون ذلك الأهوال العظام ، وقاطع الأخوال والأعمام إلا على ذلك ، فتباً لمن أنكره ، أو رأى شيئاً أكمل منه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . انتهى .

كل شيء عندهم رب وإله

قال ابن عربي : « فالأدنى من تخيل فيه - أي في كل معبود - الألوهية ، فلولاً ^(٢) هذا التخيل ، ما عُبد الحجر ولا غيره ، ولهذا قال : (١٣ : ٣٣ [قل] سموم) ، فلو سموم لسموم حجارة ^(٣) وشجراً وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ لقالوا : إلهنا . ما كانوا يقولون : الله . ولا الإله . والأعلى ما تخيل ، بل قال : هذا مجلى إلهي ينبغى تعظيمه ، فلا يقتصر ^(٤) ، فالأدنى صاحب التخيل يقول (٣ : ٣٩) ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) والأعلى العالم يقول : (٣٤ : ٣٢) فإلهكم ^(٥) إله واحد

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٢ على هامش الروض الأنف

(٢) في الأصل : ولولا .

(٣) في الأصل : حجراً

(٤) أي لا يقصر عبادته على شيء ما بعينه ، بل يعبد كل شيء ، حتى ما يعصف بنفسه من هوى ، وما يترشح فكره من أوهام . وسيأتيك من كلام ابن عربي ما يدل على أنه يؤمن بأن الهوى أعظم مجالى الإله

(٥) في الأصل : إنما إلهكم . ويفسرها الزنديق بأن العارف المكمل . هو من يقول لعباد الأوثان ، ولعباد السكواكب ، إن ما تعبدونه هو الإله الواحد ، فالإله التمتع في أوثانكم عين التمتع في كواكبهم ، فلا يقصر أحد منكم عبادته على شيء ما بعينه ، أو يختص بها بمضا دون بعض ، فإن إلهكم هو عين كل شيء .

فله أسلموا ، وبشر المحبتين) الذين خبت نار طبيعتهم ، فقالوا : إلهنا ، ولم يقولوا طبيعة^(١) .

قلت : وعلى هذا يُحمَّو ابن الفارض^(٢) بقوله ، فالعلماء شهدوا فيه^(٣) أنه من أهل الاتحاد .

الرأى فى ابن الفارض وتائيته

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير^(٤) : « إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد - وقال : وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها^(٥) » وقال فى سنة سبع وسبعين وستائة فى ترجمة محمد ابن إسرائيل^(٦) : « وكان أديباً ، ولكن فى كلامه ما يشير إلى الحلول والاتحاد

(١) ص ٧٢ فصوص .

(٢) ورد بهامش الأصل مانصه « ابن الفارض هو حجة أهل الوحدة ، وحامل لواء الشعراء ، توفى سنة اثنين وثلاثين وستائة عن ست وخمسين إلا أشهراً . ذكره الذهبي فى تاريخه » وقد ولد ابن الفارض سنة ٥٧٦ هـ ودفن بمصر .

(٣) ليس الحكم بهذا طى ابن الفارض بحاجة إلى شهادة أحد ، فإنه صرح فى التائية بأنه يدين بهذه الأسطورة للوحدة ، إذ يقول : وجل فى فنون الاتحاد ، وجاء حديث فى اتحادى ثابت ، وهأنا أبدى فى اتحادى مبدئى . وسيأتىك ما يجعلك تؤمن بأنه كان من المؤمنين بالوحدة ، لا بالاتحاد فحسب .

(٤) الإمام المحدث البارع كما ينعتة الذهبي . ولد سنة ٧٠٠ وتوفى سنة ٧٧٤ ، من مصنفاته البداية والنهاية فى التاريخ ، والتفسير ، وجمع المسانيد العشرة ، صحب ابن تيمية وأخذ عنه ، ولازم المزي ، وتزوج بابنته ، وسمع عليه أكثر تصانيفه .

(٥) ذكر ابن كثير هذا فى البداية والنهاية .

(٦) ولد نجم الدين ابن إسرائيل سنة ٥٦٣ وتوفى سنة ٦٧٧ . ومن قوله : وما أنت غير السكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذاتى وأيضاً « إن الله ظهر فى الأشياء حقيقة . واحتجب بها مجازاً ، فمن كان =

على طريقة ابن الفارض ، وابن عربي^(١) . وقال الشيخ مدين - وهو كان رأس الصوفية زماننا - « إن الثانية هي الفصوص ، لا فرق بينهما » ومن قال إن السراج عمر بن إسحاق الهندى^(٢) عزّر الشهاب أحمد بن يحيى بن أبى حجلة^(٣) لأجل كلامه فى ابن الفارض ، وجعل ذلك دليلاً على ولايته - أجيب بأن شيخنا حافظ العصر أحمد بن حجر ذكر فى ترجمته فى أول تاريخه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن السراج الهندى كان يتمصب للصوفية الاتحادية ، وأنه شرح الثمانية ، فسقط كلامه ، والاعتبار به^(٤) ، وعلى كل تقدير فتعزيره له غير واقع فى محله بوجه ، فإنه لا شئ على من كفر مسلماً بتأويل بلا خلاف

= من أهل الحق والجمع شهدا مظاهرها ومجالى ، ومن كان من أهل المجاز شهدا ستوراً وحجياً » انظر لسان الميزان ، ومجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٦١ .

(١) لا يدين ابن الفارض بالحلل ، ولا ابن عربى به أو بالاتحاد ، وإنما يدينان بالوحدة ، إذ الحلل يستلزم الإثنية ، والاتحاد يشعر بأنه كان ثم غيران فى وقت ما ، وهما يدينان بأنه ما ثم غير ولا سوى . ومما قرأته لابن إسرائيل تحمك بأنه على دين أهل الوحدة ، لا الحلل أو الاتحاد .

(٢) ولد سنة ٧٠٤ هـ ، ومات سنة ٧٧٣ هـ . تولى قضاء الحنفية ، وكان يتمصب نقصباً مقبلاً للصوفية من أهل الوحدة ، ولذا شرح تائيه ابن الفارض .

(٣) ولد سنة ٨٢٥ هـ ثم قدم القاهرة ، فولى بها مشيخة الصوفية ، وكان يكثر من الخط على أهل الوحدة ، وبخاصة ابن الفارض ، ولهذا عارض جميع قصائده ، توفى سنة ٧٧٦ هـ

(٤) ولهذا يجب دائماً ألا نجعل آراء البشر أدلة على الحق ، أو سبيلاً إليه ، بل نرد كل ما يعرض لنا من أفضية الدين إلى الكتاب والسنة ، وفيما يحكمنا به فصل الخطاب ، والعدل والحق والصواب ، ولو أن السراج الهندى أسلم وجهه لله ، وجرّد قلبه من إثم هواه ، لوالى الله سبحانه ولم يوال ابن الفارض . وثمت يدين بالحق ، وهو ابن الفارض عدو للحق .

نعله بين العلماء . والحجة فيه قصة عمر وحاطب ^(١) رضى الله عنهما ، وغير ذلك مما وقع محضرة النبي صلى الله عليه وسلم فى وقائع عدة ، على أن التعزير ^(٢) يحتمل أموراً عدة ، لا يتعين شىء منها إلا بدليل ، فسقط الاستدلال به .

وقال العلامة علاء الدين البخارى ، وكان عين العلماء والصوفية قبل الشيخ مدين ^(٣) لشخص حنفى « لا فرق بين الثانية والفصوص إلا بكونه نثراً ، وكونها نظماً ، كما أنه لا فرق بين منظومة [١٣] النسفى والقدرورى إلا بذلك . وقال الشافعى مثل ذلك ، ومثل بالبهجة نظم الحاوى ، وبالحاوى . . »

وقال العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل - وهو من أعيان صوفية المين وفقهائهم - : « واعلم أن ابن الفارض من رموس أهل الاتحاد » واستشهد على ^(٤)

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة ، اتفقوا على شهوده بدرأ وثبت ذلك فى الصحيحين من حديث على فى قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فزلت فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية . فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ » . وقد روى حديث حاطب الجماعة كلهم إلا ابن ماجة . ومكان الحجة هنا : تأول عمر فعل حاطب بالنفاق ، وعدم مؤاخذه الرسول لعمر فى تأوله هذا . ولكن حاطباً رجل أخطأ قدم وتاب فأين من هذا إصرار ابن الفارض ، وتصريحه الجلى بأنه هو الله ؟

(٢) يعنى : تعزير السراج الهندى لابن أبى حجلة . وقد حفل البقاعى بهذا التعزير ، كأنما السراج إله يعزر عاصياً . وماذا ينتظر الناس من السراج ؟! ألا إنما الحق غنى عن تأييد الملايين من أمثال السراج هذا .

(٣) ولد بأشمون جريس سنة ٧٨١ تقريباً . وتوفى سنة ٨٩٢ . يقول عنه السخاوى فى الضوء : « وأما فى تحقيق مذهب القوم فهو حامل رأيه . والمخصوص بصريحه وإشارته »

(٤) لعله سقط من الناسخ جدى على ، كلمة : قوله ، أو هذا .

بشرح النائية من أتباعه مثل سعيد الفرغاني وداود القيصرى ، ومحمود الأزاوى .

شواهد من تأييد ابن الفارض

وإياك والإعراضَ عن كل صورة
مُؤَهَّـةٍ ، أو حالة مستحيلة
فَطَيْفُ خيال الظل يبدى ^(١) إليك فى
كَرَى اللهو، ما عنه الستائرُ شُقَّتْ
تَرى صُورَ الأشياءِ تُجلى عليك مِنْ
وراء حجاب اللبس ^(٢) فى كل خلعة
تجمعت الأضداد فيها لحكمة ^(٣)
وأشكالها تبدو على كل هيئة
صَوَامِتُ تبدى النطق وهى سواكن
تَحَرَّكُ تمهدى النور غير صَوِيَّةٍ
ثم ذكر أنواعاً من الأضداد فى نيف وعشرين بيتاً، ثم قال :
وكل الذى شاهدته فعل واحد
بمفرده ، لكن بِحَجَبِ الْأَكِنَّةِ
إذا ما أزال الستر لم تر غيره
ولم يبق بالأشكال إشكال ريبة
ويجمعنا فى المظهرين تشابه
ولست لحالى حالة ^(٤) بشبهة

(١) فى الأصل : يهدى

(٢) فى الأصل : النفس . والتصويب من الديوان .

(٣) فى الأصل : بحكمة .

(٤) فى الأصل : حالة .

فأشكاله كانت مظاهر فعله
بستر تلاشت إذ^(١) تجلى وولت
وكانت له بالفعل نفسى شبيهة
وحسى كالأشكال ، واللّبسُ سترنى

تمجيد الصوفية لمباداة الأصنام

وقال فى الفص النوحى أيضاً : (٧١ : ٢٣) وقد أضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم
فى تمذاد الواحد بالوجوه والنسب (ولا تزد الظالمين ^(٢)) لأنفسهم « المصطفين »
الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ^(٣) ، فقدمه على المقتصد والسابق

(١) فى الأصل : إذا .

(٢) يعنى : من ذكروا فى قوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) وقد عرفهم
الزنديق بأنهم : هم المصطفون الأخيار .

(٣) يشير إلى الثلاثة الذين ذكروا فى قوله تعالى (٣٥ : ٣٢) ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا ، فهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات
يأذن الله) وقد سوى الزنديق بين مفهوم الظلم هنا ، وبين مفهوم الظلم فى قوله
تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عباد الأصنام
من قوم نوح هم من الذين اصطفاهم الله سبحانه !! ناسياً عن عمد كفور أن الظلم
فى قوله سبحانه (ظالم لنفسه) مقيد ، وأنه هناك مطلق . وأن الظالم لنفسه فى الآية
مذكور فى مقام ثناء ، وأن الظالمين من قوم نوح ذكروا فى مقام الذم .

ولا عجب ، فالمصطفى عند الصوفية هو الظالم ، والظالم عندهم من شاهد الواحد
كثيراً ، فعدد الواحد ، وسار منه إلى الكثير . والمقتصد من يشهد الكثرة فى
الواحد والواحد فى الكثرة . جامعاً فى شهوده بين الحق والخلق . والسابق هو
من يشهد الكثير واحداً ، ويسير من الكثير إلى الواحد . ويرى الصوفية فى الظالم
أفضل الثلاثة إذ لا يرى الواحد إلا كثيراً بالاعتبار فقط . ويلزمهم من هذا أن
يكون ربهم ناقصاً كاملاً . وأن يكون مفايراً لنفسه ، إذ الثلاثة عندهم عين الحق .
فيكون الحق التعين فى الظالم غير المتعين فى المقتصد . فى حين هم يدينون بأن هوية
كل شىء عين هوية الحق !!

« إلا ضلالاً » إلا حيرة المحدثى « زدى فيك تحميراً^(١) ». (٢ : ٢٠ : كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا) فالخائر له الدور ، والحركة الدورية^(٢) حول القطب^(٣) ، فلا يرج منه . وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود ، طالب ما هو فيه . صاحب خيال إليه غايته ، فله « من ، وإلى^(٤) » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية ، لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له^(٥)

(١) يستشهد ابن عربى بهذا على أنه حديث نبوى كما يافك الصوفية . ولكن اسمع لابن تيمية يقول عنه : « لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا هو فى شيء من كتب الحديث ، ولا فى شيء من كتب من يعلم الحديث ، بل ولا من يعرف الله ورسوله » ص ٥٥ ج٢ مجموعة الرسائل والمسائل .
(٢) فى الأصل : الدور ، والتصويب من الفصوص .

(٣) يريد به هنا : الله سبحانه : وهو متعين فى الحقيقة المحمدية !! سبحانه عما يافك الزنادقة .

(٤) يقول بالى أفندى فى شرحه للفصوص « أى له ابتداء ومسافة ، فابتداءه من نفسه ، وانتهاءه إلى خياله ، ومسافته ما بينهما . فلا يصل إلى مطلوبه بهذا الطريق ، وهو طريق العابدين من أهل الظاهر » انظر ص ٨٤ من الشرح المذكور .

واهاً للصوفية !! حتى بالى أفندى يؤمن بأن من يعبد الله بما شرعه الله ، لا ينعم بالإيمان ولا بمحبة الله !!

(٥) يقول بالى ص ٨٤ من شرحه للفصوص « ولا غاية له لمشاهدة مطلوبة فى كل مظهر ، ولا نهاية للمظاهر ، فلا غاية لصاحب هذه الحركة » يعنى : أن الصوفى الحق ، والموحد الحق ، هو من يدين بأن الحق عين الخلق ، وهذا الموحد بدؤه عين غايته ، وأوله نفس آخره ، فهو أشبه بمن يديم الطواف حول دائرة . إنه ينتهى إلى حيث بدأ ، ويبدأ من حيث انتهى . والصوفى يبدأ من عبادة الظاهر أو الحق ، وينتهى إلى عبادة المظاهر أو الخلق ، ولكن : ماتلك المظاهر ؟ إنها عين الظاهر ؟ ومن أولئك الخلق ؟ إنهم عين الحق . فلا يقال عنه إنه بدأ أو انتهى ، فالبداية عين النهاية !! هذا مراد الزنديق من قوله : ولا غاية له .

فتحكم عليه « إلى » فله الوجود الأنم ، وهو المؤنثي جوامع الكلم والحكم
 « بما خطيئاتهم ^(١) » فهي التي خطت بهم ، ففرقوا في بحار العلم بالله ، وهو الخبرة
 « فأدخلوا نارا » في عين الماء ^(٢) ، في المحمدين (٨١ : ٦) وإذا البحار سجرت)
 سجرت التنور إذا أوقدته . « فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا » فكان الله عين
 أنصارهم ^(٣) فهلكوا فيه إلى الأبد ، فلو أخرجهم إلى السيف ، سيف الطبيعة
 لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة ، وإن كان الكل لله ، وبالله . بل هو الله .
 « قال نوح : رب » ما قال : إلهي . فإن الرب له الثبوت ، والإله يتنوع ^(٤) بالأسماء ،
 فهو كل يوم هو في شأن . فأراد بالرب ثبوت التكوين ؛ إذ لا يصح إلا هو .

(١) يقصد قوله تعالى عن قوم نوح (٢٥ : ٧١) مما خطيئتهم أغرقوا ، فأدخلوا
 نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ويمجد الفاجر خطايا الوثنيين من قوم
 نوح ، ويزعم أنها خطت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة ، فغرقوا أنهم أرباب تعبد
 آلهة هي الأصنام ، ويفسر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم بالله ! .
 (٢) يفسر النار بأنها هي الماء ، فأى عمه بصرى ، وغباء حسي ، وخيال فكري
 أبحث من هذا ؟

(٣) في الأصل : ناصرهم . وتأمل رعونة الزندقة ، وجرة باطلها على الحق
 المبين من كتاب الله . إذ يزعم أن الله سبحانه ما نفي وجود الأنصار للوثنيين ، إلا
 لأن الله نفسه كان هو عين أنصار أولئك الوثنيين ، فثم غيره حتى يمكن نفي
 وجوده . ولم لا يفجر الزنديق كل هذا الفجور ، وهو يدين بألفظه الأوثان هي الله
 سبحانه عما يافك الزنادقة .

(٤) في الأصل : تنوع . وابن عربي يدين بأن كل شيء هو اسم إلهي تعين
 في صورة ذلك الشيء . ولذا ، فكل شيء إله يجب أن يعبد ، ولما كان لكل شيء
 اسمه الخاص به ، فإن الحق تعددت ، وتنوعت أسماؤه تبعاً لتنوع الأشياء وتعدد
 أسمائها ، فالأشياء كلها تعينات أسمائه . فيسمى الإله الصوفي إذن صنما باعتبار تعينه
 في شيء سمي : الصنم . ويسمى : عجلا ، وخزيرا ، وميكروبيا ، وطائرا ، وبغيا ،
 بنفس ذلك الاعتبار .

« لا تذرعلى الأرض » يدعو عليهم أن يصيروا فى بطنها المحمدى « ولو دليتم بحبل لبط على الله^(١) » (له مافى السماوات ، وما فى الأرض^(٢)) وإذا دفت فيها [فأنت فيها] ، وهى ظرفك (٢٠ : ٥٥ وفيها نعيدكم ، ومنها نخزهم تارة أخرى) [١٤] لاختلاف الوجوه « من الكافرين^(٣) » الذين « استغشوا ثيابهم ، وجعلوا أصابعهم فى آذانهم » طلباً للستر ، لأنه دعاهم ليفخر لهم . والفخر الستر . « دياراً » أحداً ، حتى تتم المنفعة كما عمت الدعوة « إنك إن تذرهم أى تدعهم وتتركهم » يضلوا عبادك « إلى الخير ، فيخرجوهم من العبودية إلى مافيه من أسرار الربوبية فينظرون أنفسهم أرباباً بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً ، فهم العبيد الأرباب (ولا يلدوا) أى ما ينتجون ولا يظهرون (إلا قاجراً) أى مظهرأ ما ستر (كفاراً) أى ستارأ ما ظهر بعد ظهوره ، فيظهرون ماستر ، ثم يسترونه بعد ظهوره ، فيحار الناظر ، ولا يعرف قصد الفاجر فى لجوره ، ولا الكافر

= فلا تعجب : إذا رأيت الصوفى يعبد درويشة ، أو عاهرة ، فإنها إسمان لإلهما تعينا فى صورتى درويشة وعاهرة !! هذا ما يريد ابن عربى ، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر من قوله : والإله يتنوع بالأسماء .

(١) هذا حديث منقطع ، لأنه من رواية الحسن عن أبى هريرة ، والحسن لم ير أبأ هريرة وبالتالي لم يسمع منه . وقد رواه الترمذى ، وقال عنه : إنه غريب . وأوقن أن هذا الحديث قد دسه إما صوفى ، وإما جهمى تأييداً لأسطورة الحلول ، أو أسطورة أن الله فى كل مكان بذاته . فهو مصادم للقواطع من كتاب الله ، فمن قول الله سبحانه (أأنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض) فكيف يتوعدكم بخسف الأرض وهو فيها ؟؟

(٢) عقب ما ظنه حديثاً بالآية ، استشهاداً بها على صدق أسطورة الوحدة . والآية ما فيها إلا حق يهدم كفر الباطل . إذ نفيد أن السماء والأرض ملك لله وحده ، يفيد الأول اللام ، والثانى تقدم الجار والمجرور . يفهم هذا من له أدنى إلمام بالعربية ، ولكن ابن عربى يلبس حتى فى البدهيات .

(٣) يعنى : الذين دعا عليهم نوح عليه السلام .

في كفره ، والشخص واحد (رب اغفر لي^(١)) استرني ، واستر من أجل ، فيجهل مقامى وقدرى ، كما جهل قدرك في قولك (٣٩ : ٦٧ وما قدروا الله حق قدره « ولوالدى » من كنت نتيجة عنهما ، وهما العقل والطبيعة « ولن دخل بيتى « أى قلبى « مؤمناً » أى مصداقاً لما يكون فيه من الإخبارات الإلهية ، وهو ما حدثت به أنفسها^(٢) » وللمؤمنين « من العقول « وللمؤمنات » من النفوس^(٣) « ولا تزد الظالمين » من الظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية « إلا تبارا » أى هلاكاً ، فلا يعرفون نفوسهم ، لشهودهم وجه الحق دونهم في المحمدين (٢٨ : ٨٨ كل شئ هالك إلا وجهه) والتبار الهلاك^(٤) »

الحق عين الخلق عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة قدوسية في كلمة إدرسية : « ومن أسمائه الحسنى : العلى . على^(٥) من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو العلى لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو

(١) سيدأ في تفسير قوله تعالى : (٢٨ : ٧١ - رب اغفر لي ، ولوالدى ، ولن دخل بيتى مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا) وسترى في تفسيره كيف يضع للفظ الكفر معنى الإيمان الحق ، ولللفظ الباطل معنى الحق .

(٢) في الأصل : أنفسهم ، وصوبتها من الفصوص

(٣) فسر الإضلال بأنه الإخراج من الباطل والشر إلى الحق والخير ، أى من الظن بأنهم عبید ، إلى اليقين بأنهم في حقيقتهم أرباب !! وفسر الوالدين بالعقل والطبيعة ، والبيت بالقلب ، والمؤمنين والمؤمنات بالعقول والنفوس ، والهلاك بشهود الحق في الخلق . وهكذا يعث الصوفية عبث الجرأة الكافرة بالآفة التي تزل بها القرآن ، فيضعون للشئ معنى تقيضه ، ويزعمون بهذا أنهم أهل الباطل ، أى الباطن !!

(٤) ص ٧٢ - ٧٤ فصوص

(٥) في الأصل : علا عن من . وهى - كما أثبت - في الفصوص

إلا هو !! فلو له لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو ^(١) . فهو العلى ، لعلو إضافة ، لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ، ما شئت راحة من الوجود ، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات والعين واحدة من المجموع في المجموع ، فوجود الكثرة في الأسماء ، وهي النسب ، وهي أمور عدمية ، وليس إلا العين الذى هو الذات ، فهو العلى لنفسه ، لا بالإضافة ، فما فى العالم من هذه الحثية علو إضافة ، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة ، فلو الإضافة موجود فى العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة ، لذلك نقول فيه : هو ، لا هو . أنت ، لأنك ^(٢) . قال الخراز ^(٣) -

(١) هذا صريح جدا فى الدلالة على أن ابن عربى يؤمن بوحدة الوجود المادية والروحية . وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله : « فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها » ثم زاد الكفر غلوا وتوكيدا ، فقال : « وليست إلا هو » هكذا بأقوى وأؤكد أسلوب من أساليب القصر . ولعل فى هذا ما يكشف لك عن علة مقت الصوفية لكلمة التقوى والتوحيد « لا إله إلا الله » وقولهم بدلا عنها : « ليس إلا الله » أو « لا هو إلا هو » وبهذا دان الغزالى ، وقرره فى مشكاة الأنوار ، أو « هو الله » أو « هو هو » مما يهولون به على الخائيل ، ويهدفون به إلى تأييد مذهبهم فى الوحدة : شهودية ، أو وجودية

(٢) هو ، وأنت : إيجاب ، ولا هو ، ولا أنت : سلب ، فهما إذن نقيضان ، لا يجتمعان ، ولا يرتفعان . وإذا حكمت بثبوت أحدهما أو نفيه استلزم هذا لزوما قطعيا الحكم بنفى الآخر أو ثبوته . بيد أن الصوفية لا يحفلون فى سبيل إثبات وجود العدم بقانون من قوانين اللغة أو الفكر ، بل لديهم الجرأة البالغة على تكذيب ما يشهد به الحس ، وما يقطع ببداهته العقل ، واليقن الجلى من كتاب الله . ومعنى قول ابن عربى : إنك تستطيع أن تقول عن كل شيء إنه هو الله باعتبار هويته وماهيته ، وتقول ليس هو الله بالنظر إلى اسمه الخاص به ، وإلى أنه أحد تعينات الذات لا كل تعيناتها ، وكذلك أفهم قوله : أنت لا أنت .

(٣) هو أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز من صوفية بغداد توفى سنة ٢٧٧ هـ .

وسيدكر ابن عربى صريحا أن الخراز هو الله سبحانه !!

وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه : بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما نحم من يراه غيره ^(١) ، وما نحم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسيح أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات ^(٢) .

قلت : وقال ابن الفارض :

أمت إمامي في الحقيقة ، فالورى	ورأى وكانت حيث وجهت وجهي
يراه أمامي في صلاتي ناظري	ويشهد في قلبي إمام أمتي
ولا غرو أن صلى الأنام إلى ، أن	ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
لها صلاتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل ساجد إلى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سوى ، ولم تكن	صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
إلى كم أواخي ^(٣) الستر ، ها قد هتكته	وحل أواخي ^(٤) الحجب في عقد ينعتي
أفاد اتخاذي ^(٥) حبها لانحادنا	نوادر عن عاد الحبين شدت

(١) إذ كل شيء عنده هو الله ، فإذا رأى الصوفي إنساناً قال : الله رأى الله ، وإذا عبد الشرك صنأ قال الصوفي : الله عبد الله ، وهكذا استطردي كل اثنين . حتى العاهر مع العاهرة !! وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٢) ص ٧٦ - ٧٧ فصوص . وهذا صريح جدا في أن ابن عربي يؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء : مادي ، أو روحى !!

(٣) من اللواخلة بمعنى اللازمة

(٤) جمع آخية ، وهي ما يبرز - كالحلقة - من الجبل المدفون طرفاه في الأرض وتشد إليها الدابة ، ويراد بها الحرمة والذمة

(٥) في الأصل : اتخاذي ، والتصويب من الديوان

وفي الصحو بعد المحو ^(١) لم أك غيرها وذاتي بذاتي إذ تجلت تجلت ^(٣)
 [فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئتها - إذ واحد نحن - هيئتي ^(٣)]
 فإن دعيت كنت المحييب، وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت
 وإن نطقت كنت المناجي ^(٤) ، كذلك ^(٥) إن

قصصت حديثاً ، إنما هي قصت
 فقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
 فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكوتاً عن وجود سكينته

(١) الصحو عند الصوفية : هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه . والمحو : إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان ، ولا موجود عندهم إلا الحق سبحانه وحده ، فهو العابد باعتبار تعينه وتقيد بصور العبد التي هي شأن من شئونه الذاتية ، وهو المبود باعتبار إطلاقه . انظر التعريفات للجرجاني ، وجامع الأصول في الأولياء للكمشخاني تحت مادتَي الصحو والمحو . . وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة ، فيزعم أنه هو الله ، لافي حال المحو فحسب ، بل في حال الصحو أيضاً . وهذا يؤكد لك أنه يعني ما يقول ، ويؤمن بالوحدة صحوا وعحوا ، فما هي شطحات ، ولسكنها عقيدة يثبت عليها قلبه ودينه ، وما هو بهذين سكران كما يهرف الصوفية ، ليقولوا : وكلام السكران معفو عنه ، فيطوى ، ولا يروى ١١

(٢) يشرح القلاشاني هذا البيت بقوله : « أي ارتفع غيرتي في حال الصحو بعد المحو ، وحينئذ زينت ذاتي بذاتي إذ تجلت ، ولا ينتج تجليها السكر ، لأنها لا تصادف غيرها » يعني أنها صارت هي الله « وهذا هو نهاية الاتحاد » انظر شرح القلاشاني - وهو من عباد ابن الفارض - للثانية

(٣) هذا البيت ليس في الأصل ، وقد أثبتته عن ديوان ابن الفارض ، وسيأتي شرحه .

(٤) في الأصل : المحييب . والتصويب من الديوان

(٥) في الأصل : كذلك

فمن بعد ماجاهدت ، شاهدت مشهدي^(١)

وهادي^(٢) لى إياى ، بل بنى قدوتى

فبى سوقى ، لا ، بل إلى توجهى كذاك صلاتى لى ، ومنى كبتى

الوحدة المطلقة دين ابن عربى

قال الإمام زين الدين العراقى فى جواب السؤال المذكور : « وأما قوله^(٣)

فهو عين مظهر ، وعين مابطن ، فهو كلام مسموم ، ظاهره : القول بالوحدة المطلقة ، وأن جميع مخلوقاته هى عينه ، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد ذلك : « وهو المسمى أبا سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات » وكذا قوله بعد ذلك : « والتكلم واحد ، وهو عين السامع » وقائل ذلك والمعتدله كافر بإجماع العلماء .

« لا يُستَدر عن الصوفية بالتأويل »

ثم قال : « ولا يقبل ممن أجتراً على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول : أردت بكلامى هذا خلاف ظاهره ، ولا نؤول له كلامه ، ولا كرامة .

ولقد أحسن بعض من عاصرناه من العلماء العارفين ، وهو الشيخ الإمام العلامة علاء الدين على بن إسماعيل القنوى حيث سئل عن شئ من هذا . فقال : « إنما نؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجمع بين كلاميه^(٤) ، لعدم

(١) فى الأصل : مشهدي

(٢) فى الأصل : وهادى

(٣) يعنى : ابن عربى

(٤) هذا على دين من يقول بوجوب التأويل لآى القرآن ، أو الأحاديث التى يرون - وهو - أى ضلالة - أن فى حملها على ظاهرها إثباتاً لوجود التعارض بين العقل والنقل . وما آتى هؤلاء إلا من إيمانهم بأسطورة الفلسفة الملحدة ، وهى أن العقل حاكم على النقل ، وأنه القاعدة ، والمقياس ، فإذا رأى العقل فى كلام الله =

جواز الخطأ عليه ، وأما من لم تثبت عصمته ، فجاز عليه الخطأ والمعصية والكفر ، فنؤاخذ بظاهر كلامه ، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله ، أو مما يخالف الظاهر ، وهذا هو الحق » انتهى .

خطر صرف الكلام عن ظاهره

وكذا قال في عدم التأويل لغير المعصوم الإمام نور الدين علي بن يعقوب البكرى الشافعى ، وقد حقق هذه المسألة حجة الإسلام ^(١) أبو حامد الغزالى فى أول الإحياء فى كتاب العلم بما حاصله : أن الكلام إن كان ظاهرا فى الكفر بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل من إحياء عشرة أنفس ، وإن كان فهمه مشكلا ، فلا يحل ذكره . وقال : إن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل ^(٢) اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ . ثم قال : والباطن لا ضبط

= مالا يوافق مقاييسه وقيمه ، وجب تأويله حتى لا يتعارض معه !! يعملون الخلق حاكما على الخالق ، والعبد محمدا للقيم التى يجب أن يؤمن بها الرب ، ويوجبون على الله ألا يتكلم سبحانه إلا بما يتوأم وهوى عبده ! ! هكذا يفعل المؤولة ، اقتداء بآلهتهم الفلاسفة ، فما صاروا فلاسفة ، وما قدروا على أن يعودوا مسلمين ! ! والقونوى هو أبو الحسن نور الدين المصرى الشافعى ، ولد سنة ٦٧٣ ، وتوفى سنة ٧٢٤ هـ وهو من خصوم ابن تيمية ، حتى لقد وثب مرة عليه ، ونال منه

(١) إنما حجة الإسلام كتاب الله وسنة رسوله ، وكيف يعتبر حجة للإسلام رجل يشهد على نفسه أنه ردىء البضاعة فى الحديث ، وأنه لم يجد الحق إلا فى التصرف ! ! (٢) لو تركنا للعقل الحرية فى صرف اللفظ عن ظاهره ، أى عن معناه الذى هو له لصارت الحقائق كلها نسبية أو اعتبارية ، بل لما بقى حق واحد يؤمن به الفكر العام ، ولعدنا إلى السفسائية . إذ سيصبح جائزا لكل إنسان ادعاء أن هذا اللفظ ، أو ذاك يجب صرفه عن ظاهره ، لأن عقله يحكم بذلك ، ولا يمكن لامرئ ما معارضته ، ما دمتا قد وضعنا له من قبل قاعدة وجوب صرف اللفظ =

له ، بل تتعارض فيه الخواطر^(١) ، ثم قال : وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة .

وسأنتى تأييد ذلك عن الشيخ زين الدين العراقي وولده الحافظ أبي زرعة [١٦] وحكاية ابن خليل السكوني الإجماع على ذلك .

صلة الخلق بالحق عند الصوفية

ثم قال ابن عربي في النص الإدريسي أيضا : « وما ظهر حكم العدد إلا بالمحدود^{وبلفظ} : فمنه عدم ، ومنه وجود ، فقد يعدم الشيء من حيث الحس ، وهو موجود من حيث العقل ، فلا بد من عدد ، ومن معدود ، ولا بد من واحد ينشئ ذلك ، فينشأ بسببه ، فإن كل مرتبة^(٢) من العدد حقيقة واحدة كانتسعة مثلا ، والعشرة [إلى أدنى ، وإلى أكثر ، إلى غير نهاية] ما هي مجموع ، ولا ينفك عنها اسم جمع الآحاد^(٣) »

ثم قال : « ومن عرف مآقرئنا في الأعداد ، وأن نفهمها عين إثباتها^(٤) »

== عن ظاهره إذا تعارض مع العقل !! والفلاسفة أنفسهم لم يجمعوا على حقيقة واحدة ، بل آمن كل بإله ليس هو إله الآخر في ماهيته وصفاته ، بل كان الفيلسوف يؤمن أو يكفر بما كفر أو آمن به من قبل ، ونظرة واحدة إلى نتاج الفكر الفلسفي تبين لك عما فيه من تناقض حاد ، وتضاد متوتر ، فأى عقل من هذه العقول نجعله قبا على الحق ، وحكما بين الخطأ والصواب ؟ !

(١) هذا حق لا حرية فيه ، بيد أن من قرره لا يؤمن به إلا حين يخاطب عوام الناس في زعمه ، أما في كتبه المضمون به على غير أهائها فهو باطنى بمجرد اللفظ من معناه في جرأة بالغة ، وحسبك أن من أساتذة النزالي إخوان الصفا ، وأن في كتبه المضمون بها آثارا ظاهرة من باطنيتهم الخبيثة ، وعجيب أن يحمل النزالي على الباطنيين ، وهم أساتذته ، وهو من رواد مشارعهم ؟ !

(٢) في الأصل : وإن كان كل . وهو موافق لبعض نسخ الفصوص

(٣) ص ٧٧ ج ١ فصوص

(٤) في الأصل : موتها ، والتصويب من الفصوص

علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه^(١) وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ، فالأمر الخالق المخلوق ، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة [لا] ، بل هو

(١) يمثل الزنديق علاقه الحق بالخلق ، بعلاقة الواحد الحسابي بالأعداد ، فيزعم أن جميع الأعداد صور للواحد ، وكذلك الوجودات للتعدد ما هي إلا صور للوجود الواحد ، هو الوجود المطلق . فالتسعة مثلاً هي الواحد مكرراً ، فلك القول بأن الواحد عين التسعة ، ولك القول بأنه غيرها ، بيد أنها غيرية مجازية ، أو إسمية فقط . وكذلك الحق سبحانه - هكذا يأفك الزنديق - والخلق ، فهذا عين الحق باعتبار الهوية والملاهي ، وهو غيره باعتبار خصوصيته ، أى كونه مظهراً للذات الواحدة ، ولكنها غيرية ذهنية لا تحقق لها في الخارج . ألا تراه يزعم : « إن الحق المنزه عين الخلق المشبه » ؟ ، وما أظن الكفر تجراً على الله من أحد بمثل هذه الجرأة من ابن عربي ، وما أظنه صرح عن خبيثته بما هو أئين من هذه الصراحة . والرد على تلبيس ابن عربي هين . فالأعداد في ذاتها حقائق معقولة ، لا توجد في الذهن ، ولا توصف بالوجود الخارجى إلا بالنسبة للمعدودات ، ثم إن معدود الأربعة مثلاً ليس بلازم أن يكون عين معدود الخمسة ، بل ولا عين معدود أربعة أخرى ، فقد يكون معدود الخمسة أقلماً ، فيكون الواحد فيها قلماً . وقد يكون معدود الأربعة كتباً ، فيكون الواحد منها كتاباً . فيكون الواحد في الأربعة غير الواحد في الخمسة ، بل غيره في أربعة أخرى ، وهكذا في كل معدود . وهى غيرية حقيقية فى الذاتيات والعرضيات . ولكن ابن عربي يوقن بأن الحق المتلبس بصورة الصنم عين الحق المتلبس بصورة الخنزير ، يؤمن بأن الحق المعبود فى عجل السامرى عين الحق المعبود فى البار ، وهبل . أما الأعداد فقد رأيت أن الواحد فى الأربعة يغير الواحد فى الخمسة مثلاً ، أو فى أى عدد آخر مغايرة حقيقية ، نعم معنى الواحد فى عدد ما عين معناه فى عدد آخر ، لكنها عينية ذهنية ، أو تجريدية فحسب . أما ابن عربي فيؤمن بتحقيق العينية فى الوجود الخارجى ، إذ يدين بأن مافى الخارج عين مافى الذهن . وهذا واضح البطلان ، فالمستحيل يوجد فى الذهن ، ولكنه لا يوجد فى الخارج ، وكذلك المطلق والبكلى بشرط الإطلاق والكلية يوجدان فى الذهن ، ولا يوجدان ألبتة فى الخارج

العين الواحدة، والعميون الكثيرة^(١)»

الطبيعة هي الله عند الصوفية

ثم قال : « وخلق منها زوجها [فأنكح سوى نفسه ، فنه صاحبة والولد ، والأمس واحد في العدد^(٢)] ، فمن الطبيعة ؟ ومن الظاهر منها ؟ وما رأيناها قصت بما ظهر منها ، ولا زادت بقدم ما ظهر !! وما الذي ظهر غيرها ؟ وما هي عين ما ظهر ، لاختلاف الصور بالحكم عليها . فهذا بارد يابس ، وهذا حار يابس ، فجمع باليس ، وأبان بغير ذلك ، والجامع الطبيعة [لا] ، بل العين الطبيعة ، فمالم الطبيعة صور في مرآة واحدة ، لا . بل صورة واحدة في [مرآيا] مختلفة^(٣) ، فثائم إلا حيرة ، لتفرق النظر ، ومن عرف ما قلناه لم يحمر ، وإن كان في مزيد علم ، فليس إلا من حكم المحل ، والمحل عين العين الثابتة ، فيها يتنوع الحق في

(١) ص ٧٨ ج ١ فصوص

(٢) كل ما بين هذين [ساقط من الأصل ، وأثبتته عن النصوص . وأظنك قد لاحظت عرام الفريزة الدنيئة كيف وضع لابن عربي دينه في قوله : « فأنكح سوى نفسه » !! ولاحظت التثليث الذي يصوره ابن عربي بصورة أدنا من تثليث المسيحية المفلسة . إذ يزعم أن الذات الإلهية ثلاثة أقانيم . أقنوم هو الزوج ، وثان هو الزوجة ، والأخير هو الولد » هذه الأقانيم الثلاثة هي الإله الواحد عند ابن عربي !! أفستطيع الصوفية اقتراء أنهم مسلمون ؟ !

(٣) يزعم ابن عربي أن مظاهر الطبيعة هي عين الذات الإلهية ، والمظاهر الطبيعية مختلفة الأحكام ، فمنها ما يحكم عليه بأنه حيوان أو جماد : رطب أو يابس ، حار أو بارد . لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهي العالم الطبيعي . فيقال عن الذات الإلهية : إنها حيوان جماد رطب يابس حار بارد ، وغير هذا . ويزعم ابن عربي أن الله نفسه هو الذي يحكم على نفسه بهذه الأحكام ، أي يحكم على نفسه سبحانه بكل ما يحكم به على كل مظاهر الطبيعة !! وحسب الصوفية إيغالا في الزندقة إيمانهم برب هو جماد بارد !!

الجللى ، ففتنوع الأحكام عليه ، فيقبل كل حكم ، وما يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه ، وما نم^(١) إلا هذا - شعر :

فالخلق خلق بهذا الوجه ، فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فادّكروا
من يدر ما قال ، لم تخلد بصيرته وليس يدر به إلا من له بصر
جمع^(٢) ، وفرق ، فإن العين واحدة وهى الكثيرة ، لاتبقى ولا تذر^(٣)

دين ابن الفارض

قلت : وهذا مراد ابن الفارض بقوله :

وجل فى فنون الاتحاد ، ولا تخذ^(٤) إلى فئة فى غيره العمر أفنت
فواحده الجلم الفقير ومن عدا ه شرذمة فى غيره العمر أفنت
فت بمعناه ، وعش فيه ، أو فت معناه ، واتبع أمة فيه أمت
فأنت بهذا المجد أجدر من أخى اج تهاد مجد عن رجاء وخيفة
فألغ الكنى عنى^(٥) ، ولا تلغ الكنا بها ، فهى من آثار صيغة صنعتى

(١) فى الأصل : ما

(٢) فى الأصل : وجمع

(٣) ص ٧٨ - ٧٩ ج ١ فصوص

(٤) فى الأصل : تخذ

(٥) لما كانت الكنى اصطلاحات وضما الإنسان الذى هو من صنع الإله الذى تجسد فى هيكل ابن الفارض فإن هذا الإله الفارضى يأمر خلقه بإلغاء الكنى عنه ، إذ لا يصح للمصنوع تعريف صانعه بكنية ما . وهدف ابن الفارض من هذا أن يؤمن الناس بما آمن به هو من الكفر الفاجر ، وهو اعتقاد الوحدة التامة بين الحق والخلق ، وأن يدينوا بأن ابن الفارض هو الجللى الأعظم ، والمظهر الكامل للذات الإلهية ، فليضيفوا إليه صفات الربوبية والإلهية . . . ولما كان ابن الفارض يعلم أن كفره هذا يناهذ الشرع . فإنه ألح فى البيت الذى قبل هذا فى تحذير أتباعه من الإصغاء إلى الشرع ، أو من الليل إلى الأئمة المجدين المجتهدين الذى يبدون الله =

وأى بلاد الله حلت بها ، فما أراها ، وفي عيني حلت غير مكة
وأى مكان ضمها حرم ، كذا أرى كل دار أوطنت^(١) دار هجرة
وما سكنته ، فهو بيت مقدس بقرة عيني ، فيه أحشاي قرت
ومسجدي الأقصى مساحب بردها وطيبى ترى أرض عليها تمشت
وشكرى لى ، والبر منى واصل إلى ، ونفسى باتحادى استبدت
وتم أمور تم لى كشف سترها بصحو مفيق عن سواى تغطت
بها لم يبيع من لم يبيع دمه ، وفي الإشارة معنى ما العبارة حدثت
وقلبى بيت فيه أسكن . دونه ظهور صفائى عنه من حجيتى
ومنها يمينى فى ركن مقبل ومن قبلتى للحكم فى فى قبلتى
وحولى بالمعنى طوافى حقيقة

[١٧] وسعى لوجهى من صفائى لمروتى^(٢)

وفى حرم من باطنى أمن ظاهرى ومن حوله يخشى تخطف جيرتى^(٣)

= وحده ، وتملىء قلوبهم خوفا من الله وحده ، ورجاء فيه وحده .. وهكذا كل
شيطان صوفى يحذر أتباعه من الشرع وأتباعه ، ويأمرهم أن يكونوا بين يديه هو
كجثة الميت بين يدي الفاسل ، ويظل يقتل فيهم الشعور ، ويعيت منهم الكرامة ،
ويستعبد منهم الفكر ، ويبيد فيهم كل إحساس بالذاتية ، حتى يصبحوا لهواه عبدا
صاغرين ، فينتهك حرمة الله ظانين أنه ثم مع الله ، ويلعق دم الجريمة ، وهم
يحسبون أنه بذلك يقضى دين حب الله ، ويترع حميم الحمر ، ويقسمون أنها شراب
من يد الله !!

(١) فى الأصل : وطنت

(٢) يقصد : الصفا والروة . يريد أن يقول : إنه إذا طاف فإنما يطوف حول
نفسه ، وإذا سعى بين الصفا والروة ، فإنما يسعى لوجهه . ذلك لإيمانه بأن العابد
والمعبود عين واحدة . ولقد أقسم لى صوفى : أنه ليس ممن يطوفون حول الكعبة
بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة !!

(٣) يريد أن يقول : إنه هو الحرم . ويشير إلى قوله تعالى (٢٩ : ٦٧) أو لم =

وشفع وجودى فى شهودى ظل فى اتحادى وترافى تيقظ غفوتى (١)
ولم أله باللهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى
وقد جاءنى منى رسول . عليه ما عنت ، عزيزى ، حريص لرأفة (٢)
ومن عهد عهدى قبل عصر عناصرى إلى دار بعث قبل إندار بعثة
إلى رسولا كنت منى مرسلا (٣) وذاتى بأياتى على استدللت

يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حولهم ، ألبالابل يرْمنون ، وبنعمة الله يكفرون) يازنديق يزعم أن باطنه الحبيث هو هذا القدس الطهور

(١) الشفع عند الصوفية وجود الرب شفع بوجود العبد ، والوتر عندهم وجود الرب فردا باقيا بعد فناء وجود العبد . ولما يستلزمه الشفع من الإثنيانية راح ابن الفارض يضيفه هنا نفيًا باتا ، ثم يؤكد أنه تجلى له عن شهود جلى ، ويقظة شاعرة تمام الشعور أن الوجود - وجود الرب ، ووجود العبد - واحد فى أزليته وأبديته وأنه ماثم إلا عين واحدة سميت باعتبار الباطن حقا ، أو ربًا ، وباعتبار الظاهر خلقا أو عبدا . تلك هى الذات الإلهية ، ويؤكد الزنديق كذلك أن ما كان يضيفه من سمات الوجود وصفاته لنفسه ، ويحسبه غير الوجود الإلهي ، كان وهما من الأوهام استبد بخياله الغافل المغرور . هذا لأنه أدرك تمام الإدراك أنه ماثم غير ، ولا سوى ، بل وحدة مطلقة تشمل كل مظاهر الوجود . هذا وغيره يجعلنا نوقن أن ابن الفارض ممن يؤمنون بالوحدة ، لا بالاتحاد . لأن الاتحاد أفعال يستلزم ثبوت وجودين اتحد أحدهما بالآخر . فى حين أنه هنا وفى مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود فى أزل وأبد وسرمد وآن . وأنه ما كان فى حال ما ولا آن ما ثنائيا أبدا ، بل كان دائما هو الوجود الواحد

(٢) فى الأصل : برأفة

(٣) قال القاشانى فى شرحه : « فالدات الإلهية باعتبار التجرد والابتداء تكون مرسلا ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلا إليها » وهكذا يشد كل صوفى وتر الثالث ، فابن الفارض يزعم هنا أنه منذ القدم كان الله ، ثم تلبس بصورة النفس ، فأرسل بصفته وجودا متجردا ، رسولا إلى نفسه بصفته وجودا مقيدا بالتمعين . فهو المرسل ، والرسول ، والمرسل إليه ! ! كان كذلك حتى وهو فى غيبة الأزل

العبد عين الرب عند الصوفية

ثم قال في فص حكمة علي في كلمة إسماعيلية : « والعبد^(١) من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم إلا من هو مرضى عند ربه ، لأنه الذي يبقى عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضى ، فهو سعيد » ثم قال - شعر :

فأنت عبد ، وأنت ربُّ لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب ، وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد
فكل عقد عليه شخص يحله من سواء عقد^(٢)

فرضى الله عن عبيده ، فهم مرضيون ، ورضوا عنه ، فهو مرضى ، فتقابلت الحضرتان^(٣) تقابل الأمثال ، والأمثال أضداد ، لأن المثليين حقيقة لا يجتمعان ، إذ لا يتميزان ، وما ثم إلا متميز ، فما ثم مثل^(٤) ، فما في الوجود مثل ، فما في الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يضاد نفسه .

(١) في الأصل : والسعيد

(٢) البيتان الأخيران ساقطان من الأصل ، وأثبتهما عن الفصوص . يقرر ابن عربي : أن الإنسان رب من حيث هويته التي هي عين هوية الحق ، وهو عبد باعتبار ما أطلقه عليه الشرع . ويعني بالعهد : المفهوم من قوله سبحانه : (أأستبرئكم ؟) مبتغيا من وراء ذلك إثبات أن ما سمي في عرف الشرع عبدا ما هو في الحقيقة إلا رب حق يدين ربوبيته العارفون ، ويشهد بحقها السالكون على بصيرة (٣) هما حضرة الربوبية ، وحضرة العبودية ، ويقرر ابن عربي : أن من يغير بينهما محجوب أعشى البصيرة ، جاهل بحقيقة الله سبحانه

(٤) في الأصل : إلا مثل . وابن عربي ينفي المثلية لأنه يدين بأن الوجود حقيقة واحدة ، أما المثلية ، فستلزم الإثنية والغيرية بوجه ما . وما ثم عنده إلا حقيقة واحدة ، أو وجود واحد لا كثرة فيه ، ولا تعدد ، ولا تباين ، فالشئ الواحد لا يقال أنه يغير نفسه ، أو يضادها ، أو يماثلها . هذا ما يريده بنى المثلية ، وقد بناء على ما يدين به من وحدة الوجود . ويغلوا ابن عربي في جرأة الزندقة ، فيزعم أن معتقده هذا دل عليه برهان العيان ، أي شهود الحق متعددا في مظاهر خلقية

فلم يبق إلا الحق ، لم يبق كائن فما نتم موصول ، وما نتم بائن
بذا جاء برهان العيان ، فما أرى بعيني إلا عينه إذ أعين^(١)

النار عين الجنة عند الصوفية

ثم قال . « الثناء بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد [والحضرة الإلهية تطلب
الثناء الحمود بالذات ، فيثنى عليها بصدق الوعد ، لا بصدق الوعيد ، بل بالتجاوز]
(١٤ : ٤٧ فلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رَسَلَهُ) لم يقل : ووعيده^(٢) ، بل قال :
(وتجاوز عن سيئاتهم^(٣)) مع أنه توعد على ذلك ، فأثنى على إسماعيل عليه
الصلاة والسلام بأنه كان صادق الوعد .

فلم يَبْقَ إلا صادق الوعد وحده وما لوعيد الحق عين تعانٍ
وإن دخلوا دار الشقاء ، فإنهم على لذة فيها نعيم مَبَّائِنٍ
نعيم جنان الخلد^(٤) فالأمر واحد وبينهما^(٥) عند التجلي تَبَّائِنٍ
يُسَمَّى عذاباً من عذوبة لفظه وذاك لكالكشر ، والكشر صائِنُ^(٦)

(١) ص ٩٢ - ٩٣ فصوص

(٢) في الأصل : وعيده بدون واو العطف

(٣) يعني قوله تعالى : (٤٦ : ١٦ أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا ،
وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) ويحملها
على الكفرة والشركين ، ليخلص من ذلك إلى إثبات ما يقرره وهو أن لا عذاب
يوم القيامة ، لأن الله وعد في هذه الآية بالتجاوز عن السيئات . فتأمل !!

(٤) الجنة عند الصوفية : هي عرفان المرء بنفسه ، ليدرك بهذه المعرفة أنه هو الله
وهذا ما يفسرون به الحديث الموضوع : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »
والجحيم عندهم : هو ما يغم على النفس من أوهام الكثرة ، فتخدعها عن الحقيقة ،
فتظن المفارقة بين الخلق والحق . وهذا الظن هو الجحيم !!

(٥) في الأصل : وما بينهما

(٦) ص ٩٣ - ٩٤ فصوص

« مثل من تفسير ابن عربي للقرآن »

ثم قال في فص حكمة نورية في كلمة يوسفية - بعد أن قرر أن الشيء قد يرى على خلاف ما هو عليه لبعده ، أو ظلام ونحوه - : « فما يعلم من العالم إلا قدر ما يعلم من الظلال ، ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الذي كان عنه ذلك الظل ، فما حيث هو ظل له يُعلم ، ومن حيث ما يُجهل ما في ذات ذلك الظل من صورة شخص من امتد عنه يجهل من الحق ، فلذلك نقول : إن [الحق] معلوم لنا من وجه ، مجهول لنا من وجه (٢٥ : ٤٥) ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجمع له ساكناً) أى يكون فيه بالقوة . يقول : ما كان الحق ليتجلى للممكنات* التي مظهر لها عين في الوجود (٢٥ : ٤٥) ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) وهو إسمه النور [الذي قلنا ، ويشهد له الحس ، فإن الظلال لا يكون لها عين بعدم النور] (٢٥ : ٤٦) ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) . وإنما قبضه إليه ، لأنه ظله ، فنه ظهر ، وإليه يرجع الأمر كله ، فهو هو لا غيره ^(١)

« وجود الحق عين وجود الخلق عند الصوفية »

فكل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات ، فن حيث هوية الحق

(١) يشبه الله سبحانه والعالم بالشيء وظله ، غير أن هذا التشبيه - على ما فيه - لا يصحح للزنديق دينه ، بل يصعجه بالتبليس والتضليل . فما من شك في أن الشيء وظله شيان متمايزان ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة مكابرة ووجود بشهود الحس اليقيني . نعم يحتاج الظل في وجوده إلى من أو ما هو ظل له . بيد أن هذا الاحتياج شيء ، والزعم بأنهما حقيقة واحدة شيء آخر مباين كل المباينة . وابن عربي يدين بأن العالم هو الله في الهوية والماهية ، أما ظل الشيء فليس عين الشيء . لا في ذاتي ، ولا في عرضي ؛ قد يقال : إن الظل أثر من آثار الشيء ، غير أن الزنديق يؤمن بأن العالم ليس أثر الله ، بل هو هو في الحقيقة والوجود . فلا يثبت مثال ما لبس به

هذا المثال

[حتى يظهر الظل فيكون كما يبق من الممكنات]

هو^(١) وجوده ، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو^(٢) أعيان الممكنات ، فكما لا يزول عنه باختلاف الصور إسم الظل ، كذلك لا يزول عنه [١٨] باختلاف الصور اسم العالم ، أو اسم سوى الحق ، فن حيث أحدية كونه ظلًا هو الحق ، لأنه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ، فتفطن ، وتحقق ما أوضحته لك ، فإذا كان الأمر على ما ذكرته لك ، فالعالم مُتَوَحَّمٌ^(٣) ماله وجود حقيقى ، وهذا معنى الخيال ، أى خيل إليك أنه أمر زائد قائم بنفسه ، خارج عن الحق ، وليس كذلك فى نفس الأمر . ألا تراه فى الحس متصلًا بالشخص الذى امتد عنه يستحيل [عليه] الانفكاك عن ذلك الاتصال ، لأنه يستحيل على^(٤) الشيء الانفكاك عن ذاته^(٥) . . . وهذا وما شا كله من قوله — كما تقدم فى الفص النوحى — مشير إلى تصحيح قول الكفار فى القرآن : إنه سحر لاحقيقة له ، إشارة تكاد أن تكون صريحة ، وإلى مثل هذا المحال لوح ابن الفارض ، والأمر فيه أوضح مما فى الفصوص :

وها دحية وافى الأمين نبينا	بصورته فى بدء وحى النبوة
أجبريل قل لى كان دحية إذ بدا	لمَهْدَى الهدى فى هيئة ^(٦) بشرية !؟
وفى علمه عن حاضريه مزية	بماهيّة المرئى من غير مَرَبّة
يرى ملكا يوحى إليه ، وغيره	يرى رجلا يرعى لديه بصحبة

(١) ، (٢) فى الأصل : فهو فى الموضعين

(٣) هذا يستلزم وجود وهم ومتوهم ، فإن قال : إن التوهم عين الوهم والتوهم لزمه كون إلهه وهما ومتوهما ، أى باطلا ينتج باطلا . فكيف يسمونه : حقا ؟ ! وإن قال : إنه غيرهما لزمه القول بالغيرية والتعدد ، وهو يدين بأن لا غير ، ولا سوى . وهكذا فى كل دليل له حجة تدعّيه بالإفك ، وتدينه بالبهتان .

(٤) فى الأصل : عن

(٥) ص ١٠٢ فصوص

(٦) فى الأصل : فى صورة

ولى من أتم الرؤيتين إشارة 'تنزه عن دعوى الحلول' (١) عقيدتي
وفى الذكرك ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أعد عن حُكمي كتاب وسنة
يعنى قوله تعالى : (٩٠:٦ ولو جعلناه ملكا ، لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) هذا ما كان ظهري ، ثم تبين أن المراد أقبح من هذا بقول شراح
التائية ، الفرغانى وغيره (٢) ، وسيأتى نقله عنه آنفا .

رد علاء الدين البخارى

قال الإمام علاء الدين البخارى « ما ذكرتم فى نفي ثبوت الأشياء معارض
بالمثل ؛ إذ لا خفاء أنه من أعيان الأكوان ، غير أنه من الأعراض ، فيكون
ما ذكرتم أيضاً خيالا وسرابا ، لا حقيقة له ، فلا يمكن به إثبات مذهبكم الباطل
وإذا لم يبق فى قوس المكابرة منزع ، ولالما لزمهم من شنيع المحالات والضلالات
مدفع ، التجأوا إلى دعوى الكشف على ما هو دأب قدماء الفلاسفة حين عجزوا
عن إقامة البرهان ، وأنت خير بأن الكشف إنما يظهر الحقائق ، لا أنه يهدم
الشرائع ، وينفى الحقائق (٣) ، فإن ذلك زندقة ، وقد غلط هؤلاء كغلط

(١) لم يرض بكفر الحلاج ديناً ، وهو الحلول ، لأنه يستازم الإثنية والمفايرة بوجه
ما بين الحال ، وبين المحل . وابن الفارض يدين بالوحدة
(٢) قال القاشانى فى شرح ذلك البيت : « ظهور الحق فى بعض صور المخلوقات
هو تلبسه بها ، كتلبس جبريل بصورة رجل » !!

(٣) لا يستطيع البخارى هدم باطل الصوفية ما دام مؤمناً معهم بأسطورة
الكشف . ولكن لا تنس أنه هو الآخر صوفى - فالصوفية لم يهولوا بهذه
الأسطورة إلا ليتقصوا بها ويل باطلها حقائق الدين والعقل ، ولإثبات ما يدنون به
من زندقة ، بعد تشكيك الناس فى كل حقيقة عقلية أو عقلية . على أن الصوفية الذين
دانوا بالكشف لم يدينوا بدين واحد ، ولم يروا فى الإلهية والربوبية - وأيا واحدا ،
ولم ينظروا إلى حقيقة الوجود نظرة واحدة . فالحلاج حلولى ، والسهروردى
إشراقى ، وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين من زعماء وحدة الوجود على =

النصارى لما رأوا إشراق نور الله تعالى ، وقد تلاً في عيسى عليه السلام ^(١) ،
 فقالوا : هو الإله ، وهؤلاء لما رأوا الوجود فأنصأ من الحضرة الإلهية على الموجودات
 فلم يفرقوا بين الفيض ^(٢) والمفيض ، فقالوا : الوجود هو الله سبحانه وتعالى . اهـ .

رأى المضد والجرجاني

وقال الشريف الجرجاني ^(٣) في شرح المواقف للمضد ^(٤) : « واعلم أن المخالف
 في هذين الأصلين - يعنى عدم الاتحاد وعدم الحلول - طوائف ثلاث ، الأولى :

= اختلاف في التصور والتصوير ، والقنوى والتلسانى والجلى . كل له مذهبه ، وكل
 له وسيلته ، وكل له تصويره ، وكل يدعى أنه آمن بما آمن به عن كشف وشهود .
 فبأى كشف تأخذ ، وبأى شهود نصدق ؟ لا يمكن أن تأخذ أو نصدق بالجميع
 لأنها نهاية تناقض وتباين ، والحق واحد لا يتعدد ، ولا يناقض نفسه ، ولا يمكن أن
 تأخذ ببعض دون بعض ، وإلا احتجنا إلى دليل ثبت به أن ما أخذنا به هو الحق
 وأن ما عداه باطل ، فبماذا نستدل ؟ أبكشف أم بغيره ؟ إن كان الأول لزم التسلسل
 وإن كان الثانى ثبت أن الكشف محتاج إلى دليل آخر غير الكشف يثبت به ، ثم
 إننا لو أخذنا ببعض دون بعض ، كان هذا معناه أن بعض أنواع الكشف الصوفى
 باطل ، فى حين يدين الصوفية بأن كل كشف صوفى هو حق فى ذاته ، وبما ذكرت
 أو ببعضه يتجلى لك بطلان أسطورة الكشف ، وتؤمن أن ملاذ الحق ومشرقه
 وقده كتاب الله سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) فى كلامه هذا راحة الحلول المسيحى ، أو الإشراق السهروردى . ولكن
 لعله يقصد بالنور الذى تلاً هدى النبوة والإيمان

(٢) يقصد ما أفاضه الله من الوجود ، والواجب أن يعبر عن هذا : بالخلق
 والخالق ، إذ الفيض أسطورة ابتدعها الفلسفة والصوفية ، ابتغاء نفي خلق الله سبحانه
 للعالم ، ونفي القادر المريد ، وابتغاء إثبات قديم العالم ، وأن الأشياء ثابتة فى العدم

(٣) هو على بن محمد بن على . ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفى سنة ٨١٤

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضيد الدين الإيجى ولد سنة ٧٠٩

تقريباً ، ومات سنة ٧٥٣ هـ

النصارى « ثم ذكر مذاهبهم ، ثم قال : « الثانية : النصيرية ^(١) والإسحاقية ^(٢) من غلاة الشيعة ، قالوا : ظهور الروحاني بالجسماني لا يُنكر ، ففي طرف الشر ، كالشياطين ، فإنه [١٩] كثيراً ما يتصور الشيطان بصورة الإنسان ، ليعلمه الشر ويكلمه بلسانه ، وفي طرف الخير - كالملائكة - فإن جبريل عليه السلام كان يظهر بصورة دحية الكلبي [والأعرابي ^(٣)] ، فلا يمتنع [حينئذ ^(٤)] أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين [وأولى الخلق بذلك أشرفهم وأكلمهم ، وهو العترة الطاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم التام ، والقدرة التامة من الأئمة من تلك العترة ، ولم يتعاشوا عن إطلاق الآلهة على أئمتهم ، وهذه ضلالة بينة ^(٥) الطائفة [الثالثة] بعض [المتصوفة ، وكل منهم محتبط ^(٦) بين الحلول والاتحاد] ثم قال المضد ^(٧) : « رأيت من الصوفية الوجودية من ينكره ، ويقول : لا حلول ، ولا اتحاد ، إذ ذاك يشعر بالغيرية ، ونحن لا نقول بها ، بل نقول : ليس في ذات الوجود غيره ^(٨) ، وهذا العذر أشد قبحاً وبطلاناً من ذلك الجرم ؛ إذ يلزم ذلك الخصالطة التي لا يجترىء على القول بها عاقل ، ولا يميز أدنى تمييز ^(٩) » .

-
- (١) محدثها محمد بن نصير النيرى ، وتزعم هذه الفرقة أن الله سبحانه ظهر بصورة على وأولاده المخصوصين
- (٢) أحدثها إسحاق بن زيد بن الحراث : من القائلين بالإباحة وإسقاط التكليف ، وأن على شركة مع الرسول . ثم تطورت فقالت بالحلول كالنصيرية
- (٣) ، (٤) ، (٥) كل ما بين هذين [ساقط من الأصل ، وأثبتته عن المصدر الذى نقل عنه المؤلف ، وهو شرح المواقف
- (٦) في شرح المواقف : وكلامهم محتبط
- (٧) ليس قول المضد وحده ، وإنما مع شرح الجرجاني له
- (٨) في المواقف « ليس في دار الوجود غيره ديار » وهو أدق
- (٩) ص ٢٩ وما بعدها ج ٨ شرح المواقف

رأى السعد التفتازانى^(١)

وهذا المعنى الأخير هو الذى أراده الشيخ سعد الدين التفتازانى ، بالمذهب الثانى ، من قوله فى شرح المقاصد : « وههنا مذهبان آخران يوهان الحلول والاتحاد وليسامنه فى شئ » .

الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى فى الله يستغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تطمحل ذاته فى ذاته ، وصفاته فى صفاته وينيب عن كل ما سواه ، ولا يرى فى الوجود إلا الله ، وهو الذى يسمونه : الفناء فى التوحيد ، وإليه يشير الإلهي^(٢) : « إن العبد لا يزال يتقرب إلى حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع ، وبصره الذى يبصر به^(٣) » . وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول^(٤) ، أو بالاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وبعد الكشف عنها بالمثال ، ونحن على ساحل التمنى نعمت^(٥) من بحر التوحيد بقدر الإمكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه الصيان^(٦) دون البرهان ، والله الموفق .

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله ولد سنة ٧١٢ ، وتوفى سنة ٧٩٢ هـ .

(٢) يقصد : الحديث القدسى ، وقد روى هذا مختصرا جدا .

(٣) سيرد الحديث بتمامه والتعليق عليه .

(٤) ما تقرب إنسان فى الوجود إلى الله بمثل ما تقرب إليه به عبده ورسوله وخليفه محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم تصدر عنه مثل تلك العبارات الطافحة بإثم الإلحاد ، والذى يافك الصوفية أنها روحانية الأنس تفيض من حظائر القدس . بل كل ما صدر عنه توحيد لله سبحانه خالص فى ربوبيته وإلهيته ، وتساييح عبودية تستشعر الخوف والرجاء . وتبتهل إلى الله أن يغمرها برضاه ، وأن يغفر لها كل ما تشعرها به - روحانية الإيمان أنه ذنب

(٥) لعلها : نعترف

(٦) يقصدون معاينة الذات تصدر عنها أفعالها ، وتصرف فى السكون أقدارها . وإبراهيم خليل الله أراه الله ملكوت السموات والأرض ، وموسى كلمه الله من وراء

الثاني : أن الواجب هو الوجود المطلق^(١) ، وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وإنما السكثرة بالإضافات ، والتعمينات التي هي بمنزلة الخيال والسراب ، إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على مظاهر ، لا بطريق المخالطة ، ويتكرر في النواظر ، لا بطريق الانقسام ، فلا حلول منا ، ولا اتحاد ؛ لعدم الإثنينية والغيرية ، وكلامهم في

= حجاب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عرج به إلى السماء ، وشهد النور الأعظم ، فما تكلم رسول منهم بمثل هذا ، ولا حدثنا عن الفناء أو العيان الصوفي ، ولا قال واحد منهم أنه رأى الله ، ولا سمعنا عن أحد منهم أنه عبد الله بغير ما أمر الله ، أو غفل مرة عن أداء حق من حقوق الله ، أو ادعى أن الله سبحانه أسقط عنه التكليف ، بل ما زادهم ذلك إلا إيمانا وخشية ، وجدا في العمل ، وكدحا في العبادة ، وحبا لله وخوفا منه ، ورجاء فيه سبحانه . ولم يعد المؤمنون تغرهم بالله تلك التهاويل السحرية الصوفية ، ولا تلك الزمات المجوسية

(١) يرد الإمام ابن تيمية على هؤلاء بقوله : « المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها ، ومالا حقيقة له يتميز بها فليس بشيء ، فمن قال : إن وجود الحق هو الوجود المطلق دون المعين ، حقيقة قوله : إنه ليس للحق وجود أصلا ، ولا ثبوت إلا نفي الأشياء المعينة المتميزة ، والأشياء المعينة ليست إياه ، فليس شيئا أصلا . وتلخيص النكتة أنه لو عني به المطلق بشرط الإطلاق ، فلا وجود له في الخارج ، فلا يكون للحق وجود أصلا ، وإن عني به المطلق بلا شرط . فإن قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام ، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معنا ، فلا يكون للحق وجود إلا وجود الأعيان ، فيلزم محذوران . أحدهما : أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات . والثاني التناقض ، وهو قوله : إنه الوجود المطلق دون المعين » باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ، ص ٢١ وهذا حق ، فإن الوجود المطلق تجريد صرف ، أو سلب خالص ، فليس ثم حقيقة تتميز ، ولا ذات تتحقق ، وكذلك العدم ، أو اللاوجود ، فكأنهم يحملون الواجب عدما ، أو يقولون هو وجود ولا وجود . أما المطلق لا بشرط فلا يوجد إلا معنا مخصوصا في هذا أو ذاك ، إذ ليس في الخارج شيء إلا وهو معين يتميز عما سواه بحده وما هيته وهم ينكرون تعين الوجود ، إذ يسمونه مطلقا .

ذلك طويل خارج عن طريق العقل والشرع أشرنا في بحث الوجود إلى بطلانه،
اسكن من يضل الله فإله من هاد » انتهى كلام الشيخ سعد الدين رحمه الله .

زعم أن الحق يتلبس بصور الخلق

وقال سعيد الفرغاني — وهو من أكابر أتباعهم — في شرحه للتائية :
وتنزه^(١) تلك الإشارة عقيدتي عن رأى الحلول، فإنه لما جاز وقوع أن يكون لَمَلَك
مخلوق قدرة التلبس بأي صورة شاء بلامعنى الحلول فيه ، يصح أن يتلبس الحق
تعالى بصورتي بغناء أنايتي^(٢) بالكلية ، وإن تملأت بعدم جواز تلبسه^(٣)
بالصورة ، وعلت بتنزيهه عن ذلك التلبس منعناك ، ورددنا تعليلك بالكتاب
والسنة .

ثم قال في شرح البيت^(٤) الذي فيه استشهاده بالكتاب والسنة : « وفي
الذكر ، آي القرآن [٢٠] ذكر اللبس ، أي تلبس الحق بالصورة ليس بمردود
بل هو ثابت مذکور معروف موضعه من القرآن ، ولم أتجاوز في تقريري حكمي
الكتاب والسنة . أما الكتاب ، فقوله تعالى : (٨: ٢٧ نودي أن بورك من في
النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين) يعني من أن يكون منحصراً ظهوره
حائِثَ قَبْلِهِ وبعده في ذلك التلبس ، وفي غيره من الصور ، وغير ما ، وقوله
تعالى : (٣٠: ٢٨ ودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة)

(١) يعني بيت ابن الفارض :

ولي من أتم الرويتين إشارة تنزه عن دعوى الحلول عقيدتي

(٢) أي ذاته

(٣) أي الله سبحانه

(٤) يقصد بيت ابن الفارض :

وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر ولم أعد عن حكمي كتاب وسنة

الآية ، وإذا جاز تلبسه بصورة الجاد^(١) ، فبصورة الإنسان أجمع وأولى عند فئانه عن تعينه وتشخصه . وأما السنة ، فقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه تعالى « كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله^(٢) » وقوله أيضاً : فإن الله تعالى قال

(١) تأمل سرعونة الزندقة في التعبير ، حيث يصف الله سبحانه وتعالى بأنه تلبس بالشجرة ، أو كان هو الشجرة وهو يكلم موسى ، ويفجر في زعمه فيقرر أن القرآن ثبت هذا !

(٢) يعني ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لى وليا ، فقد بارزنى بالمحاربة ، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضته ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يسمى . الحديث » ويستدل الصوفية بهذا الحديث على أن الله سبحانه عين خلقه ، وعلى أن العبد محور ربا . وإليك رد الشيخ ابن تيمية عليهم : « والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة ، منها قوله : من عادى لى وليا ، فقد بارزنى بالمحاربة ، فأثبت معاديا محاربا ، ووليا غير المعادى ، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها قوله : وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه ، فأثبت عبدا متقربا إلى ربه ، وربما افترض عليه فرائضه ، ومنها قوله : ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فأثبت متقربا ، ومتقربا إليه ، ومحبا ومحبوبا غيره ، وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد ... والحديث حق ، فإن ولى الله لكمال طاعته لله ومحبه لله يبقى إدراكه لله ، وباطنه وعمله لله وبالله ، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه ، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه ، وما يراه مما يحبه الحق أحبه ، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه ويبقى فى سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل ، فولى الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه ، والمأمور والمنهى عنه ونحو ذلك ، فيبقى محبوب الحق محبوبة ، ومكروه الحق مكروهه ، ومأمور الحق مأموره ، وولى الحق وليه ، وعدو الحق عدوه » ص ٤٨ رسالة الرد الأقوم ط السنة الحمديدية . هذا والحديث رواية البخارى عن خالد بن مخلد القطوانى الكوفى أبى الهيثم . وقد تكلم فيه . قال العجلي عنه : ثقة فيه تشيع ، وقال ابن سعد : منكر الحديث متشيع =

على لسان عبده : سمع الله لمن حمده . ثم حديث القيامة في الإتيان في الصورة^(١)

== مفرد ، وقال أحمد بن حنبل : له مناكير ، وقال أبو داود : صدوق إلا أنه يتشيع وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقد عد هذا الحديث من مناكير خاله يقول الذهبي : « هذا حديث غريب جدا ، ولولا هيئة الجامع الصحيح لعدته في منكرات خاله ، وذلك لغرابة لفظه ، ولأنه مما ينفرد به شريك ، وليس بالحافظ » والحديث - على اقتراض صحته - حجة على الصوفية كما رأيت

(١) يعنى ما ورد في الحديث من أن الله سبحانه يتجلى لعباده يوم القيامة ، ثم يأتيهم في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا » والحديث في الصحيحين والترمذى ، وتوحيد ابن خزيمة ، وسنن الدارمى وغيرها . والحديث حجة تدفع الصوفية بالبهتان . أولا : يثبت الحديث أن هذا التجلى لن يكون إلا في الآخرة ، أما الصوفية فيدينون بتلبسه بالصور في الدنيا . ثانيا : يدن الصوفية بأن الرب يتجلى لكل أحد بحسب اعتقاده ، فالقاصر المقيد لا يعرفه إلا إذا تجلى له في صورة معتقده ، فإذا اعتقد أن الرب صنم ، أو كوكب ، أو عجل ، تجلى له في صورة ما اعتقده ، أما إذا تجلى له في صورة أخرى أنكره ، أما العارف المطلق ، فإنه يعرف الله - في زعم الصوفية - في كل صورة يظهر بها ، لأنه يعتقد أن الرب عين كل شيء . هذا في حين يثبت الحديث أن المؤمنين أنكروه في صورته الأولى ، وعرفوه في صورته الثانية ، ومن أنكروه ، ثم عرفوه هم الرسل والأنبياء والأولياء ، وهؤلاء - باعتراف الصوفية - أكمل العارفين ، وهم لم يعرفوه إلا في صورة واحدة ، وهذا ينقض أصل دعواهم ، وهو أن العارف المكمل هو من يعرف الله في كل صورة ، ثالثا : يثبت الحديث وجود قوم يعرفون بعد إنكار ، ووجود رب تجلى ثم تجلى . وهذا يستلزم وجود أغيار كثيرين هم غير الرب . في حين يدن الصوفية بأنه ما ثم غير ما . رابعا : يزعم الصوفية أنه سبحانه عين كل شيء ، والحديث يثبت وجود قوم مؤمنين ، وكافرين ، ومناققين ، فإذا أخذنا بزعم الصوفية كان ربهم هو الكافر والمنافق ، والمنكر والمنكر ، وثبت لربهم الجهل ، وحسم الصوفية شرا أن يكونوا عبيد رب هذا شأنه . خامسا : يثبت الحديث أنه ==

ثم قال : فالحديث أولا وآخر ما علم أنه يتلبس بأى لباس صورة شاء بما يعرف ،
ومما ينكر من غير حلول ، فكان ظهوره بصورتي أيضاً جائزاً من غير حلول ،
فصح بهذا دعوى اتحادى مع الحلول »

أمر ابن الفارض باتباع شريعته

ثم قال فى شرح قوله :

مَنْحُتُكَ علماً إن ترد كشفه ، فردَّ سبيلى ، وأشرع فى اتباع شريعتي

قال : « يحتمل أن يكون إضافة الشريعة من الناظم إلى نفسه بلسان الجمع
والترجائية ، ويريد بقوله : فرد سبيل ما أريد به فى قوله تعالى : (١٢ : ١٠٨) قل :
هذه سبيلى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ () وبقوله : شريعتي ، شريعة النبي صلى الله
عليه وسلم » ثم قال :

فنبع صدّاً^(١) من شراب ققيمهُ لَدَى ، فدعنى من شراب بقيمة

== سبحانه لن يتجلى إلا فى صورة واحدة فى كل مرة ، أما هم فيدينون بتجلى ربهم فيما
لا يتناهى من الصور المتباينة فى آن واحد . سابعاً : لم يبين الحديث كنه الصورة
الأولى ، أما صورته الثانية فعرفها بأنها هى التى رآوه فيها أول مرة . أما هم فقالوا
بتجليه فى صورة يغوث ويعوق . وفى صورة عجل السامرى ، وفى صورة نار
المجوس ، بل فى صورة كل مخلوق . سابعاً : ثبت الحديث ربا ، وثبت عبادا ببيتهم
ربهم بتجليه ، وثبت أنهم غير الرب ، وهم يقولون : العبد عين الرب . وثبت
الحديث مكاناً . فما هذا المكان ؟ إهو الرب أم غيره ، إن قالوا بالأول . فما فى
الحديث هذا . وكفاهم خزيا أن يكون ربهم مواطى أقدام . وإن قالوا بالثانى ثبت
وجود غير ، وهم ينفون الغيرة . ثم ما للصوفية يستشهدون بما لا يؤمنون به ؟ إنهم
يزعمون أخذهم عن الله مباشرة ، ويستنكفون العمل بشريعة الله التى جاء بها رسله !
وفى الحديث براهين أخرى ، وحسبنا هذا

(١) فى الأصل : صدى . وصوابها : صداء قال ضرار :

كأنى من وجدى بزينب هاشم يخالس من أحواض صداء مشرباً
وصدء بئر ماؤها أعذب مياه العرب ، ومن الأمثال : ماء ولا كصداء =

صداء ماء العرب يضرب المثل به لعذوبته ، والنقيع : البثر الكثيرة الماء ، يقول مُعَلَّلًا البيت السابق الذى حاصله : أمره باتباع شريعته ، والورود فى سبيل هداه وطريقته ، ونهى عن متابعة غيره يَمْن يدعى التحقيق فى العلم والمعرفة الحقيقية نحو علماء الظاهر من الأصوليين والفلاسفة : أن المورد العذب الهنىء النافع عندى ، ويختص بمشربى ، وهو المفهوم المطابق من الكتاب والسنة ، وإشاملتهما الفاسضة بلا تأويل عقلى وتقليد ، بل على ما هو الأمر عليه ، فإن استطعت أن تخوض فيه ، وتشرب منه ، وإلا فدعنى من سراب علوم علماء الظاهر^(١) ، وتأويلاتهم ومفهوماتهم التى ظاهرها لأجل الفصاحة ، وتركيب الدلائل ، تظهر وتغر السامع الغر^(٢) ، فيحسبها شيئاً نافعاً له ، فإذا قتش عن حقيقتها لم يجد شيئاً ، ولا تحقيق ، ولا معرفة فيها ، ولا طائل تحتها ، وكذلك دلائل الفلاسفة فى المسائل الإلهية ، تغر ، ولا تقر . ولا تذكر عندى مذاهم ومقالاتهم ودلائلهم ، ولا تلتفت إلى ذلك تغز فوزاً عظيماً .

هذا كلام الفرغانى الذى يثنى ابن بنت ابن الفارض فى مقدمة [٢١] الديوان عليه ، وشهد له أنه على نفس جده^(٣) ، وهكذا يفعل فى كل الأبيات مهما وجد شيئاً من التشابه فى الكتاب أو السنة أجراه على ظاهره^(٤) ، وجعله حجتهم فى

= يضرب لما محمد بعض الحمد ، ويفضل عليه غيره . انظر مجمع الأمثال ، والمضاف والنسوب .

(١) يعنى الآخذين بأحكام الشريعة ، والمتفقهين فيها

(٢) الجاهل بالأمور الغافل عنها

(٣) لعله سقط من الكلام ، كلمة : مذهب أو طريقة قبل كلمة جده

(٤) لو أجرى الكلام على ظاهره لنعم فكراً بالحقيقة ، وقلبا باليقين ، ونفساً بالهدى ، ولكنه أجراه على هوى شيطانه . وألمح من قول البقاعى أنه يعنى بالتشابه آيات الصفات وأحادِيثها ، فإن يك قد زل به فهمه ، وقلد فى هذا الزلل غيره ، فأيات الصفات محكمات هن من أم الكتاب يجب إجراؤها على ظاهرها ، أى على =

الاتحاد ، واستحسان الأفعال القبيحة من المكافين ، فإن عجز - بكون الشرع نصاً على قباحتها - يقول : إن فيها حسناً وقبحاً من بعض الوجوه ، ولعل ذلك الوجه يقود أصحاب تلك المقالة إلى الخير ، ويسعى كل السعي في إسقاط الإنكار على أحد في فعل من الأفعال . وكذا نقل البدر بن الأهدل عن شرحه للأبزارى وغيره ، والله المستعان .

تكذيب صريح للقرآن

وقال في فص حكمة أحدية في كلمة هودية : (١١ : ٥٦ من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) : فكل ماش [فعلى] صراط الرب المستقيم ، فهم غير مفضوب عليهم من هذا الوجه ، ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضا ، فكذلك الفضب الإلهي عارض ، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء ^(١)

= ما لها من معان في العرية دون تمثيل أو تشبيه أو تلويث للفهم بما يشهد الحس لها من كفيات بالنسبة إلى الخلق . هذا وإلا جعلنا للعقل - وهو من خلق الله - سلطانا على الخلق العظيم يقوم صفاته بما شاء ، وكيف شاء ، ويرضى له بعضا ، وينكر بعضا ، ويتبدع له بالهوى المصوف صفات وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان وجل جلال الله سبحانه

(١) ص ١٠٦ فصوص ، وابن عربي يكذب بهذا البهتان قوله سبحانه « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المفضوب عليهم ولا الضالين » وغيرها من الآيات . فالقرآن يقرر أن الناس بالنسبة إلى الحق ثلاثة أقسام : قوم عرفوا الحق وآمنوا به ، وهم الذين وصفهم الله بأنهم على صراط مستقيم . وقوم عرفوا الحق ، وأعرضوا عنه كفرا وجحودا ، وهم المفضوب عليهم ، وقوم لم يحاولوا معرفة الحق فلم يهتدوا ، وهم الضالون . وقد خص الله الفريق الأول رضاه ورحمته ، والآخرين بغضه ولعنته . ولكن ابن عربي يجعل الجميع سواء ، هادفا من وراء ذلك إلى تقرير أسطورة وحدة الأديان التي تزعم أن الأديان سماويها ووضعها واحد ، وأن الحق والهدى فيها جميعا ، لا يختص بها دين عن دين ، فالشرك عين التوحيد ، والمجوسية عين الإسلام ، فعابد العجل عندهم كعابد الله . يقول لك الصوفية : كن مشركا كن مجوسيا كن بوذيا كن يهوديا . فأنت على صراط مستقيم

إفك على الله

ثم قال : « اعلم أن العلوم ^(١) الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة ؛ فإن الله تعالى يقول : كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها » فذكر أن هُويته ^(٢) [هى] عين الجوارح التى هى عين العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جارحة علم من علوم الأذواق ينحصرها من عين واحدة ، تختلف باختلاف الجوارح كالماء . حقيقة ^(٣) واحدة مختلف ^(٤) فى الطعم باختلاف البقاع ^(٥) »

قلت : وعلى هذا الضلال عول ابن الفارض ، فقال :

وجاء حديث فى اتحادى ^(٦) ثابت	روايته فى النقل غير ضعيفة
مشيرا بحج الحق بعد تقرب	إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر	بكنت له سما كنور الظهيرة
فكلى لىكل طالب متوجه	وبعضى لبعضى جاذب بالأعنة
ومنى بدالى ما على لبسته	وعنى البوادى بى إلى أعيدت

(١) فى الأصل : الأمور .

(٢) أى حقيقته ، وهدفه من هذا : إثبات أن الإحساسات ، أو المشاعر ، أو الأوهام ، أو الخيالات التى يشعر بها كل إنسان هى فى الحقيقة من مكونات علم الله سبحانه ، فعلم الله عند الصوفية متوقف على علم عبده ، وتعالى الله عما يافك الزنادقة

(٣) فى الأصل : حقيقته .

(٤) فى الأصل . تختلف .

(٥) ص ١٠٧ فصوص .

(٦) فى الأصل : باتحادى .

وفي^(١) شهدت الساجدين لمظهرى فحققت أنى كنت آدم سجدتى^(٢)
تعانقت الأطراف^(٣) عندى وانطوى
بساط السوى عدلا بحكم السوىة

(١) قال القاشانى فى شرح هذا البيت « أى عاينت فى نفسى الملائكة الساجدين لمظهرى ، فعلمت حقيقة أنى كنت فى سجدتى آدم تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لى ، والملائكة صفة من صفاتى ، فالساجد صفة منى يسجد لى ، فالجمع واقع لا يدفع »

وأقول فى قصة آدم ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وطاعتهم لهذا الأمر ، وتمرد إبليس عليه : فى كل هذا ما يتقضى دعاوى الصوفية فى الحلول والوحدة والاتحاد ، لأنها - أى القصة - تثبت رباً آمراً بالسجود ، وتثبت أغياراً كثيرين هم : آدم ، والملائكة ، وإبليس . لهذا يحاول ابن الفارض تصوير القصة ، بما يتواءم وهوى زندقته ، أى بما يرفع فى زعمه هذا التعدد فى الوجود والنوات ، ويرفع المغايرة بين الماهيات . فيقول : لا تحسبن الأمر بالسجود غير من أمروا به ، أو غير من وقع للملائكة له ساجدين ، أو غير من تمرد على هذا السجود ، فإنهم جميعاً عين واحدة ، هى الذات الإلهية . فالأمر هو الله باعتبار الهوية المجردة عن التعيين . وآدم هو مظهر تعين الذات ، أو الهوية ، والملائكة هم تعينات الصفات ، وكذلك إبليس ، فلا تعدد فى الوجود ، ولا غيرية فى الماهيات . فآدم هو الذات ، والملائكة وإبليس هم الصفات ، وما كان السجود الذى وقع سجود ذات لغيرها ، بل كان من صفات لموصوفها ...

ثم ينتقل ابن الفارض من هذا التصوير الصوفى إلى تقرير أنه كان عين آدم ، وكان عين الملائكة ، أى عين الذات الإلهية . وعين صفاتها . هذا هو دين سلطان العاشقين ، أو قل : هذه زندقة رب الصوفيين !!

(٢) يزعم أنه ليس فى الوجود متناقضات ، ولا أضداد ، ولا أغيار ، بل ولا أمثال ، إذ الوجود كله حقيقة واحدة . والحقيقة الواحدة لا يقال عنها : إنها تناقض أو تضاد ، أو تفاير ، أو تماثل نفسها ، ولهذا يؤمن الزنديق أن القدم عين الحدوث والفوق عين التحت ، والنور عين الظلمة ، والأول عين الآخر ، والأزل عين الأبد والآن عين الماضى وعين المستقبل ، وهذه هى الأطراف الوجودية والمكانية والزمانية =

وليس ألت^(١) الأمس غيراً لمن غدا
وجنحى غدا صبحى ويوى^(٢) ليلتي
وسر بلى لله مرآة كشفها وإثبات معنى الجمع نفي المية^(٣)
ظهور صفاتي عن أسامي جوارحي مجازاً بها للحكم نفسى تسمت
رقوم علوم فى ستور هياكل على ما وراء الحس فى النفس ورت

= التى يزعم ابن الفارض أنها تعاقبت عنده ، والتى يقول بعدها أنه حين رأى النقيض عين تقيضه ، والضد والغير نفس ضده وغيره ، انجلت عن بصيرته أوهام السوية ، والغيرية ، فبدت له الحقيقة التى غلفتها بالستر أوهامه . تلك هى أن الوجود حقيقة واحدة ، وأن الخالق عين الخلق ، وأنه هو الله !! هذا هو دين إله الصوفية العاشق (١) يعنى قوله سبحانه (ألت ربكم ؟ قالوا : بلى) مشيراً إلى ما فسرت به الإسرائيليات هذه الآية . وهو تشبانه أخذ العهد على ذرية آدم جميعهم وهم فى ظهره مودعاً فى إشارته تلك كفره الصوفى . ويريد بالغد فى هذا البيت : يوم القيامة فى عرف الشرع . وبينته هذا تأكيد لكفره فى البيت السابق . إذ يقرر هنا . أن الحضرة الأزلية ، أو الذات الأحدية — رغم تكثر مظاهرها ، وتعدد مجالها — تزهت عن عوارض الزمان ، واختلاف الجهات ، وترتب الآنات ، فوقها أحد سرمدى أبدى . يندرج فيه الأزل والأبد ، والمبدأ والأمد ، والأمس والغد ، ولذا فثائم صباح ولا مساء ، ولا نهار ولا ليل ، ويقرر ابن الفارض أن هذا كله له ، ليستدل به على أنه هو الذات الأحدية عينها ، فهو فيما يسميه الصوفية بالآن الدائم ، وهو عندهم امتداد الحضرة الإلهية الذى يندرج فيه الأزل فى الأبد ، وكلاهما فى الوقت الحاضر لظهورها فى الأزل على أحيان الأبد ، وكون كل حين منها مجمع الأزل والأبد ، فيتحد به الأزل والأبد والوقت الحاضر .

(٢) فى الأصل : على . والتصويب من الديوان

(٣) يشير ببلى فى قوله : وسر بلى الخ إلى قوله سبحانه : (ألت ربكم ؟ قالوا : بلى) والجواب ببلى يستلزم وجود سائل ومجيب ، أعنى يستلزم الإنشائية ، بيد أن ابن الفارض يدعى هنا أن السائل عين المجيب ، وهذا فى قوله : وإثبات معنى الجمع نفي المية .

وأسماء ذاتى عن صفات جوانحى جوازاً الأسرار بها الروح سرت
مظاهر لى بدوت فيها ، ولم أكن
على بخاف قبل موطن برزنى [٢٢]
ولما شَعَبْتُ الصَّدْعَ ، والتامت فطو

رُ شملٍ بفرق الوصف غير مشتت^(١)
تحققت أنا فى الحقيقة واحد وأثبت صحو الجمع نحو التشتت^(٢)
وإنى، وإن كنتُ ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

تمجيد الصوفية للمجرمين

ثم قال فى الفصل المودى أيضا : « فسوق المجرمين » وهم الذين استحقوا
القام الذى ساقهم إليه بريح الدبور التى أهلكتهم عن نفوسهم [بها] فهو يأخذ
بنواصيهم ، والريح تسوقهم - وهى عين الأهواء التى كانوا عليها - إلى جهنم ،
(٢٠١) يقول : لما جمعت ما تفرق فى الوجود ، من صفات وأسماء وأفعال ،
تيقنت أن كل شىء هو عين الذات الإلهية ، وأن وجود عين وجوده ، ثم ينتقل
إلى نفسه ، فيقرر أنه آمن عن بينة ، ويقظة بصيرة : أنه هو الله ذاتاً وصفة وإسماً
وقسلاً ، ومشاعر وجوارح ١ .

وهكذا يؤكد ما قررته من قبل ، وهو أن ابن الفارض ممن يدينون بالوحدة ،
لا بالاتحاد . ألا تراء يكرر دائماً أنه آمن عن يقين أنه ما كان فى حال ما ، ولا زمان
ما غير ولا سوى وإنما كان ثم حقيقة واحدة هى الذات الإلهية تجلت فى صور
خلقية ، أما الاتحاد ، فيستلزم أنه كان قبل وجودان ، ثم اتحد أحدهما بالآخر ،
وهذا ما ينكره ابن الفارض وينفيه نقياً باتاً . قد يقال : ومالابن الفارض إذن
يعبر عن معتقده : بالاتحاد ؟ أقول : بما يفصل به ابن الفارض فى الثانية الكبرى
نحزم بأنه يستعمل الاتحاد بمعنى الوحدة ، والعبرة بمعانيه ، لا بالفاظه ، أو لعل
لحظات العجب النفسى ، كانت تبحر بخياله الزنديقى إلى محاولة إثبات أنه هو وحده
الذى تعينت فيه الذات الإلهية ، ثم يضيق من هذا العجب ، فيقررهما شاملة عامة ،
هى أن مظاهر الوجود مقومات للذات الإلهية .

وهى البعد^(١) الذى كانوا يتوهمونه ، فلما ساقهم إلى ذلك الوطن حصلوا فى عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم مجرمون ، فما أعطاهم هذا المقام الذرى اللذيذ من جهة المنّة ، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا فى السعى فى أعمالهم على صراط الرب المستقيم^(٢) ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب^(٣) (٥٦ : ٨٥ ونحن أقرب إليه منكم ، ولكن لا تبصرون^(٤))

زعمهم أن هوية الحق عين أعضاء البعد وقواه

ثم قال : « فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء البعد وقواه^(٥) ، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو حق مشهود فى خلق

(١) فسر الريح بهوى النفس ، وجهنم بالبعد ، وهكذا يصنع فى كل ما يفسر به آى القرآن ، يفسرها بما لا يقره شرع ولا لغة ولا عقل .

(٢) أرأيت كيف يصف المجرمين المشركين : بأنهم سالكون سبيل الهداية الحق ، وصراط الله المستقيم ، لا شئ إلا لأنهم آمنوا بأن الله عين ما عبده من كوكب أو صنم ؟ ! . تستطيع من خلال هذا تبين نار الحقد التى تلتهم قلوب الصوفية على الإسلام وكتابه ورسوله .

(٣) القرب عندهم هو الفناء عن وصف العبودية ، والتحقق بمقام الربوبية ، وترى الزنديق يزعم أن المجرمين من قوم هود كانوا من أعلم الناس بحقيقة الربوبية إذ تجلت لهم غيوب هوياتهم ، فأدركوا وآمنوا أنها عين هوية الله . وأن وصف العبودية لهم مجازى فحسب وهكذا يدين الصوفية رب تجسد حيواناً ضارياً يفسق ويحتج الإثم والفاحشة ، ويلعق دم الجريمة .

(٤) ص ١٠٨ فصوص .

(٥) زاد الآثم فجوراً فى الزندقة ، فافترى على الله أنه ليس عين الخلق جميعاً فحسب ، بل هو عين كل عضو فيهم وجارحة ، وأن قوى الله سبحانه عين قوى الخلق المادية والروحية ، حتى ما يعمل فى الدم ، وينلج فى الحواطر من شهوات =

مقوم ، فاخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين ، وأهل الكشف والوجود^(١) وما عدا هذين الصنفين ، فالحق عندهم معقول ، واخلق مشهود ، فهم بمنزلة الملح الأجاج ، والطائفة الأولى بمنزلة الماء العذب القرات السائغ لشاربه ، قالناس على قسمين : من الناس من يمشى على طريق يعرفها ، ويعرف غايتها ، فهمى فى حقه على صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها ، وهى عين الطريق التى عرفها الصنف الآخر ، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد والجهالة^(٢) »

تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود

ثم قال : « ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا : (٤٦ : ٢٤ هذا عارض ممطرنا) فظنوا خيرا بالله تعالى - وهو عند ظن عبده به - فأضرب لهم الحق عن هذا القول ، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى فى القرب ، فإنه إذا أمطرهم ، فذلك حظ

— الفرائز ، وصور الأوهام !! ولذا يصف العبد بأنه حق مشهود وأن وصفه بالخلقية وهم يظف الحقيقة الكبرى بحجابه ، تلك الحقيقة هى أن العبد جميعا أرباب وآلهة أوهم الرب تعينت أسماؤه آلهة تتجلى فى صور الخلق ، هؤلاء القتلة السفاحون السفاكون مغتصبوا الأعراض ، الوالعون فى الدم ، هؤلاء المرتشون المفسدون فى الأرض ، هؤلاء الذين يروعون أمن الحياة ، وسلام الوجود ، هؤلاء الظلمة الفاتكون بالأيامى واليتامى والأرامل . كل هؤلاء عند الصوفية أرباب خلقوا السموات والأرض ، ولهم ملكوت السموات والأرض !!

(١) غالى الزنديق فزعم أن الخلق ما هو إلا صورة ذهنية وهمية لا تحقق لها فى الخارج . أما الحق - أى الله سبحانه - فهو محسوس مشهود ، إذ لا ينفك عن التعيين فى مادة . وبهت الزنديق بالجهل من يؤمن بأن الله تعالى يتجرد عن المادة ، أو أنه شئ آخر غير المادة .

(٢) ص ١٠٨ فصوص . وغير العارف هذا هو إله الصوفية متعينا فى صورة

بدنية عنصرية ، فالهمم إذا مقلد جاهل يدعو إلى نفسه عن تقليد وجهالة !

الأرض ، وسقى الحب ، فما يصلون إلى نتيجة ذلك الطر^(١) إلا عن بعد^(٢) ، فقال لهم (٤٦ : ٢٤) بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب أليم) . فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة ، فإن بهذه الريح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة ، والمسالك الوعرة ، والسدف المدلّمة ، وفي هذه الريح عذاب ، أى أمر يستعذبونه^(٣) ، إذا ذاقوه ، إلا أنه يوجههم لفرقة المؤلف^(٤) . انتهى ما قاله مكذبا لصريح الذكر الحكيم في قوم قال فيهم أصدق القائلين - سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون [٢٣] علوا كبيرا (٧ : ٧١) قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ، (٧ : ٧٢) فكذبوه فأنجيناهم والذين معه برحمة منا ، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ، وما كانوا مؤمنين) ، (١١ : ٥٩ ، ٦٠) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ، وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة ، ألا إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود)

ابن عربى يزعم أنه اجتمع بالأنبياء

ثم ادعى في هذا الفصل أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في مشهد واحد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وأنه ما كلمه منهم إلا هود ، وقال : « رأيت^(٥) لطيف

(١) فى الأصل : الظن

(٢) فى الأصل : « فقد أى بعد »

(٣) فسر الريح التى أهلك الله بها عادا بالرحمة والراحة ، وفسر العذاب الذى

حاق بهم بأنه أمر تستعذبه النفس . فتأمل !

(٤) ص ١٠٩ فصوص

(٥) ذكر المؤلف قبل قول ابن عربى ملخصا ، وإليك نصه : « واعلم أنه لما أطلعنى الحق ، وأشهدنى أعيان رسله عليهم السلام ، وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين فى مشهد أقمت فيه بقرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة ما كلمنى أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام ، فإنه أخبرنى بسبب جمعيتهم ، ورأيت رجلا ضخما فى الرجال حسن الصورة . . . الخ » انظر الفصل الهوى من فصوص الحكم

المحاورة عارفا بالأمر ، كاشفاً لها ، ودليلى على كشفه لها قوله : (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) وأى بشارة للخلق أعظم من هذه ؟ ثم من امتنان الله علينا أن أوصل إلينا هذه المقالة عنه في القرآن ؟

ظن الصوفية بالله سبحانه

ثم تممها الجامع لكل محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أخبر به عن الحق أنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان ، أى : هو عين الحواس والقوى الروحانية أقرب من الحواس ، فاكتمنى بالأبعد المحدود عن الأقرب المجهول الحد^(١) ، فترجم الحق لنا عن نبيه هود مقالته لقومه بشرى لنا ، وترجم رسول الله صلى الله عليه وسلم [عن الله] مقالته بشرى ، فأكمل العلم في صدور الذين أوتوا العلم (٢٩ : ٤٧) وما ينجحد بآياتنا إلا الكافرون) فإنهم يسترونها - وإن عرفوها - حسداً منهم ونفاسة وظلماً ، وما رأينا قط من عند الله في حقه تعالى في آية أنزلها ، أو إخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلا بالتحديد ، تنزيهاً كان أو غير تنزيه ، أولها الماء الذى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، فكان الحق فيه قبل أن يخلق الخلق ، ثم ذكر أنه استوى على العرش ، فهذا أيضاً تحديد ، ثم ذكر أنه ينزل إلى السماء الدنيا ، فهذا تحديد ، ثم ذكر أنه فى السماء ، وأنه فى الأرض^(٢) ، وأنه

(١) يقول الرنديق : إذا كان الله سبحانه عين حواس العبد وجوارحه ، فأولى أن يكون عين قواه الروحية . . . ويريد بالأبعد المحدود : الحواس وبالأقرب المجهول : القوى الروحية ، الألسنة الآتمة الوالقة فى الأعراض ، والأيدى الملوثة بالجريمة السارقة ، والأقدام التى تدب تحت الليل لتنتهك كل حرمة ، وتستلب كل كنز . والشفاه الملوثة بأصباغ الشهوات . إنها ألسنة وأقدام وأيدى وشفاه الإله الذى يعبد الصوفية ! !

(٢) يوصى إلى قوله سبحانه : (٤٣ : ٨٤) وهو الذى فى السماء إله ، وفى الأرض إله) ، ويزعم أنها ذات دلالة على أن الله فى السماء ، وفى الأرض ، بل عين السماء وعين الأرض ، فى حين أن دلالة الآية جلية بيّنة على أنه سبحانه وحده إله من =

معنا^(١) أينما كنا. إلى أن أخبرنا أنه عينا ، ونحن محدودون ، فما وصف نفسه إلا

== في السماء ومن في الأرض ، وأنه المعبود من أهلها ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » فالآيات مسوقة لبيان أن الله سبحانه له وحده الربوبية والإلهية ، وأنه بيده ملكوت السماء والأرض . إذ جاء قبل تلك الآية « سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون » وجاء بعدها « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، وإليه ترجعون » ورغم الإشراق العلوى من البيان وجلالته ووضحه يأبى ابن عربى إلا أن يفسر الآية بهذا البهتان الخبيث

(١) يفسر ابن عربى المعية هنا بأنها معية الذات ، وليت هذا فحسب ، بل يريد من وراء هذا الفهم إثبات أننا عين الله ذاتا ووجودا وصفة ، وإليك ما جلى به الشيخ ابن تيمية مسألة المعية : كلمة « مع » فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب محاسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى . ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : (يعلم ما يلج فى الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : أنه مطلع شهيد عليكم ، مهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : معهم بعلمه . ولفظ المعية استعمل فى الكتاب والسنة فى مواضع تقتضى فى كل موضع أمورا لا تقتضها فى الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع موارد ، وإن امتاز كل موضوع بخاصيته ، وعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق « انتهى باختصار عن مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٤٥١ وما بعدها . وأقول : لا يخلو تصوير الزنديق للمعية من أحد أمرين ، فلما أن تكون الذات مختلطة بكل ذوات الخلق ، وإما أن تكون مختلطة ببعض دون بعض . فإن قال بالأول لزمه القول بانقسام الذات ، وانفصال بعض أجزائها عن بعض ، بل لزمه القول بتعدد الماهيات ، وبالفيرية والتكثير الحقيقين ، وبأن كل شئ ليس عين الذات ، بل بعضها ، أو جزءها . وهذا غير ما يدين به الزنديق ، فهو يفترى أن هوية الحق وماهيته عين هوية كل موجود وماهيته ، وإن قال بالثانى لزمه ذلك ==

بالحد . وقوله (٤٢ : ١١ ليس كمثل شيء) حد أيضاً ، إن أخذنا الكاف زائدة لغير الصفة ، ومن تميز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود ، فالإطلاق عن التقييد تقييد ، والمطلق مقيد بالإطلاق لمن فهم ، وإن جعلنا الكاف لصفة فقد حددناه ، وإن أخذنا « ليس كمثل شيء »^(١) على نفي المثل تحققتنا^(٢) بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة ، وإن اختلفت حدودها فهو محدود بحد كل محدود ، فما يُحدَّ شيء إلا وهو حدَّ الحق ، فهو السارى في مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود ، فهو عين الوجود ، فهو على كل [شيء] حفيظ ، ولا يؤوده حفظ شيء ، لحفظه تعالى للأشياء كلها حفظه^(٣) لصورته ، أن يكون الشيء غير صورته [٢٤] ولا يصح إلا هذا ، فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير^(٤) « هذا لفظه هنا ، وتقدم في الفص الآدمي : أن العالم يُعبَّر عنه في اصطلاحهم بالإنسان الكبير ، فراجعه تعرف صراحة كفر الخبيث .

الكون هو رب الصوفية

ثم قال : « فقل في الكون ما شئت . إن شئت قلت : هو الخلق ، وإن شئت [قلت] هو الحق ، وإن شئت قلت : هو الحق الخلق ، وإن شئت قلت :

== أيضاً في البعض الذى يقول باختلاط الذات به ، ولزمه في البعض الآخر القول بأن من الخلق من ليس عين الذات ، بل غيرها . وهذا تقيض ما يدعيه ! ولكن ماذا نقول في مجبول يزعم أن العدم عين الوجود ، وأن الشيء نفس تقيضه ؟ !

(١) سبق الرد على ما يلبس به الزنديق ويفتره هنا

(٢) في الأصل : تحققتنا

(٣) في الأصل : حفظ

(٤) ص ١١١ فصوص الحكم

لا حق من كل وجه ، ولا خلق من كل وجه^(١) ، وإن شئت قلت بالخيرة في ذلك ، فقد بانت المطالب بتعيينك المراتب ، ولولا التحديد ما أخبرت الرسل بتحول الحق في الصور ، ولا وصفتَهُ بمخلع الصور عن نفسه :

فلا تنظر العين إلاَّ إليه ولا يقع الحكم إلا عليه^(٢)

ثم قال : « وبالجملة ، فلا بد لكل شخص من عقيدة في ربه يرجع بها إليه ، ويطلبه فيها [فإذا تجلَّى له الحق فيها عرفه ، وأقرَّ به ، وإن تجلَّى له في غيرها أنكره وتعوذ منه ، وأساء الأدب عليه في نفس الأمر ، وهو عند نفسه أنه قد تأدب معه] فلا يمتنع معتقد إلها إلا بما جعل في نفسه ، فالإله في الاعتقادات بالجملة فما رأوا إلا نفوسهم ، وما جملوا فيها .

لم يقول الصوفية بوحدة الأديان

فإياك أن تتقيد بمقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه . فكُن في نفسك هيولى^(٣) لصور المعتقدات

(١) لا حق من كل وجه باعتبار تعينه في صور بدنية عنصرية ، أو باعتبار ظاهره . ولا خلق من كل وجه باعتبار هويته ، أو باعتبار باطنه . هذا هو مراد الزنديق .

(٢) يقول : كل ما تقع العين عليه في الحياة ، فهو الله ، سل الصوفي في المواخر من ترى ثم ؟ وسل الصوفي يرعى الخنازير ماذا تسوق ؟ وسل الصوفي يرى الجيف المتننة ، والرَّمم البالية ماذا ترى ؟ إنك ستسمعه يجيأ — وهو يتحدثك بالنظرة الساخرة — إنه الله !!! هذا معنى الشطر الأول من البيت ، أما الشطر الثاني فبرزع فيه الزنديق : إن كل ما نحكم به على الأشياء فهو في الحقيقة محكوم به على الله سبحانه ، إذ هو في إفك الزنادقة عين كل شيء فإذا حكمت على شيء بأنه حماد ، أو عجل ، أو صنم ، أو رجس ، أو جيفة — كانت تلك الأحكام كلها واقعة على رب الصوفية كما يدينون ، لأنها ليست شيئاً آخر غير هذا الرب الصوفي

(٣) يريد بها هنا ما يقبل التأثير ، يقول الزنديق : اجعل نفسك بحيث تقبل =

كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم [من] أن يحصره عقد دون عقد ، فإنه يقول :
(١١٥ : ٢) فأينما تولوا فثم وجه الله ^(١) .

ثم قال : « فقد بان لك عن الله تعالى أنه في أَيْنِيَّةٍ ^(٢) كل وجهه ^(٣) ،
وما ثم إلا الاعتقادات ، فالكل مصيبٌ ، وكل مصيبٌ مأجورٌ ، وكل مأجورٌ
سعيد ، وكل سعيدٌ مرضى عنه ^(٤) ، وإن شقي زماناً مآ في الدار الآخرة ، فقد
مرض ، وتآلم أهل الضاية - مع علمنا بأنهم سعداء وأهل حق - في الحياة الدنيا »

الوحدة عند ابن الفارض

وإلى هذه الجمالة والضلالة رمز ابن الفارض في هذه المقالة :

فلا تك مفتوناً بِحِسِّكَ مُعْجَباً بنفسك موقوفاً على لبس غرة
وفارق ضلال الفرق فالجمع ^(٥) مُنتَبِجٌ هُدَى فُرْقَةٍ بالانحداد تَحَدَّتْ
وَصَرَّحَ بإطلاق الجمال ، ولا تقل بتقييده مَيْلاً لِزُخْرَفِ زينة
فكل مليح حُسْنُهُ من جالها مُعَارٌ له ، أو حسن كل مليحة

= كل معتقد ، وترضى به . وتعتقد أنه حق ، واحذر أن تنكر على المشرِكِ شرِكه ،
أو على المجوسى مجوسيته . واحذر أن تقيّد نفسك بدين خاص وتُحارب سواه ،
فالآلهة المعبودة في كل دين هى في حقيقتها الإله الواحد ، وإن تك كوكبا أو
أحجارا ، أو موتى . . وكل عابد لأى منها عابد لله ، فما ذلك المعبود إلا عين ذات
الله !! وتعالى الله عن إفك الزنادقة

(١) ص ١١٣ فصوص

(٢) نسبة إلى الأين ، وهو حال تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان

(٣) في الأصل : وجه

(٤) إيمان الزنديق بوحدة الأديان نتيجة إيمانه بوحدة الوجود ، وتراه هنا

يقرر الأولى ، فيزعم أن من تدين بأى دين - سواء كان وضعا أم مملوياً - فهو

سعيد مرضى عنه من الله

(٥) في الأصل : والجمع

بها قيسُ لبني هام ، بل كل عاشق
فـكـلُّ صَبَاً منهم إلى وصف أنسها
وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر
بدت باحتجاب ، واختفت بمظاهر
ففى النشأة الأولى تراءت لآدم
فهام بها - كما يصير بها - أبا
وما برحت تبدو وتختفى لِهَلَّةٍ
وتظهر للعشاق فى كل مظهر
ففى مرة لبني ، وأخرى لبينة
ولسن سواها ، لا . ولا كُنَّ غيرها
كذلك بحكم الاتحاد بحسنها
بدوت لها فى كل صَبٍّ متميم
كـجـنـون ليلي ، أو كـثـير عزة
لصورة حُسنٍ لاح فى حُسن صورة
فظنوا سواها ، وهى فيها ^(١) تجلت
على صِبْغِ التلوين فى كل بَرَزَةٍ ^(٢)
بمظهر حَوًّا قبل حكم الأمومة
ويظهر بالزوجين حكم ^(٣) البُنُوَّةِ
على حسب الأوقات فى كل حقبة
من اللبْسِ فى أشكال حسن بديعة
[٢٥] وآونة تُدعى بعِزَّة . عزَّت
وما إن لها فى حسنهما من شريكة ^(٤)
كالى بدت فى غيرها ، وتزَيَّت
بأى بديع حسنه ، وبأيت ^(٥)

(١) فى الأصل : فيهم ، والتصويب من الديوان

(٢) البرزة : المرة من البروز ، أو المرأة العفيفة تبرز للرجال ، وتتحدث معهم

وإخاله يريد بها هذا ، إذ هو بصدد ذكر تجلى الحقيقة الإلهية فى صور النساء

(٣) فى الأصل : سر

(٤)، (٥) يفترى سلطان الزنادقة أن الذات الإلهية تتجلى - أتم وأجل ما تتجلى -

فى صور النساء الجليات ، ويفترى أنها تجلت فى صور ليلي وبينة وعزة ، وقد رمز
بهن عن كل امرأة جميلة عاشقة معشوقة ، ولما كان من طبيعة هذا الرب الصوفى
العشق ، كان لا بد له من التجلى فى صور عشاق . ليعشق ، ويعشق ، فتجلى فى
صور قيس وجبل وكثير عشاق أولئك الغانيات . وقد رمز بهم عن كل فتى اختبله
الحب وتيمته الصباية ، ثم يفترى أيضا الزعم بأن العاشق ليس غير العشيق بل هو
هى ، فالرب الصوفى عشق وعاشق وعشيق . فليلي وقيس مثلاً عند ابن الفارض هما
الرب تعينت ذاته فى صورة امرأة تعشق وتعشق هى ليلي ، وفى صورة رجل يعشق =

ولبسوا بخيري^(١) في الهوى لتقدم
وما القوم غيري في هواها^(٢) وإما
على لِسْبِقِي في الليالي القديمة
ظهرت [لهم] لِلْبَسِ في كل هيئة
وأونة أبدو جميل بثينة
طفا بهم فاعجب ليكشف بسُترة
أسام بها كنتُ للسدي حقيقة
وكانت لي البادي بنفس تخفت
وما زلت إياها ، وإيائي لم تزل
ولا فرق ، بل ذاتي لذاتي أحببت^(٣)

==ويعشق. هو قيس . وليأمل القارئ ممي . فابن الفارض حين يتحدث عن الذات الإلهية باعتبارها حقا يحكم بأنها تظهر في صور نساء ، وإذا تحدث عنها باعتبار تمثيلها فيه يحكم بأنها تظهر في صور رجال ، يريد بهذا أن يفضل الرب المتعين فيه عن الرب المتعين في غيره ، أو بتعبير أبين صراحة ، يفضل نفسه على الرب الذي يظهر في صورة امرأة ، ويجعل من نفسه قبا عليه ، فالرجال — كما لا يخفى — قوامون على النساء !

(١) في الأصل : سواي

(٢) في الأصل : هواي

(٣) هذا وما قبله بين الدلالة على إيمان ابن الفارض بالوحدة ، لا بالاتحاد ، فإنه حين عبر بقوله : وما زلت إياها خشي أن يقال عنه أنه ما زال يستشعر إنثنية ما ، لوجود محمول وموضع في تعبيره — وإن كان الحمل سوريا ، إذ المحمول عين الموضع — أقول : خشي أن يقال عنه هذا فعقبه بقوله : ولا فرق ، حتى لا يفهم أن الذات المعبر عنها بضمير المتكلم ، وهو التاء في « ما زلت » غير المعبر عنها بضمير المقاب في إياها . وإنما هي هي . وزاد ابن الفارض أيضا في كفره ، فقال : بل ذاتي لذاتي ، ليجرد الذات الإلهية من وجودها الخاص ، وليؤكد أن ليس لها من وجود إلا هذا الوجود المقيد المتعين في هذا أو ذاك من أفراد الخلق ، ولإثبات الوحدة التامة بين الحق والخلق — لا في الباطن فحسب — بل في الظاهر ، ثم لترض آخر ، وهو أن الذات الإلهية ، نالت كمالها بتعينها في صورة ابن الفارض . هذا هو دين من لا يزال كبار الشيوخ — بله الزنادقة الصوفية — يلقبونه : سلطان العاشقين

وليس معنى في الكون شيء سوى وأن مَعْيَةً لم تخطر على أَلْمَعْيَتِي^(١)

الكثرة عين الوحدة

ثم قال ابن عربي في فص حكمة قلبية في كلمة شعبية : « وصاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد ، كما يعلم أن مدلول الأسماء الإلهية ، وإن اختلفت حقائقها وكثرت أنها عين واحدة ، فهذه كثرة معقولة في واحد العين ، فيكون في التجلي كثرة مشهودة في عين واحدة ، كما أن الهيولى^(٢) تؤخذ^(٣) في حد كل صورة [وهي] مع كثرة الصور [واختلافها] ترجع^(٤) في الحقيقة إلى جوهر واحد ، هو^(٥) هَيُولَاها ، فمن عرف نفسه بهذه المعرفة ، فقد عرف ربه ، فإنه على صورة خلقه بل هو عين هويته وحقيقته^(٦) .

-
- (١) هذا تأكيد لما يدين به من الوحدة ، ولذا يلح في نفى المصية ، نفي أن يكون ثم في الكون غير أو سوى إذ ما ثم إلا حقيقة واحدة ، هي هوية الحق ، تكثرت بظاهرها الخلقية - والألعية : الذكاء والفطنة
- (٢) يراد بها : المادة ، أو مابها الشيء بالقوة ، أو ما يقبل التأثير
- (٣) ، (٤) ، (٥) في الأصل : يؤخذ - ويرجع - وهو . والتصويب من الفصوص .

(٦) ص ١٢٤ فصوص ، وقد خاف ابن عربي أن يظن به أنه يدين بمشاركة الإنسان لله في أمر عرضي وهو الصورة ، وذلك من قوله : فإنه على صورة خلقه - وإن كان يعنى بالصورة هنا : مابها الشيء بالفعل - أقول : خاف هذا ، فأضرب عن قوله هذا ، وأنبه بقوله : بل هو عين هويته وحقيقته . بالزندانق !!

فرعون حقيقة الله عنده ، وقارون ، وهامان ، وأبو جهل ، وأبو لهب ، بل كل آثم غوى الضلالة والفجور . كل هذا ، والشيوخ يسبحون بحمد ابن عربي ، ورونه الروح الرفاف في ملكوت الجلال الأعظم ، والنور الذي هدى إلى قدس الحقيقة .

أما قولنا زيادا عن جلال الله : إن ابن عربي كافر . فهو قول عند الشيوخ يستعصى على المنفرة !!

قلت : وإلى هذا الحال أشار ابن الفارض فقال :
 رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُدتى
 وعد جملة من أفعال البر في أبيات ، ثم قال :
 ودقت فكبرى في الحلال تورعا وراعت في إصلاح قوتى وقوتى
 متى حلت عن قولى : أنا هى أو أقل وحاشا لمثل^(١) أنها في حلت
 وهذا مثل ما يقال : خاب فلان وخسر ، وكان مثل إبليس ، إن كان منه كذا

فعل المبد عين فعل الرب عند الصوفية

وقال ابن عربى في فص حكمة نبوية في [كلمة] عيسوية :

فإنا أعبدُ حقاً	وإن الله مولانا
وإنّا عينه ، فاعلم	إذا ما قلت : إنسانا
فلا تُحجَبَ بإنسان	فقد أعطاك برهانا
فكن حقاً ، وكن خلقاً	تكن بالله رحماناً ^(٢)

وقال في فص حكمة رحمانية في كلمة سليمانىة : « والعمل مُقَسَّمٌ على ثمانية

(١) في الأصل : هداها

(٢) ص ١٤٣ فصوص والرحمن عند الصوفية « اسم الحق باعتبار الجمعية
 الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية الفائض منها الوجود ، وبقية الكمالات على جميع
 الممكنات » السكشخالى فى جامعته تحت المادة . . فهو مرادف للوجود المطلق .
 ويفترى الزنديق ، فيزعم أن العارف يكون رحماناً — أى وجوداً مطلقاً ، أى نفس
 الله سبحانه — إذا آمن أنه الحق ، وأنه الخالق ، إذا نظر إلى باطنه ، فأيقن أنه
 حقيقة الحق ، وإلى ظاهره ، فأيقن أنه مظهر خلقى لحقيقة الحق . بهذه النظرة
 الشاملة من العارف إلى غيبه ، وشهوده ، يكون هو الذات الإلهية الجامعة للأسماء
 الإلهية كلها . . هذا مراد من يجعل الصوفية اسمه تيمية ، والتسبيح بحمده روحانية
 ابتهاج ، وصلاة ضراعة ، ونسك قرابين ١١١

أعضاء من الإنسان ، وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها^(١) ، فلم يكن العامل غير الحق ، والصورة للعبد ، والهوية مدرجة^(٢) فيه ، أى فى اسمه ، لا غير ؛ لأنه تعالى عين ما ظهر^(٣) .

ما الخلق ؟

ثم قال : « فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية ، والنسب الربانية ، ثم أوجبها على نفسه بظهورنا لنا ، وأعلمنا أنه هو يتنا ، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلا^(٤) نفسه ، فخرجت الرحمة عنه ، فعلى من [٢٦] امتن ، وما ثم إلا

(١) يزعم الزنديق أن الحق سبحانه عين كل عضو وجارحة من كل إنسان ، فإذا سرق يد فالسارق رب الصوفية ، وإذا اجترح الفاحشة أثم ، فهو رب الصوفية وإذا ولغ لسان فى الأعراض الشريفة فالوالغ رب الصوفية . وهكذا كل من يقترف جريمة ، أو يروع الحق بباطله ، والفضيلة بذائله ، فهو فى الحقيقة رب خلاق عند الصوفية !! ولست أدري أى إله هذا الذى تقطع يده ، ويرجم ، ويحمله ، وتقطع أيديه وأرجله من خلاف . وينفى من الأرض ؟ أى إله هذا الذى يتدلى من مشافره ملايين الألسن ، وتطحن الأعراض فى شذيقه ملايين الضروس ، ويدب على الأرض فاتكا مدمرا على اثنين الأرجل ؟ إنه الإله الذى يحرق الصوفية أرواحهم فى المحاريب ضراعة باسمه الكريم !! وكنت بصدد الإشارة إلى أن ابن عربى بهذا يثبت أنه ممن يدينون بالجبر القاهر المطلق ، بيد أن خبيثته أخبت وأدنا عهر من هذا ، إنه يهدف إلى جعل الأمر فوضى وإباحية عريضة المجون ، إلى الانتفاض على كل شرعة وقانون ونظام ، بل إلى، شنها حربا طاحنة على الإسلام وحده ، فإنه محمد اليهودية بعبادة عجل السامرى ، والمسيحية بعبادة عيسى والمجوسية بعبادة النار ، والوثنية بعبادة الأصنام ، ثم التفت إلى المسلمين زاريا محقرا مبغضا ساخرا . لماذا ؟ لأنهم يعبدون ربا واحدا ، هو الله رب العالمين !!

(٢) فى الأصل : مندوجة

(٣) ص ١٥١ — ١٥٢ فصوص الحسم

(٤) فى الأصل : لا .

هو؟ إلا أنه لا بُدَّ من حكم لسان التفصيل ، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم ، حتى يقال : إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين^(١) .

زعمه أن التفاضل لا يستلزم التفاضل

ثم قال : « فكل جزء من العالم ، أى هو قابل لحقائق متفرقات الصالح كله ، فلا يقدح قولنا : إن زيدا دون عمرو في العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو ، وتكون في عمرو أكل [وأعلم منه في زيد] كما تفاضلت الأسماء الإلهية ، وليست غير الحق ، فهو تعالى - من حيث هو عالم - أعم في التعلق من حيث ما هو مريد وقادر ، وهو هو ليس غيره^(٢) ، فلا تمله هنا يا ولى ، وتجهله

(١) ص ١٥٣ فصوص

(٢) يشهد العقل والحس والوجدان أن بعض الخلق أفضل من بعض ، وليس هذا في الإنسان فحسب ، بل كذلك في الحيوان والجماد والنبات ، فالعالم أفضل من الجاهل ، والقادر أفضل من العاجز ، والمؤمن غير الكافر ، وفي إثبات التفاضل إثبات للغيرية ، وحكم بأن الأفضل ليس عين الفاضل المفضول ، فكيف إذن يكون الحق عين الخلق . في حين أن الخلق يفاير بعضهم بعضا ؟ وهذه المفارقة . تقتضى ولا ريب ثبوت أن الخلق غير الحق . وهذا ينقض دين ابن عربى في الوحدة . وقد أحس الزنديق بخطر هذه الشهادة العقلية الحسية الوجدانية على معتقده . فراح يكدح في سبيل دفع هذا الخطر . زاعما أن هذا التفاضل لا يستلزم مطلقا . مفارقة الحق للخلق . ولا مفارقة الذات الإلهية لنفسها أو مظاهرها . فهو ليس تفاضلا واقعا بين ذات وغيرها ، بل بين بعض صفات وأسماء هذه الذات ، وبين بعضها الآخر ، وهذا لا يستلزم إلا مفارقة اسم لاسم ، أو صفة لصفة ، لا ذات لذات ، ثم يفصل هذا بقوله كاستدلال على صدق معتقده : إن الأسماء ، أو الصفات الإلهية ، يفضل بعضها بعضها ، فاسمه - تعالى - العالم . أفضل من اسمه - سبحانه - المريد . وذا أفضل من اسمه : القادر . إذ العلم أفضل من الإرادة . وهما أفضل من القدرة . وهذا لشمول العلم وتعلقه بكل ما هو معلوم . سواء أكان أمرا وجوديا أم عدميا . موجودا بالقوة ، أم موجودا بالفعل . ممكن الوجود أم مستحيله =

هنا ، وثبتته هنا ، وتنفيه هنا ، إلا إن أثبتته بالوجه الذى أثبت نفسه ، ونفيه عن كذا بالوجه الذى نفي نفسه ، كآلية الجامعة للنفي والإثبات فى حقه حين قال : (ليس كمثل شئ) فنفى (وهو السميع البصير) فأثبت بصفة نعم كل سامع بصير

== ولا كذلك الإرادة . ثم إن الإرادة أسبق من القدرة . وبهذا كانت أفضل . ثم يستطرد فى تليسه قائلا : يبد أن هذا التفاضل لا يمكن أبدا استلزام أن يكون الإله غير نفسه . بل لا يمكن أن تحكم إلا بأن العالم عين القادر . عين المرید ومن هذا يثبت أن التفاضل لا يستلزم الغيرية أو التعدد . ثم ينتقل من هذا إلى ما يهدف إليه ، فيزعم أنه لما كانت الموجودات هى تعينات أسماء الذات الإلهية وصفاتها ، كان التفاضل الواقع بين الموجودات ، صورة للتفاضل الذى كان واقعا بين الأسماء والصفات قبل تعينها فى صور الموجودات ، وقد ثبت أن هذا التفاضل لا يستلزم غيرية ولا تعدد ، فيصدق القول : بأن الحق عين الخلق ، ويصدق القول : بأن محمداً هو عين أبى جهل ، عين أبى لهب ، عين فرعون ، وبأن العالم عين الجاهل ، والمؤمن عين الكافر ، والوحيد عين الشرك ، لأن كل طرف من هذه المقابلات ما هو إلا اسم إلهى تعين فى هذا الطرف ، ومنه يثبت — هكذا زعم الزنديق — أن العالم — رغم ما فيه من تفاضل يشعر بالغيرية — ليس شيئاً آخر غير الحق ، بل هو عينه ، إذ ما هو إلا أسماء الله وصفاته التى تعينت فى صور هذا العالم ، هذا هو مراد الزنديق ، وما لثمت من أجله أنفاسه ، ليثبت به قوله : « لا يقدح قولنا : إن زيدا دون عمرو فى العلم أن تكون هوية الحق عين زيد وعمرو » ورغم ما فى هذا الهراء من تلبيس زنديق ، فللعقل — أى عقل كان — أن يصرخ فى وجه ابن عربى بالحق : ما زلت أيتها الزنديق فى حاجة — ولن تقضى لك والله هذه الحاجة أبداً — إلى إثبات أصل زندقك ، وهو أن هذه الموجودات هى تعينات أسماء الله . فقد بنيت هراءك الجبوسى كله على هذا الأصل الذى يحسد بيت العنكبوت على قوته . وأقول : العقل وحده ، إذ يستطيع كل امرئ يفهم آية واحدة من القرآن أن يحكم على ابن عربى بالزندقة الفاجرة . ولكن ماذا نفعل للكبار الكبار الذين يستظهرون ألف متن وحاشية ، والمصحف حتى علام الوقف فيه ١١ يؤمنون بالزندق ، ويكفرون بآيات الله ، ويقصدون فصوص الحسم ، ويحجدون بالذكر الحكيم ١ .

من حيوان ، وما نأى إلا حيوان ، إلا أنه بطن في الدنيا عن إدراك بعض الناس ، وظهر في الآخرة لكل الناس ، فإنها الدار الحيوان ، وكذلك الدنيا ، إلا أن حياتها مستورة عن بعض العباد ، ليظهر الاختصاص والمفاضلة بين عباد الله بما يدر كونه ^(١) من حقائق العالم فمن عم إدراكه ، كان الحق أظهر في الحكم من ليس له ذلك العموم ، فلا تجب بالتفاضل ، وتقول : لا يصح كلام من يقول : إن الخلق هوية الحق ، بعد ما أريتك التفاضل في الأسماء الإلهية التي لا تشك أنت أنها [هى] الحق ، ومدلولها المسمى بها وليس إلا الله ^(٢) .

الضال مهتد ، والكافر مؤمن

ثم قال : « نحن على الصراط المستقيم الذى الرب عليه ، لكون نواصينا في يده ، وتسهيل مفارقتنا إياه ، فنحن معه بالتضمن ، وهو معنا بالتصريح ، فإنه قال : (٤: ٥٧) وهو معكم أينما كنتم) ونحن معه بكونه آخذاً بنواصينا فهو تعالى مع نفسه حيثما مشى بنا من صراطه ، فما أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ^(٣) » ثم قال في فص حكمة وجودية في كلمة داودية (٢٢: ٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا) وإن اتفقا ، فنحن نعم أنهما لو اختلفا [تقديرا] لنفذ حكم أحدهما فالنافذ الحكم هو الإله على الحقيقة ، والذي لم ينفذ حكمه ليس بإله ، ومن هنا تعلم أن كل حكم ينفذ اليوم في العالم أنه حكم الله ، وإن خالف الحكم المقرر في الظاهر المسمى : شرعا ؛ إذ لا ينفذ حكم إلا الله في نفس الأمر ، لأن الأمر الواقع في العالم إنما هو على حكم المشيئة ^(٤) .

(١) في الأصل : يذكرونه .

(٢) ص ١٥٣ فصوص الحكم .

(٣) ص ١٥٨ فصوص .

(٤) ص ١٥٦ فصوص .

لن يعذب كافر عند الصوفية

ثم قال : « ولما كان الأمر [في نفسه] على ما قررناه ، لذلك كان مآل الخلق إلى السعادة على اختلاف أنواعها ، فعبرَ عن هذا المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء ، وأنها سبقت الغضب الإلهي ، والسابق متقدم ، فإذا لحقه هذا الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم ، فنالته الرحمة ، إذا لم يكن غيرها سبق ، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه ، لتحكم على من وصل [٢٧] إليها ، فإنها في الغاية وقفت ، والسكل سالك إلى الغاية ، فلا بد من الوصول إليها ، فلا بد من الوصول إلى الرحمة ، ومفارقة الغضب ، فيكون الحكم لها في كل واصل إليها ، بحسب ما يعطيه حال الواصل إليها .

فمن يك ذا فهم يشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم ، فيأخذه عنا
فإنمَّ إلا ما ذكرناه ، فاعتمد عليه ، وكن في الحال فيه كما كنا
فنه إليه ما تلونا عليكم ومنا إليكم ما وهبناكم منّا^(١)
وقال في فص حكمة نفسية في كلمة يونسية^(٢) « وأما أهل النار فما لهم إلى النعيم
ولكن في النار ، إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب ، أن تكون برداً
وسلاماً على من فيها ، وهذا نعيمهم ، فنعيم أهل النار - بعد استيفاء الحقوق -
نعيم خليل الله حين ألقى في النار ، فإنه عليه السلام تَعَذَّبَ برؤيتها ، وبما تعود
في علمه ، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان ، وما علم سراد الله
فيها ، ومنها في حقه ، فبعد وجود هذه الآلام وجد برداً وسلاماً مع شهود الصورة
اللونية في حقه ، وهي نار في عيون الناس ، فالشيء الواحد يتنوع في عيون
الناظرين . هكذا هو التجلي الإلهي^(٣) . »

(١) ص ١١٦ فصوص .

(٢) في الأصل : يوسفية .

(٣) ص ١٦٩ فصوص .

وقال في فص حكمة غيبية في كلمة أيوبية : « وقد ورد في العلم الإلهي النبوي اتصاف الحق بالرضا والغضب ، وبالصفات ، والرضا مزيل للغضب ، والغضب مُزِيلٌ للرضا عن المرَضِيِّ عنه ، والاعتدال : أن يتساوى الرضا والغضب ، فما غضب الغاضب على من غضب عليه ، وهو عنه راضٍ ، فقد اتصف بأحد الحكيمين في حقه ، وهو مَئِيلٌ ، وإنما قلنا هذا لأجل من يرى أن أهل النار ، لا يزال غضب الله عليهم دائماً أبداً في زعمه ، فمآلم حكم الرضا من [الله] فصيح المقصود ، فإن كان — كما قلنا — مآل أهل النار إلى إزالة الآلام ، وإن سكنوا النار ، فذلك رضا ، فزال الغضب لزوال الآلام ، إذ عين الألم عين الغضب إن فهمت . فمن غضب ، فقد تأذى ، فلا يسعى في انتقام المغضوب عليه بإيلامه إلا ليجد الغاضب الراحة بذلك ، فينتقل الألم الذي كان عنده إلى المغضوب عليه ، والحق إذا أفردته عن العالم يتعالى علواً كبيراً عن هذه الصفة على هذا الحد ، وإذا كان الحق هوية العالم ، فما ظهرت الأحكام كلها إلا فيه ومنه ، وهو قوله : (١٢٣ : ١١) وإليه يرجع الأمر كله (حقيقة وكشفاً ^(١)) (فاعبده وتوكل عليه) حجاباً وستراً ^(٢) ، فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ^(٣) ، لأنه على صورة

(١) يعني بالأمر : كل مظاهر الوجود وأحكامه ، ويفترى بهذا على الله البهتان ، فيزعم أن مظاهر الخلق هي مظاهر الحق ، وأن ما نَحْكُمُ به على مظاهر الوجود وصوره يجب أن نَحْكُمُ به على الحق ، إذ هو عين تلك المظاهر ، فإذا قيل : إن فلانا يتألم من كذا ، أو يلتذ به ، فالتألم عند الصوفية والملتذ هو الحق التامين في فلان هذا وإذا قلنا : إن فلانا آثم غوى ، كان هذا الحكم محكوماً به في الحقيقة على رب الصوفية ، لأنه هو عين هذا الآثم الغوى ، هذا تفسيره لقوله سبحانه : (إليه يرجع الأمر كله) ولذا عقبها بقوله : حقيقة وكشفاً .

(٢) الأمر بالعبادة يستلزم إثباتات معبود وعابد ، ويصف ابن عربي الأمر بالعبادة بأنه ستر وحجاب ، إذ ما ثم عابد ومعبود ، فالعابد عين المعبود . ولذا عقب الآية بقوله : حجاباً وستراً .

(٣) لأنه يدين بأن العالم هو الله وصفاته وأسمائه .

الرحمن أوجده الله تعالى ، أى ظهر وجوده تعالى بظهور العالم ، كما ظهر الإنسان بوجود الصورة الطبيعية ، فنحن صورته الظاهرة ، وهويته روح هذه الصورة المدبرة لها ، فما كان التدبير إلا فيه [كما لم يكن إلا منه] ، فهو : « الأول » بالمعنى ، « والآخر » بالصورة ، وهو « الظاهر » [٢٨] بتغير الأحكام والأحوال « والباطن » بالتدبير « وهو بكل شئ عليم » فهو على كل شئ شهيد ^(١) .

الحق عندم سار في عناصر الطبيعة

وقال في فص حكمة إبناسية في كلمة إلياسية : « وكان إلياس الذى هو إدريس ، قد مُثِّل له انفلاق الجبل ^(٢) [المسمى] لبنان عن فرس من نار ، فلما [رآه] ركب عليه ، فسقطت ^(٣) عنه الشهوة ، فكان ^(٤) عقلا بلا شهوة ، فلم يبق له تعلق بما تتعلق به الأغراض النفسية ، فكان الحق فيه ^(٥) منزها ، فكان على النصف من المعرفة بالله [فإن العقل إذا تجرد لنفسه من حيث أخذه العلوم عن نظره كانت معرفته بالله] عن التنزيه ^(٦) ، لأعلى التشبيه ، وإذا أعطاه الله المعرفة بالتجلى كملت معرفته بالله ، فترزه في موضع ، وشبهه في موضع ، ورأى سريان الحق فى الصُور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا وبرى عين الحق غيبها ، وهذه المعرفة التامة التى جاءت بها الشرائع المنزلة من عند الله ، وحكمت بهذه المعرفة الأوهام كلها ^(٧) »

رد المراقى على وحدة الأديان

قال الإمام زين الدين للعراقى فى جواب السؤال المذكور قبل : « بتوحيد

(١) ص ١٧٢ فصوص .

(٢) (٥،٤،٣،٢) فى الأصل : جبل — سقطت — وكان — فيها .

(٦) الصوفية حرب على العقل ، ويكفرون به كمصدر أو وسيلة من وسائل

المعرفة ، إذ يحكم على أوهامهم الذوقية بالتناقض ، وأنها وليدة خرافة وأساطير .

(٧) ص ١٨١ فصوص .

إلياس عليه السلام بُعثت الرسل كلها ؛ لأن الملل كلها ، وما جاءت به الرسل لم يختلفوا في التوحيد والإقرار به ، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الشبه بقوله تعالى (ليس كمثل شيء) وليت شعري ما الفائدة لبعثة الرسل إذا كان من عبد شيئاً من المخلوقات عابداً لله تعالى ؟! وليت شعري ماذا يقول هذا القائل ، في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مهيم عن عبادة الأوثان وكسرها ؟! هل يقول : كانوا بعبادتها مصيبين عابدين لله ، وأنه ما حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتساع ، فأنكر عليهم ، كما قال في حق هارون عليه السلام ، ولا شك أن الرسل كلهم متفقون في التوحيد ، وكأنه إنما سكت عن ذلك خيفة من السيوف المحمدية ، فإن هذه المؤلفات التي كان يُسرّها إلى أصحابه ، ويسرها أصحابه إلى أصحابهم ، ولو كان حقاً لأظهره على رؤوس الأشهاد » انتهى

الشرائع أوهام عند الصوفية

ثم قال ابن عربي : « فالوهم هو السلطان الأعظم في هذه الصورة السكاملة الإنسانية ، وبه جاءت الشرائع المنزلة ، فشبهت ونزّهت : شبهت في التنزيه بالوهم ، ونزّهت في التشبيه بالعقل ، فارتبط الكل بالكل ، فلم يمكن أن يخلو^(١) تنزيه عن تشبيه ، ولا تشبيه عن تنزيه ، قال الله تعالى : ([ليس] كمثل شيء) فنزّه وشبّه (وهو السميع البصير) شبّه ، وهى أعظم آية تنزيه نزلت ، ومع ذلك لم تخل عن تشبيه بالكاف ، فهو أعلم العلماء بنفسه ، وما عبر عن نفسه إلا بما ذكرناه^(٢) »

ليس لله وجود عند الصوفية

ثم قال ... في مثل ضربه للتشبيه في التنزيه ، والتنزيه في التشبيه : « مثل من يرى الحق في النوم ، ولا ينكر هذا ، وأنه لا شك الحق عينه ، فتبهمه لوازم تلك الصورة ، وحقائقها التي تجلّي فيها في النوم ، ثم بعد ذلك يُعبّر^(٣) - أى

(١) في الأصل : يخلق .

(٢) ص ١٨١ فصوص .

(٣) في الأصل : تعبر .

بِحَاجَ - عنها إلى أمر آخر ، يقتضى التنزيه عقلا ، فإن كان الذى يعبّر بها ذا كشف وإيمان ، فلا يجوز عنها إلى تنزيه فقط ، بل يعطىها [٢٩] حقها^(١) فى التنزيه ، ومما ظهرت فيه ، فالله على التحقيق عبارة^(٢) لمن فهم الإشارة^(٣) »

الداعى عين المجيب

ثم قال : « ومن ذلك قوله تعالى : (٦٠ : ٤٠ ادعونى أستجب لكم) قال الله : (١٨٦ : ٢) وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ، أجب دعوة الداعى إذا دعانى (إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعوه^(٤)) وإن كان عين الداعى عين المجيب ، فلا خلاف فى اختلاف الصور ، فهما صورتان بلا شك^(٥) ، وتلك الصور كالأعضاء لزيد ، فمعلوم أن زيدا حقيقة واحدة شخصية ، وأن يده ليست صورة رجله ، ولا رأسه ولا عينه ، ولا حاجبه ، فهو الكثير بالصور الواحد بالعين كالإنسان بالعين واحد بلا شك ، ولا نشك أن عمرواً ما هو زيد ، ولا خالد ، ولا جعفر ، وأن أشخاص هذه العين الواحدة لا تتفاهى وجوداً ، فهو وإن كان واحداً بالعين ، فهو كثير بالصور والأشخاص ، وقد علمت قطعاً - إن كنت مؤمناً - أن الحق عينه يتجلى يوم القياس فى صورة ، فيُعرف ، ثم يتحول فى صورة ، فينكر ، ثم يتحول عنها فى صورة ، فيعرف ، وهو هو المتجلى ليس

(١) فى الأصل : من .

(٢) فى الأصل : عبادة .

(٣) ص ١٨٢ فصوص .

(٤) فى الأصل : غيره بعد كلمة يدعوه .

(٥) الأمر بالدعاء يقتضى الإلينية والغيرية ، أعنى يستلزم وجود داع ومجيب ، لذا راح الزنديق يزعم أنها اثنينية وهمية ، وغيرية صورية ، فالداعى هو الله تعين فى صورة من يدعو ، والمجيب هو الله تعين فى صورة من يجيب ، فهما غيران فى الصورة ، واحد فى الحقيقة . ولذا يقول : الداعى عين المجيب ، وما إخال التقارىء فى حاجة إلى البيان عما فى هذا من تخريف كافر .

غيره في كل صورة . ومعلوم أن هذه الصورة ما هي تلك الصورة الأخرى ، فكان العين الواحدة قامت مقام المرأة ، فإذا نظر الناظر فيها إلى صورة معتقده في الله عرفه ، وأقرَّ به ، وإذا اتفق أن يرى فيها معتقده غيره أنكره ، كما يرى في المرأة عين صورته وصورة غيره ، فالمرأة عين واحدة ، والصور كثيرة في عين الرائي ، وليس في المرأة صورة منها جملة واحدة مع كون المرأة لها أثر في الصور بوجه ، وما لها أثر بوجه ^(١) .

ثم قال : « فإن كوشف على أن الطبيعة عين نفس الرحمن ، فقد أوتى خيراً كثيراً ^(٢) » .

قلت : وإلى هذا أوما ابن الفارض بقوله :

ولا تحسبن الأمر عى خارجا	فما ساد إلا داخل في عبودتى ^(٣)
ولولاى لم يوجد وجود ، ولم يكن	شهود ، ولم تُعهد عهود بذمة
وفي عالم التركيب في كل صورة	ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتى
وضربى لك الأمثال منى منة	عليك بشأنى مرة بعد مرة
تأمل مقامات الشروجى ^(٤) واعتبر	بتلوينه ، تحمل قبول مشورتى
وتدر ^(٥) التباس النفس بالحس باطنا	بمظهرها في كل شكل وصورة
وشاهد إذا استجليت نفسك ماترى	بغير مرآة في المرأى ^(٦) الصقيلة ^(٧)

(١) ص ١٨٤ فصوص .

(٢) ص ١٨٧ فصوص .

(٣) في الأصل : عبوتى .

(٤) اسم الشخص الذي بنى عليه الحريرى مقاماته .

(٥) في الأصل : تدرى .

(٦) في الأصل : المرأة .

(٧) يرد الشيخ الجليل ابن تيمية على هذا المثل الذي يمثل به ابن الفارض =

أغيرك فيها لاح ، أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس^(١) الأشعة ؟
 وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه إليك بأكتناف القصور المشيدة
 أهل كان من ناجاك ثم سواك ، أم سمعت خطاباً عن صدك للصوت
 وقل لي : من ألقى إليك علومه وقد ركزت منك الحواس بفئلة
 وما كنت تدري قبل يومك ماجرى بأمسك ، أو ماسوف يجرى بدوة
 فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى [٣٠] وأسرار من يأنى مُدلاً بغيره
 أحسب من جارك في سنة الكرى سواك بأنواع العلوم الجليلة
 وما هي إلا النفس عند اشتغالها بعالمها عن مظهر البشرية
 تجلت لها^(٢) بالغيب في شكل عالم هداها إلى فهم المعاني الغريبة
 ولا تكِ ثَمَن طيشته دروسه بحيث استقلت عقله واستغزت
 فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة^(٣)

= الوحدة بين الحق والخلق ، فيقول : « فلو قدر أن الإنسان يرى نفسه في المرآة ،
 فالمرآة خارجة عن نفسه ، فرأى نفسه ، أو مثال نفسه في غيره ، والكون عندهم ليس
 فيه غير ولا سوى ، فليس هناك مظهر مخالف للظاهر ، ولا مرآة مغايرة للرأى ، وهم
 يقولون : إن الكون مظاهر الحق ، فإن قالوا : المظاهر غير الظاهر لزم التعدد
 وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هي الظاهر ، لم يكن قد ظهر شيء في شيء ،
 ولا تجلى شيء في شيء ، ولا ظهر شيء لشيء ، وكان قوله : « يعنى ابن الفارض »
 « ومشاهد إذا استجليت ... الخ » كلاماً متناقضاً ، لأن هنا مخاطباً ، ومخاطباً ،
 ومرآة تستجلى فيها الذات ، فهذه ثلاثة أعيان ، فإن كان الوجود واحداً بالعين ،
 بطل هذا الكلام ، وكل كلمة يقولونها تنقض من أصلهم » ص ٨٧ ج ١ مجموعة
 الرسائل والمسائل .

(١) في الأصل : الانعكاس .

(٢) في الأصل : لهم .

(٣) يقصد بالنقل نصوص الشرائع السماوية ، والصوفية لا ييغضون شيئاً في

الحياة بغضهم لما أوحى به الله سبحانه إلى رسله ، وإذا استشهد صوفي بآية أفسد =

تلقَيْتُهُ مِنِّي ، وَغَى أَخَذْتَهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَائِي مُيَدَّتِي
وَلَا تَكْ بِاللَّاهِي عَنْ اللَّهِوْ جَمَلَةٍ فَهَزَلُ الْمَلَاهِي جِدُّ نَفْسٍ مُجِدَّةٍ

الحق عين كل معلوم عند الصوفية

ثم قال ^(١) في فص حكمة إحصائية في كلمة لقمانية - بعد أن ذكر أن من حكمته المفضولة ، أنها - إن تك مثقال حبة من خردل الآية ... وأن من حكمته المسكوبة ^(٢) عموم المؤني إليه ، لأنه لم يقل : يأت بها الله إليك ، أو إلى غيرك ، قال : « فنبه لقمان بما تكلم به ، وبما سكت عنه أن الحق عين كل معلوم ، لأن المعلوم أعم [من الشيء] ^(٣) » فهو أنكر النكرات ، ثم تم الحكمة ، واستوفاه ؛

== معنلها بأساطير زندقته. وإذا استشهد بحديث، فثق أنه موضوع، وضعته الصوفية منذ خلعت عنها اسم المجوسية، وتسمت بهذا الاسم الخلوب المكر والخديعة، لتنفث سمومها الفتاك، وتعيث بزندقته في عقائد المسلمين فسادا، ولذا يقول ابن الفارض: لا تركز إلى الكتاب والسنة، فليس فيهما أثارة من الحق، ولا لمع من الهداية، ولا إشراق من الحقيقة، وتعال إلى أعلك علما دقيقا جليلا يهيمن على الهدى والحق !!

وأقول: إذا كان علم ابن الفارض يدق عن مدارك العقول المشرقة، فمن للدراويش؟ من للذين هم ليسوا بأقطاب؟ ثم أليس أولئك الذين لا يعلمون علمه، هم الله في عرف زندقته؟ أليس هذا معناه أن له علما يدق حق عن الله سبحانه؟ ومعناه أن زندقته أبر بالحق والهدى من شرائع الله سبحانه؟!

(١) أي: ابن عربي.

(٢) لعلها: المسكوت عنها، فابن عربي يقول في هذا الفصل: « والحكمة قد تكون متلفظاً بها، ومسكوتاً عنها ».

(٣) يقول أبو البقاء في كلياته: « الشيء هو لغة: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيشمل الوجود والمعدوم ممكننا، أو محالا، واصطلاحا: خاص بالموجود - خارجيا كان أو ذهنيا - والشيء أعم العام، ويقع على الواجب والممكن والمتنع. نص على ==

لتكون النشأة كاملة فيها ، فقال : « إن الله لطيف » فمن لطفه ولطفه ، أنه في الشيء المسمى كذا ، المحدود بكذا ، عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ^(١) ، والاصطلاح ، فيقال : هذا سماء ، وأرض ، وصخرة ، وشجرة ، وحيوان ، وملك ، ورزق ، وطعام ، والعين واحدة من كل شيء^(٢) ،

== ذلك سيويبه ، حيث قال في كتابه : الشيء يقع على كل ما أخبر عنه ، ومن جعل الشيء مرادفا للموجود ، حصر الماهية بالموجود ، ومن جملة أعم عمم الموجود والمعدوم .

ولكن ابن عربي يفسر الشيء بأنه المتحقق بالفعل ، وعلى هذا ، فالمعلوم أهم منه ، إذ المعلوم عنده يتناول الموجودات : غنية ، أو غلبة ، أو محتمة ، وابن عربي يزعم أن الحق عين كل معلوم ، وهذا معناه أن إلهه عين الممكن ، وعين المتع ، عين الوجود الخارجي ، وعين الوجود النهي ، عين اللوهم ، وعين الحقيقة عين الباطل وعين الحق ، عين النقي والضلال ، وعين الرشد والهدى ، عين العدم والقضاء ، وعين الوجود والبقاء . هذا هو إله الصوفية الأعظم ١١

(١) التواطؤ هو الكلى إن استوت أفراده فيه ، كالإنسان بالنسبة إلى أفرادها فالإنسانية في محمد مثلاً عنها في بكر ، عنها في خالد ، عنها في كل فرد ، فهو يطلق على كل فرد فرد بمعنى واحد لا يزيد ، ولا ينقص في فرد عنه في فرد آخر . وكذلك اسم الله سبحانه — هكذا يفترى الزنديق الآثم ابن عربي — يقال على كل معلوم بالتواطؤ . يقال على الممكن والمتع ، على الموجود والمعدوم ، على الوجود النهي ، وعلى الوجود الخارجي ، على الإنسان والحيوان والجماد ، واليسكروبات . والرم ١١ هذا دين من لا يزال بعض كبار الشيوخ يتخذونه لهم قدوة وإماما ، ويشيرون ثورة الدنس والريزية على الطهر والفضيلة ، إذا شاء كاتب أن يصفع باطله بيد الحق القاهرة القوية ١١

(٢) يزعم أن السماء عين الأرض ، وأن الصخرة عين الشجرة ، وأن الجماد عين الحيوان ، يؤمن بأن كل شيء من هذه الأشياء عين الآخر ، ويؤمن بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فسمه بأى اسم شئت من أسماء هذه الأعيان ، فمن تلمذو الحق عند الزنديق ، سمه أرضا ، أو صخرة ، أو شجرة ، أو حيوانا ، أو جمادا ، =

وفيه كما تقول الأشاعرة^(١) : أن العالم كله متماثل بالجواهر ، فهو جوهر واحد^(٢) فهو عين قولنا : [العين واحدة] ثم قالت : ويختلف بالأعراض ، وهو عين قولنا

= أو حشرة ، فالكل عنه ؛ وهويتها هويته ، وماهيتها ماهيته ، ووجودها عين وجوده ، وأسمائها أسماؤه !! أريت أية مادية صماء يوغل ابن عربي في الإيمان بها إذ يرى ربه صخرا وجمادا ؟.

فأين هي الروحانية في التصوف بأحلاس المجوسية ، وباعبدة الخنازير ؟ !
(١) مدرسة كلامية ابتدعت مذهباً كلامياً ملقفاً ، فهو أمشاج من الاعتبار .
والسلفية ، والجبرية ، والفلسفة اليونانية القديمة قبل سقراط ، زعيمها : أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ وأشهر زعمائها بعده الباقلاني والجويني ، والغزالي .
راجع ما كتبت عن هذه المدرسة في كتابي دعوة الحق

(٢) قال السعد في المقاصد : « أثبت المتكلمون أن أجزاء الجسم هي الجواهر الفردة ، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف ، ليثبتوا أن الأجسام متحدة بالحقيقة ، وإنما الاختلاف بالعرض ، وهذا أصل ينبئ عليه كثير من قواعد الإسلام « تأمل !! »
كإثبات القادر المختار ، وكثير من أحوال النبوة والمعاد » ص ٣١٨ ج ١ . وعلى الرغم مما هول به الأشاعرة حول أسطورة الجوهر الفرد التي استمدوها من الفلسفة اليونانية القديمة ، وبخاصة من ديمقريط ، فإن قولهم لا ينتسب إلى الصوفية في الوحدة برحم ، فالأشاعرة يقولون بتماثل الجواهر الفردة في الأجسام . أما الصوفية فيدينون ، لا بالتماثل ، بل بالوحدة التامة بين الحق والخلق ، ثم إن الأشاعرة يدينون بوجودين : وجود الله ، ووجود العالم ، الأول قديم ، والثاني حادث ، أما الصوفية فيدينون بوجود واحد تردد بين الإطلاق والتقييد ، وجود يجمع الخالق بالخلق في وحدة تامة ، الأشاعرة يؤمنون بأن الله هو الخالق ، وأن العالم هو المخلوق ، أما الصوفية ، فيكفرون بأن الله خالق ، إذ الحق والخلق عندهم حقيقة واحدة ، وإليك ما يرد به العلامة المقبلي على ما نسبته ابن عربي إلى الأشاعرة هنا ، وهو قولهم بوحدة الجوهر : « وقد غلط في كلامه هذا أو غلط ، وذلك بقوله : فهو جوهر واحد فإنه ليس من كلام الأشاعرة ، ولا غيرهم من المتكلمين ، ألا ترى إلى قولهم : متماثل ؟ ! وهو — أي ابن عربي — قد أحال التماثل وأحال الشراكة لاتحاد العين » العلم الشامخ ص ٤٣٧

وَيُخْتَلَفُ ، وَبِتَكَثُرِ بِالْصُّورِ وَالنَّسَبِ حَتَّى يَتَمَيَّزُ ، فَيُقَالُ : هَذَا لَيْسَ هَذَا مِنْ حَيْثُ صُورَتِهِ ، أَوْ عَرَضِهِ ، أَوْ مَزَاجِهِ كَيْفَ شِئَتْ ، فَقُلْ : وَهَذَا عَيْنُ هَذَا مِنْ حَيْثُ جَوْهَرِهِ ، وَلِهَذَا تُؤْخَذُ عَيْنُ الْجَوْهَرِ فِي حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ ، أَوْ مَزَاجٍ ، فَتَقُولُ نَحْنُ : إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى الْحَقِّ ، وَيُظَنُّ التَّسْكُمُ ^(١) أَنْ مَسْمًى الْجَوْهَرِ الْفَرْدُ - وَإِنْ كَانَ حَقًّا - مَا هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يُطْلَقُ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالتَّجَلِّي فِهَذَا حِكْمَةٌ كَوْنُهُ : لَطِيفًا ^(٢) ، ثُمَّ نَعَتْ ، فَقَالَ : خَيْرًا ، أَيْ هَالِكًا عَنْ اخْتِبَارٍ ^(٣) ، وَهُوَ قَوْلُهُ : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ ، لِنَجْعَلَ الْحَقَّ نَفْسَهُ - مَعَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ - مُسْتَفِيدًا عِلْمًا ، وَلَا نَقْدَرُ ^(٤) عَلَى إِنْكَارِ مَا نَصَّ الْحَقُّ عَلَيْهِ [فِي حَقِّ نَفْسِهِ] ، فَفَرَّقَ تَعَالَى بَيْنَ عِلْمِ الذَّوْقِ وَالْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ ، فَعِلْمُ الذَّوْقِ مُقَيَّدٌ بِالْقَوَى وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ : إِنَّهُ عَيْنُ قَوَى عَبْدِهِ فِي قَوْلِهِ : كُنْتُ سَمْعَهُ . وَهُوَ قُوَّةُ مِنْ قَوَى الْعَبْدِ - وَبَصَرُهُ ، وَهُوَ قُوَّةُ مِنْ قَوَى الْعَبْدِ وَلِسَانُهُ ، وَهُوَ غَضُو مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ ، وَرِجْلُهُ ، وَيَدُهُ ، فَمَا اقْتَصَرَ فِي التَّعْرِيفِ عَلَى الْقَوَى فَحَسْبُ ، حَتَّى ذَكَرَ الْأَعْضَاءَ ، وَلَيْسَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ هَذِهِ ^(٥) الْأَعْضَاءِ وَالْقَوَى ، فَعَيْنُ مَسْمًى الْعَبْدِ هُوَ الْحَقُّ ، لَا عَيْنُ الْعَبْدِ هُوَ السَّيِّدُ ^(٦) ، فَإِنَّ النِّسْبَ مُمَيَّزَةٌ لِدَاتِهَا ^(٧) وَلَيْسَ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ مُمَيَّزًا [٣١] فَإِنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ سِوَى عَيْنِهِ فِي جَمِيعِ النِّسَبِ ، فَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ ذَاتُ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ وَصِفَاتٍ ، فَمِنْ تَمَامِ حِكْمَةِ لِقَائِهِ فِي تَعْلِيمِهِ ابْنَهُ مَا جَاءَ بِهِ فِي ^(٨)

(١) يَقْصِدُ الْقَائِلِينَ بِالْجَوْهَرِ الْفَرْدُ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ

(٢) يَعْنِي اسْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ : (٣٣ : ٤٤) إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا)

(٣) يَنْسَبُ الْعِلْمُ الْإِخْتِبَارِيُّ إِلَى اللَّهِ ، بَيِّنٌ أَنَّهُ يَفْهَمُهُ بِأَنَّهُ الْعِلْمُ الذَّوْقِيُّ ، وَهَذَا عَنْدهُ مُقَيَّدٌ بِالْقَوَى الَّتِي تَفِيدُهُ وَصَادَرَتْ عَنْهَا ، وَالزَّنْدِيقُ يَقْتَرِي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَيْنُ قَوَى الْعَبْدِ وَأَعْضَائِهِ ، وَعِلْمُ الْعَبْدِ مُسْتَمَدٌّ مِنْ هَذِهِ الْقَوَى وَالْأَعْضَاءِ فَعِلْمُ الْحَقِّ عَنْدهُ هُوَ مَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ عَنْ طَرِيقِ قَوَاهُ وَأَعْضَائِهِ ، إِذْ لَيْسَ الْحَقُّ شَيْئًا سِوَى هَذَا الْعَبْدِ ١١ (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) فِي الْأَصْلِ : يَقْدَرُ - غَيْرُ هَذِهِ - الْيَدُ -

لِدَوَاهَا - مِنْ

هذه الآية من ^(١) هذين الإسمين الإلهيين ^(٢) »

وقال في فص حكمة إمامية في كلمة هارونية : « أعلم أن وجود هرون كان من حضرة الرّحْمَتِ ^(٣) » ثم ذكر غضب موسى عليه السلام ، وأخذَه بلحيته ، ثم قال « وسبب ذلك عدم التّشَبُّثِ في النظر فيما كان في يديه من الألواح ، التي ألغاهَا من يده ، فلو نظر فيها نظرة تثبت لوجد فيها الهدى والرحمة ، فالهدى بيان ما وقع من الأمر الذي أغضبه بما [هو] هرون برىء منه ، والرحمة بأخيه ^(٤) ، فكان لا يأخذ بلحيته بمرأى من قومه مع كبره ، وأنه أسنُّ منه ^(٥) » .

تمجيد الصوفية لعبادة المعجل

ثم قال : « وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هرون ، لأنه علم ما عبّده أصحابُ المعجل ، لعله بأن الله قد قضى ألاّ نعبد إلا إياه ، وما حكم الله بشيء إلا وقع ، فكان عتّبُ موسى أخاه هرون ؛ لما وقع [الأمر] في ^(٥) إنكاره وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ^(٦) » .

(١) في الأصل : في

(٢) ص ١٨٩ فصوص

(٣) ص ١٩١ فصوص

(٤) في الأصل : لأخيه

(٥) ص ١٩١ فصوص

(٥) في الأصل : من

(٦) ص ١٩٢ فصوص ، وقد خشي الزنديق من تعبيره الأول : « في كل شيء » أن يتهم بأنه حلولي ، لإفادة في معنى الظرفية ، أو أن يظن أحد أن في كلامه مجازا تقديره : يرى أثر قدرة الله في كل شيء . خشي هذا وذاك فعقبه بنص قاطع الدلالة على معتقده إذ قال : بل يراه عين كل شيء ، ليؤكد لك إيمانه بوحدة الوجود للمادية والروحية .

بعض ما كفر به المراقى ابن عربى

قال الشيخ زين الدين المراقى فى جواب السؤال المذكور : « هذا الكلام كفر من قائله من وجوه :

أحدها : أنه نسب موسى عليه السلام إلى رضاه بعبادة قومه للعجل .
الثانى : استدلاله بقوله تعالى : (١٧ : ٢٣) وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه)
على أنه قدّر ^(١) أن لا يُعبدَ إلا هو ، وأن عابد الصنم عابد له ، الثالث : أن موسى

(١) يفسر الزنديق قضى بقدر وحكم . ثم يستطرد فيقول : وكل ما قدره الله ،
أو حكم به فلا بد من وقوعه ، ومما وقع عبادة العجل وعبادة الصنم ، والنار
والكواكب وغيرها ، وهذا دليل على أن عبادة هذه الأشياء حكم إلهى قدره الله
فوقع ، ولما كان الله سبحانه لا يمكن أن يحكم بعبادة غيره ، بدليل : (لا تعبدوا إلا
إياه) كان هذا دليلا على أن تلك المعبودات ليست شيئا غير الله سبحانه ، بل هى
عينه ، وعلى أن عابديها لم يعبدوا إلا الله ، هذا ما يهدف إليه ابن عربى من تفسيره
لقضى : بقدر وحكم ، وإليك ما يرد به الشيخ الجليل ابن تيمية على تلبس ابن عربى
وبهتان هذا : « احتج للمحدون بقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) قالوا :
وما قضى الله شيئا إلا وقع ، وهذا هو الإلحاد فى آيات الله ، وتحريف الحكم عن
مواضعه ، والكذب على الله ، فإن قضى هنا ليست بمعنى القدر والتكوين بإجماع
للمسلمين ، بل وإجماع العقلاء ، حتى يقال : ما قدر الله شيئا إلا وقع ، وإنما هى
بمعنى : أمر . وما أمر الله به ، فقد يكون ، وقد لا يكون ، فتدبر هذا التحريف ،
وكذلك قوله : ما حكم الله بشيء إلا وقع كلام مجمل ، فإن الحكم يكون بمعنى
الأمر الدينى ، وهو الأحكام الشرعية ، كقوله : (يأياها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ،
أحلّت لكم بهيمة الأنعام) الآية . وكقوله : (ذلکم حکم اللّٰه یحکم بینکم)
ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والعقل ، كقوله : (لن أبرح الأرض حتى
يأذن لى أبى ، أو يحكم الله لى) وقوله : (قل : رب احکم بالحق) ولهذا كان
بعض السلف يقرأون (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) فيكروا أنها كذلك فى
بعض المصاحف ، ولهذا قال فى سياق الكلام : وبإلوالهدين إحسانا . ويبقى أمره =

عليه السلام عتب على أخيه هرون عليهما السلام إنكاره لما وقع ، وهذا كذب على موسى عليه السلام ، وتكذيب لله فيما أخبر به عن موسى من غضبه لعبادتهم العجل ، الرابع : أن العارف يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، فجعل العجل عين الإله المعبود ، فليعجب السامع لمثل هذه الجرأة التي تصدر ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

آيات تشهد بكفر ابن عربي

نم ساق من الآيات ^(١) التي كذب بها في هذه المقالة ^(٢) قوله تعالى : (٩٢:٢٠ ، ٩٣ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني) وقوله : (٧ : ١٥٠ بثما خلقتوني من بعده) وقوله : (١٤٨:٧] واتخذ قوم موسى من بعده من حلهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ، ولا يهديهم سبيلا [اتخذوه ، وكانوا ظالمين ^(٣)) وقوله : (١٥٢:٧ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ، وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين) . وقوله :

ووصاياه إلى أن قال : (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر) فحتم الكلام بمثل ما فتحه به من أمره بالتوحيد ونهيه عن الشرك ، ليس هو إخبارا أنه ما عبد أحد إلا الله ، وأن الله قدر ذلك وكونه ، وكيف ، وقد قال : (ولا تجعل مع الله إلها آخر) وعندهم ليس في الوجود شيء يجعل إلها آخر) فأى شيء . عبد فهو نفس الإله ليس آخر غيره « ص ٨٨ ج ٤ مجموعة الرسائل والمسائل .

(١) أي العراقي .

(٢) يقصد ما نسبته ابن عربي إلى موسى عليه السلام من الرضا بعبادة العجل ، ونسبته الجهل إلى هرون باستنكاره لعبادة العجل ، وتصحيحه لعبادة العجل ، وزعمه أنها عبادة لله ، إذ العجل ليس شيئا غير الإله المعبود

(٣) استشهد العراقي بالآية مبتورة ، فذكرتها بتمامها لأنها نص في الحكم ، ووضعت ما لم يستشهد به العراقي بين هذين []

(٧ : ١٤٩) ولما سَتِطَ في أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا ، قالو : لئن لم يرجعنا ربنا ، ويفر لنا ، لنكوننَّ من الخاسرين) .

شرك الصوفية أخبت الشرك

نم قال^(١) : فجاء هذا الخالف لله ، ورسوله ولجميع المؤمنين ، فصوّب فعلهم ، وصرح بأنهم من العارفين بقوله : إن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء ، ولا شك أن شرك قائل هذا أشد من شرك اليهود والنصارى فإن أولئك عبدوا عبداً من عباد الله المقر بين ، وهذا يرى أن عبادة العجل والصنم عين عبادة الله ، بل يؤدي كلامه إلى أن يرى الحق عين الكلب والحزير ، وعين العذرة ، وقد أخبرني بعد الصادقين من فضلاء أهل [٣٢] العلم أنه رأى شخصاً ممن ينتحل هذه المقالة القبيحة بغير الإسكندرية ، وأن ذلك الشخص قال له : إن الله تعالى هو عين كل شيء ، فربهما حمار ، فقال^(٢) : وهذا الحمار ؟ فقال^(٣) : وهذا الحمار ؛ فَرَوْتُ الحمار من دبره !!! فقال^(٤) له : وهذا الروث ؟ فقال^(٥) : وهذا الروث !! فنسأل الله السلامة والتوفيق^(٦) .

(١) أي العراقي

(٢) ، (٤) يعنى العالم الفاضل

(٣) ، (٥) أي الصوفي

(٦) ذكر الإمام ابن تيمية الصدوق مثل هذه القصة ، فقال : « مر شيخان - منهم التلمساني والشيرازي على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم ، فقال الشيرازي للتلمساني : هذا « يشير إلى جثة الكلب الميت الأجرب » أيضاً هو ذات الله ؟ ! فقال : وهل ثم شيء خارج عنها ؟ ! نعم : الجميع ذاته » ج ١ ص ١٤٥ ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ص ١٠٥ مجموعة الرسائل والوسائل ، وليس هذا بمستغرب ممن يدينون بأن الله سبحانه عين كل شيء ، فالروث شيء ، والجيفة المنتنة شيء ، والحزير شيء ، والبغى الملوكة شيء ، والأحقق المأفون شيء ، وحسب الصوفية أن تكون هذه بعض أربابهم وآلهتهم ! !

تعليهم لإنكار موسى على السامرى

قال ابن عربى : وكان موسى يربى هرون عليهما السلام تربية علم ، وإن كان أصغر منه فى السن ، ولذلك لما قال له هرون ما قال ، رجع إلى السامرى ، فقال له : (٢٠ : ٩٥ فما خطبك يا سامرى ؟) يعنى فيما صنعت من عدوك إلى صورة العجل على الاختصاص ، وصنعت هذا الشبح من حلى القوم ، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالم^(١) ، وليس للصور بقاء ، فلا بد من ذهاب صورة العجل لو لم يستعمل موسى بحرقه ، فغلبت عليه الغيرة ، فحرقه ، ثم نسف رماد تلك الصورة فى اليم [نسفا] ، وقال له : أنظر إلى إلهك ، فسماه^(٢) . إلها بطريق التنبيه ، للتعليم ؛ لما علم أنه^(٣) بعض الجالى الإلهية (لأحرقنه) فإن حيوانية الإنسان لما التصرف من حيوانية الحيوان ، لكون الله سخرها للإنسان ، ولا سبأ وأصله ليس من حيون ، فكان أعظم فى التسخير^(٤) .

(١) يريد الزنديق بهذا تصويب عبادة العجل ، فيزعم أن السامرى لم يخطئ . إلا فى أنه فهم أن الذات الإلهية تعينت فى العجل وحده ، فدعا قومه إلى عبادة لهذا ، على حين أن كل شيء - لا العجل وحده - هو الله ! ! فلو أن السامرى كان عارفاً مكملأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل ! ! بيد أن السامرى عند ابن عربى أعرف بالحقيقة من هرون ، إذ علم - وهرون جهل - أن العجل إله حق يجب أن يعبد ، لأنه مجلى إلى ! ! ثم يفسر الزنديق قول موسى للسامرى : ما خطبك يا سامرى . بما بيانه : لم دعوت قومى يا سامرى إلى عبادة العجل وحده وأنت تعلم أنه ليس وحده كل تعينات الذات ، بل واحدا منها ، وتعلم أن كل شيء هو الله ؟ ! لم تدعهم يا سامرى إلى الحق ، فيعبدوا كل شيء ، لا العجل وحده ؟ هذا هو دين الزنديق يا شيوخ الطرق ! !

(٢) ، (٣) الضمير فيهما راجع إلى عجل السامرى

(٤) ص ١٩٢ فصوص

ثم قرر^(١) أمر التسخير ، وأن منه ما هو بالمال ، ومنه ما هو بالخال ، وأن ما هو بالخال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مصالحه ، وتسخير الرعايا للملك بقيامه في مصالحهم - قال . « وهذا كله تسخير بالخال من الرعايا يُسَخَّرُونَ [في ذلك] مليكهم ، ويسمى على الحقيقة تسخير المرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه بذلك ، فالعالم كله يُسَخَّرُ بالخال من لا يمكن أن يُطْلَقَ عليه إسم مُسَخَّر . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [في] شأن) فكان عدم قوة إرداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّطَ موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة في الوجود ؛ ليميد في كل صورة^(٢) ، وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تَلَبَّسَتْ عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا وعُبدَ ، إما عبادة تَأَلُّهُ ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبدَ شيء من العالم إلا بعد التَلَبُّسِ بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة في قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فَكَثُرَ الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبدَ فيها .

المهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه المهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ١؟) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَدَ شيء إلا بالله ، ولا يُعْبَدَ هو إلا بذاته^(٣) » ثم قال : « والعارف المكمل من رأيها بكل معبود مجلى للحق يُعْبَدُ

(١) أي ابن عربى

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة ، أى ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فالله الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريمة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوقن القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فبما =

فيه ، ولذلك سموه كلهم : إلهامع اسمه الخاص بمجهر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو ملك ، أو كوكب^(١)

وحدة الأديان عند ابن الفارض

قلت : وإلى هذا [٣٣] أشار ابن الفارض بقوله :

فبي مجلس الأذكار سَمِعُ مطالع ولي حانة الخمار عين طليعة^(٢)
وما عقد الزَّئَنَارُ^(٣) حكماً سوى يدي وإن حُلَّ بالإقرار بي ، فهي حَلَّتْ
وإن نار بالتزبل محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
وأسفار توراة الكليم اقومه يناجي بها الأخبار في كل ليلة
وإن خَرَّ للأحجار في البَدْء عاكف فلا تَعَدُّ بالإنكار بالعصية
فما زغت الأبصار من^(٤) كل ملة وما راغت الأفكار من^(٥) كل نخلة
وما احتار مَنْ للشمس عن غرة صبا^(٦)

وإشراقها من نور إسفار غُرَّتِي

وإن عبد النارَ الجوس وما انطفت

كما جاء في الأخبار في^(٧) ألف حجة

= ذكرناه عنهم ، فيها هو شيخهم الأكبر يدعوهم في تلظى شهواته الفواجر ، إلى عبادة الهوى !! ويؤكد لهم أنه الرب الأعظم الذي اقترفه لهم هواء الصوفي !! وهل الهوى العصوف سوى الشهوات العرايد ، والفسوق القوى ، والفواحش الغيم الزوات ؟

(١) ص ١٩٥ فصوص . وهذا نص صريح على دين الزنديق في وحدة الوجود

ووحده الأديان

(٢) (٤) (٥) في الأصل : طليع - في - في

(٣) ما على وسط النصارى والمجوس « القاموس »

(٦) مال

(٧) في الأصل : من .

فما عبدوا غيري^(١) ، وإن كان قصدم
 --- وای وإن لم يصدقوا عقد نيتي
 رأوا ضوء ناري مرة ، فتوهو
 هُ ناراً ، فضلوا في الهدى بالأشعة

الإله الصوفي مجلى صور العالم

وقال^(٢) في فص حكمة علوية في كلمة موسوية : « وجود الحق كانت
 الكثرة له ، وتعداد الأسماء أنه كذا ، وكذا بما ظهر عنه من العالم الذى يطلب
 بنشأته حقائق الأسماء الإلهية ، فثبت^(٣) به وبخالقه^(٤) أحدية الكثرة ، وقد كان
 أَحَدِيّ العين من حيث ذاته ، كالجوهر الهيولاني^(٥) ، أَحَدِيّ العين من حيث ذاته
 كثير بالصور الظاهرة فيه التى هو حامل لها بذاته ، كذلك الحق بما ظهر منه من
 صور التجلّى ، فكان تجلّى صور العالم مع الأحدية المقولة^(٦) » .

حكم ابن عربى بإيمان فرعون ونجاة

ثم ذكر أخذ فرعون لتابوت موسى عليه السلام ، وأنه أراد قتله ، وأن
 امرأته رضى الله عنها قالت : (قرة عين لى ، ولك) فبه قرّت عينها بالكمال الذى

(١) يحكم سلطان الزنادقة بأن أولئك جميعا ، وهم المجوس ، والوثنيون ،
 واليهود ، والنصارى مؤمنون موحدون ، لم يعبدوا غير الله ، إذ كل ما -أو من-
 عبده ليس شيئا غير الله

(٢) أى ابن عربى

(٣) ، (٤) فى الأصل : فثبتت - وبخالقه

(٥) الجوهر الفرد ، أو الذرة ، أو الجزء الذى لا يتجزأ

(٦) ص ٢٠٠ فصوص

حصل لها ، كما قلنا^(١) . قال : « وكان قرة عين لفرعون^(٢) بالإيمان الذي أعطاه الله عند الفرق ، قبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شيء من الخبث ؛ لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئاً من الآثام ، والإسلام يجب ما قبله ، وجعله آية على غيائه سبحانه وتعالى بمن شاء ، حتى لا ييأس أحد من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون^(٣) .

(١) في الأصل : كما شهد لها به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهو كما أثبتته في الفصوص

(٢) بهامش الأصل ورد ما يأتي : « وفي التنزيل قالت امرأة فرعون (قرة عين لي ولك) إلا ولي « كذا » سمعه فرعون ، قال : قرة عين لك ، وأما لي ، فلا . وفي الحديث : « والذي يحلف به لو أقر فرعون بأنه يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله عز وجل به ، كما هداها ولكن الله سبحانه حرمة ذلك » — كذا في بعض التفاسير .

وأقول : الذي في تفسير ابن كثير : « فأتت — أي امرأة فرعون — فقالت : قرة عين لي ولك ، فقال فرعون : يكون لك ، فأما لي ، فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يحلف به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها ، ولكن حرمة ذلك » ثم قال ابن كثير : « وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيض نقله من الإسرائيليات عن كعب الأبحار ، أو غيره » ويأويل المسلمين من كعب الأبحار ، والكعوب الكثيرين من أمثاله اليوم ! !

(٣) ص ٢٠١ فصوص . وقد جاء بهامش الأصل « أخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً : أت النبي صلى الله عليه وسلم قال — لما أغرق الفرعونى : قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال جبريل : يا محمد ، فلو رأيته وأنا أخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة » أقول : الحديث رواه كذلك أحمد عن ابن عباس ، ونصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل — قال : قال لي جبريل : لو رأيته ، وقد أخذت من حال البحر فدسسته في فيه مخافة أن

رد هذه القرية

هذا نصه بحروفه مع العلم الضروري لكل من شَمَّ رَأْحَةَ العلم من المسلمين وغيرهم أن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس ، وتصريح الله تعالى في غير آية من كتابه العزيز بأنه لا ينفع أحداً إيمانه عند ذلك^(١) ، وأن ذلك سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ، وقوله في دعاء موسى عليه السلام (١٠ : ٨٨ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) مع قوله تعالى . (١٠ : ٨٩ قد أُجِيتَ دعوتكما) وقوله تعالى مُذَكِّراً عليه^(٢) : (١٠ : ٩١ الآن وقد عصيت قبلُ ، وكنتَ من المفسدين) وقوله : (٢٣ : ٤٨ فكذبوهُما ، فكانوا من الممْلَكِينَ) [٣٤] وقوله تعالى : (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لَعَالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ، (٤٠ : ٤٣ وأن السرفين هم أصحاب النار) المنتج^(٣) قطعاً أن فرعون من أصحاب النار . وأما السنة ، فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوماً ، فقال : « من حافظ عليها كانت

== تناله الرحمة » ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذى : حديث حسن . وانظر ابن كثير في تفسير الآية

(١) ورد بهامش الأصل ما يأتى : « وفي ذلك قوله تعالى : (٦ : ١٥٨ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، قل : انتظروا . إنا منتظرون) . . والآية في هامش الأصل مبتورة الكلمات .

(٢) أى على فرعون إيمانه حين أدركه الفرق

(٣) فاعل المنتج ضمير يعود على محذوف تقديره : القياس ، فالمؤلف طوى في كلامه قياساً منطقياً من الشكل الأول صورته : فرعون مسرف ، كل مسرف من أصحاب النار ، وهذا ينتج قطعاً : فرعون من أصحاب النار ، دليل القضية الصفري قوله تعالى (١٠ : ٨٣ وإن فرعون لَعَالٍ في الأرض وإنه لمن السرفين) ودليل الشكبرى (٤٠ : ٤٣ وأن السرفين هم أصحاب النار)

له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ، ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان ، وقارون ، وأبي بن خلف » قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وابن ماجة صحيحه ، وقال الإمام أبو العباس ابن تيمية فى الفتوى التى أجاب فيها الشيخ سيف الدين بن عبد المطلب بن بليان السعوى : « ويكفيك معرفة بكفرهم - يعنى ابن عربى وأتباعه - أن أخف أقوالهم : أن فرعون مات مؤمناً ، وقد علم بالاضطرار عن دين أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى أن فرعون من أكفر الخلق بالله .

سؤال فرعون وجواب موسى

ثم قال ابن عربى : « وهنا سرٌ كبير ، فإنه - أى موسى عليه السلام أجاب بالفعل لمن سأله عن الحد الذاتى ^(١) - أى بقوله : وما رب العالمين ، فجعل الحد

(١) الحد الذاتى هو أتم أقسام التعريف ، إذ يتركب من الذاتيات المشتركة ، والذاتيات الخاصة ، أو كما يعبر الناطقة : من الجنس والفصل القريين ، وبهذا الحد تعرف ماهية الشيء وحقيقته ، كما إذا أردنا تعريف المربع ، فإننا نقول : هو شكل رباعى أضلاعه متساوية ، وزواياه قائمة . وابن عربى فى حديثه عن المحاوراة بين موسى عليه السلام ، وبين فرعون ، يقول : إن فرعون سأل موسى عن الحد الذاتى لله ، أى عن حقيقته ومماهته . وهذا صحيح . فالسؤال بـ « ما » سؤال عن الماهية . بيد أن ابن عربى - وقد ذكر طرفاً من حق - بنى عليه باطلاً ، بما نسب زوراً إلى موسى فى جوابه عن سؤال فرعون ، وقبل أن نبين هذا الذى بهت به الزنديق نبي الله ، نعرض عليك ما فسر به الزغشرى سؤال فرعون وجواب موسى ، فقد أجاد الزغشرى القول فى نباعة من الفهم : « وهذا السؤال » يعنى سؤال فرعون لموسى بقوله : ما رب العالمين « لا يخلو : إما أن يريد به : أى شيء هو من الأشياء التى شوهدت ، وعرفت أجناسها ؟ فأجاب - أى موسى - بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ، ليعرف أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من =

الذاتى عين إضافته إلى مظهر به من صور العالم ، أو مظهر فيه من صور العالم ، فكأنه قال فى جواب قوله : وما رب العالمين . قال : الذى تظهر فيه صورة

= الأجرام والأعراض، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ، ليس كمثل شيء ، وإما أن يريد به — أى بسؤاله — أى شيء هو على الإطلاق ؟ ! تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي ؟ فأجاب بأن الذى إليه سبيل — وهو الكافي فى معرفته — معرفة ثباته بصفاته ، استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك ، وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التى هى فوق فطر العقول ، تفتيش عملا سبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، والذى يلقى بحال فرعون ، ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه ، لادعائه الإلهية ، فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، فلما تثنى بتقريره ، جنته إلى قومه ، وطرز به « أى سخر واحتدم غيظا » حيث سماه : رسولهم ، فلما تثنى بتقرير آخر ، احتد واحتدم ، وقال : لئن اتخذت إلها غيرى . وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير » انتهى من الكشف للزحشرى . غير أن الزنديق ابن عربى يفسر جواب موسى عليه السلام بما يتفق وهوى ذنفته ، وأسطورة الوحدة ، إذ يزعم أن جواب موسى على سؤال فرعون : ما رب العالمين ؟ ! هو : الذى تظهر فيه صورة العالمين ، من علو — وهو السماء — وسفل — وهو الأرض — ثم يقول بعد : فلما جعل موسى المسئول عنه عين صور العالم !! فتأمل كيف يفهم الزنديق ، وكيف يجعل الحق باطلا هذا العريد الخبل !! أية صلة بين ما نسبته إفكا وبهتان وزورا إلى موسى عليه السلام ، وبين ما أجاب به موسى من إشراق الحق والإيمان والتوحيد ؟ ! وهو قوله : رب السموات والأرض ، وما بينهما ، وقوله : ربكم ورب آبائكم الأولين ، وقوله : رب الشرق والغرب وما بينهما . يجيب موسى بأن الله وحده رب كل شيء ، فيفتري الزنديق على موسى بأنه أجاب : إن الله عين كل شيء ، وهكذا يفهم الصوفية — سلفا وخلفا — كتاب الله ، وبمثل هذا الألفى المجوسى يفسرون آيات الله ، ومع هذا ما زلت تجد الأجبار مهطعين أذلاء لأبالسة التصوف ، بل تجدد قوما منهم يفخرون بأنهم أخذوا العهد على الأحداث من مخايل التصوفة المأفونين .

العالمين من علو - وهو السماء - وسفل - وهو الأرض - إن كنتم موقنين^(١)

فرعون عند الصوفية رب موسى وسيده

ثم قال : « فلما جعل موسى السئول عنه عين [صور] العالم^(٢) خاطبه فرعون بهذا اللسان - والقوم لا يشعرون - فقال [له] : (٢٦ : ٢٩) لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) والسين في السجن من حروف الزوائد^(٣) »
أى : لأسترنك ، فإنك أحببت بما أيدتنى به ، أن أقول لك مثل هذا القول .
فإن قلت لى : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إياى - والعين واحدة - فكيف فرقت ؟ فيقول فرعون : إنما فرقت المراتب العين^(٤) . ماتفرقت [العين] ، ولا انقسمت فى ذاتها ، ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل ، وأنا أنت بالعين ، وغيرك بالرتبة^(٥) » - ثم قال : « ولما كان فرعون فى منصب التحكم

(١) ص ٢٠٨ فصوص الحكم

(٢) من أين جاء الزنديق بهذا البهتان ؟ وجواب موسى مبدوء فى كل مرة بتقرير ربوبية الله وحده ١١ . ولسكنها الجرأة الوقاح التى لا تخفل بدين ولا لغة ولا عقل ، ولا عرف عام أو خاص

(٣) بل السين فى هذه الكلمة حرف أصلى ، مثلها فى ستر ، وسبح ، وسبك ولكن ابن عربى - وقد اقترى على الله الكذب كله - لا يعجزه أن يفترى على اللغة
(٤) فى الأصل : العين بالضم على اعتبار أنها فاعل فرقت . وهو خطأ صوته من الفصوص . ويزعم الزنديق أن موسى قال لفرعون : كيف تتوعدنى ، وأنت تعلم أن ذاتى هى ذاتك ، وهوى هويتك ، لأنى وإياك عين الذات الإلهية ، وفى وعيدك إياى إشعار لى بأنك تفهم أنى غيرك ، فكيف تفرق بين الرب وبين نفسه ؟
قال فرعون : نعم أنا أنت يا موسى فى الحقيقة لأننا عين الذات ، غير أن الرب المتعين فى له التحكم فى هويته التى تعينت فيك ، فأنا غيرك فى الرتبة ، وإن كنت أنا عينك فى الحقيقة

(٥) ص ٢٠٩ فصوص

صاحب الوقت^(١) ، وأنه الخليفة بالسيف ، وإن جار في العرف الناموسى ،
لذلك قال : (٧٩ : ٢٤ أنا ربكم الأعلى) أى : وإن كان السكل أربابا بنسبة ما ،
فأنا الأعلى منهم ، بما أعطيته فى الظاهر من التحكم فىكم ، ولما علمت السحرة
صدقه فيما قاله ، لم ينكروه ، وأقروا له بذلك ، فقالوا له : (٢٠ : ٧٢ فاقض
ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) فالدولة لك ، فصح قوله : أنا ربكم
الأعلى ، وإن كان عين الحق ، فالصورة لفرعون ، فقطع الأيدى والأرجل [٣٥]
وصلب بعين حق فى صورة باطل^(٢) ، لنيل مراتب لانتال إلا بذلك الفعل
[فإن الأسباب لاسبيل إلى تعطيلها ، لأن الأعيان الثابتة اقتضتها ، فلا تظهر
فى الوجود إلا بصورة ما هى عليه فى الثبوت] ، إذ لا تبديل لكلمات الله ، وليس
كلمات الله سوى أعيان الموجودات^(٣) ، فينسب إليها القديم من حيث ثبوتها ،
وينسب إليها الحدوث من حيث وجودها وظهورها ، كما تقول : حدث اليوم

(١) عرف الصوفية صاحب الوقت بأنه : « هو المتحقق بجمعية البرزخية ، المطلع
على حقائق الأشياء ، الخارج عن حكم الزمان وتصرفات ماضيه ومستقبله إلى الآن
الدائم ، فهو ظرف أحواله وصفاته ، فلذلك يتصرف فى الزمان بالطقى والنشر ، وفى
المكان بالقبض والبسط ، لأنه المتحقق بالحقائق والطبائع فى القليل والكثير
والطويل والقصر والعظيم والصغير سواء ، إذ الوحدة والكثرة والمقادير كلها
عوارض ، فكما تصرف فى الوهم فيها ، كذلك فى العقل ، قصدق وافهم تصرفه
فيها فى الشهود والكشف الصريح ، فإن المتحقق بالحق ، المتصرف بالحقائق يفعل
ما يفعل فى طور وراء طور الحس والوهم والعقل ، ويتسلط على العوارض بالتغيير
والتبديل » جامع الأصول فى الأولياء ط ١٣٢٨ للسكمشخانلى

(٢) يزعم أن فرعون حين صلب كان هو الله فى الحقيقة متعينا فى صورة باطلة
هى صورة خلقية سميت فرعون

(٣) أبى الزنديقى إلا أن يكون كفره أشد خبثا من كفر النصارى ، إذ زعموا
أن حكمة الله تجسدت فى عيسى ، وزعم هو أن أعيان الموجودات كلها هى
تجسيدات كلمات الله ، أو هى كلمات الله تعينت أجسادا ، أو هى هى الله سبحانه

عندنا إنسان ، أو ضيف ، ولا يلزم من حدوثه أنه ما كان له وجود قبل الحدث^(١) .

حكم من ينسب ربوبية إلى فرعون

قال الشيخ زين الدين العراقي : « قوله في قول فرعون : أنا ربكم الأعلى : أنه صح قوله ذلك ، مستدلاً عليه بأن السحرة صدقوه - كذب وافترء على السحرة ، فلقد كذبوه ، وخالفوه ، ودعواه كاذبة ، وبها أخذ الله فرعون وأهلكه ، فقال تعالى حكاية عنه : (٧٩ : ٢٤ ، ٢٥ فقال : أنا ربكم الأعلى ، فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) ثم قال : ولا شك أن من صح أنه قال هذا ، واعتقده ، مع وجود عقله ، وهو غيره مكروه ، ولا يجبر الإجماع المجوز للكفر ، فهو كافر ولا يقبل منه تأويلها على ما أراد ، ولا كرامة ، كما قدمنا ذكره ، وهذا ما لا نعلم فيه خلافاً بين العلماء بعلوم الشريعة المطهرة في مذاهب الأئمة الأربعة ، وغيرهم من أهل الاجتهاد والصحيح . والله أعلم » .

وهذا كما ترى مبطل لما يقوله بعضهم من الخرافات في تأويله ستر الكفر ، وأن المراد به : فرعون النفس ؛ لأنه نزل قوله على جلّ آيات القرآن جملة جملة ، ومن المقطوع به أن الله تعالى ما أنزل هذه الآيات إلا في فرعون موسى .

تحريم التأويل

ولهذا قال الفزّالى في الطامات من كتاب العلم من الإحياء - بعد تحريم التأويل بما لا تسبق الأفهام إليه - مانصه : « وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا ، كتزويل فرعون على القلب ، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا وجوده ، ودعوة موسى عليه السلام له ، كأبى جهل ، وأبى لهب ، وغيرها من الكفار

وليس من جنس الشياطين والملائكة ، وما يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه ^(١) انتهى .

رأى ولد العراق في الفصوص والتائية

وقال الإمام ولي الدين أحمد العراقي ^(٢) ابن الشيخ زين الدين المذكور في المسألة الحادية والعشرين من فتاويه المسكية مانصه : « لاشك في اشتغال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لاشك فيه ، وكذلك فتوحاته المسكية ، فإن صح صدور ذلك عنه ، واستمر إلى وفاته ، فهو كافر مُحَلَّدٌ في النار بلا شك ، وقد صح عندي عن الحافظ المزى ^(٣) أنه نقل من خطه في تفسير قوله تعالى : (٢ : ٦) إن الذين كفروا سواء عليهم [أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون] (كلاما ينبو عنه السمع ، ويقضى الكفر ، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها ^(٤) ،

(١) الغزالي نفسه في كتبه المضمون بها على غير أهلها من أشد الفرقين الغالين في التأويل ، بل من أشدهم جرأة على تجريد الألفاظ من معانيها ، ثم تحميل الألفاظ معاني باطنية ، لا تقرها دلالة من الدلالات اللغوية

(٢) كنيته : أبو زرعة . ولد سنة ٧٦٢ هـ ، وتوفي سنة ٨٢٦ هـ

(٣) هو الحافظ الجليل يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن عبد الملك ، أبو الحجاج جمال الدين . ولد سنة ٦٥٤ بالمعقلة بظاهر حلب . سمع منه ابن تيمية — وقد أودى المزى بسببه — والدهي ، وابن سيد الناس . توفي سنة ٧٤٢

(٤) جاء بهامش الأصل : « قال — يعني ابن عربي — عليه من الله ما يستحق . قال الله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم) . . . إيجاز البيان فيه : يا محمد إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم ، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلناك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ، فإنهم لا يعقلون غيري ، وأنت تنذرهم بخلق ، وهم ما عقلوه ، ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك . وقد ختمت على قلوبهم . فلم أجعل فيها متسعا لغيري . وعلى سمعهم . . . »

والذى يمكن تأويله منها كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل ، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر ، وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين القونوى - وأدركت أصحابه - أنه قال فى مثل ذلك : إنما يؤول كلام المعصومين ، وهو كما قال « - [٢٦] ثم ذكر كلام الذهبي^(١) فيه ، وساق الأسانيد إلى ابن [عبد] السلام^(٢) بما يأتى عنه من تكفيره ، ثم قال : « وأما ابن الفارض ، فالاتحاد فى شعره ، وأمرنا أن نحكم بالظاهر ، وإنما تؤول كلام المعصومين ، لكن علماء عصره من أهل الحديث رووا عنه فى معاجهم ، ولم يترجموه بشيء من ذلك ، فقال الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى^(٣) فى معجمه : الشافى الأديب^(٤) سمع من

== فلا يسمعون كلاما إلا مئى . وعلى أبصارهم غشاوة من [بهائى عند] مشاهدتى . فلا يصرون غيرا . ولهم عذاب عظيم عندى أردم بعد هذا المشهد السقى إلى إنذارك . وأحجيم عى كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أذنى [قريبا] وأنزلتك إلى من يكذبك . ويرد [ما جئت به إليه من] الكلام فى وجهك . وتسمع فى ما يضيق به صدرك . فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى إسرائيل . فهكذا إيمانى على خلقى للدين أجنتهم رضائى ، فلا أسخط عليهم أبدا . إلى آخر ما ذكره بغيره ذكر ذلك فى الباب الخامس من الفتوحات المكية » انتهى .. وأقول : وقد راجعت هذا على الفتوحات ، وأثبت عنها ما سقط من كاتب الهامش ، ووضعته بين هذين [(١) هو الحافظ الجليل محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد سنة ٦٧٣ يقول عنه طاش كبرى زاده : كان إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر لفظا ومعنى ، شيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال فى كل سبيل . توفى سنة ٧٤٨ هـ]

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين . ولد سنة ٥٧٨ ، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد - وهو الذى لقب العز بسطان العلماء - وتوفى سنة ٦٦٠ هـ (٣) ولد سنة ٥٨١ ومن مصنفاته مختصر سنن أبى داود - نشرته مطبعة السنة المحمدية فى طبعة جيدة التحقيق والطبع - ومختصر مسلم ، والترغيب والترهيب . توفى سنة ٦٥٦ هـ

(٤) يعنى ابن الفارض

أبي القاسم ابن عساكر ، وحدث : سمعت شيئا من شعره . وقال الحافظ رشيد الدين العطار في معجمه : الشيخ الفاضل الأديب كان حسن النظم متوقد الخاطر ، وكان يسلك طريق التصوف ، وينتحل مذهب الشافعي ، وأقام في مكة مدة ، وصحب جماعة من المشايخ . . وقال الحافظ أبو بكر بن مسدي^(١) : برع في الأدب ، فكان رقيق الطبع ، عذب النبع ، فصيح العبارة ، دقيق الإشارة ، سلس القيادة ، نبيل الإصدار والإيراد ، وتصرف فتصوف ، فكان كالروض الموقف ، وتحلق بالزى ، وتزيا بالخلق ، وجمع كرم النفس كل مفترق . انتهى كلام الشيخ ولي الدين . وما قاله هؤلاء الأئمة ليس فيه مناقضة لكلامه أولا في الحكم عليه بالاتحاد ، فإنهم لم يقضوا على التائية ونحوها ، وأما قوله : إن صح ذلك عنه ، فهو على طريق من يعتبر في الكتب المشهورة إسنادا خاصا ، وهي طريقة غير مرضية^(٢) ، والصحيح أنها لا تحتاج إلى ذلك ، بل الشهرة كافية^(٣) ، والله الموفق .

رأى السكوتى

وقال الإمام أبو على ابن خليل السكوتى في كتابه : تحت العوام ، فيما يتعلق

(١) هو محمد بن يوسف الأزدي الفرناطى قتل بمكة سنة ٦٦٣ . قال عنه

الذهبي : « له أوهام ، وفيه تشيع ، ورأيت جماعة يضعفونه

(٢) في الأصل : غير ضية .

(٣) ثبوت نسبة التائية إلى ابن الفارض حقيقة لا ينتطح فيها غزان . ونحن

لا يعيننا كونها له ، أو لغيره ، مادام الصوفية أنفسهم ، يقرون بنسبتها إليه ،

ويدينون بما فيها ، بل ما سموه سلطان العاشقين إلّا بها ، ويؤمنون بأنها أروع

تعبير عن الحب الإلهى الذى يجعل المحب عين الحب وعين الحبيب ، ولكن ليفض

الصوفية لسلطان عاشقهم ما شاءوا ، وليتهموا منتقديه بعمى البصيرة ، فكل هذا

الدوى الراعد الجبانة لن يضع دوى الحق معلنا في قوة وشجاعة وإيمان أن تصوف

ابن الفارض ما هو إلّا أحبث تعبير عن الزندقة

بجلم الكلام . بعد أن حذر من ابن عربى وأتباعه ، فقال : « وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن عربى الطائى فى فصوصه وفتوحاته المسكية ، وغيرها وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله ، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد ، لأنه باطل بالبراهين القطعية - ثم قال : وكل كلام وإطلاق يوم الباطل ، فهو باطل بالإجماع ، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحا فى الباطل ، فإن قالوا : لم نقصد بكلامنا ورموزنا وإشاراتنا الاتحاد ، والحلول ، وإنما قصدنا أمرا آخر يفهم عنا ، قلنا لهم : الله أعلم بما فى الضمائر ، وما يخفى فى السرائر ، وإنما اعترضنا نحن الألفاظ والإطلاقات التى تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد ، والحلول ، والاتحاد ^(١) » انتهى .

حكم من يؤول للصوفية كلامهم

والفصل فى قطع التأويل من أصله أن محقق زمانه وصالحه علاء الدين محمد البخارى الحنفى ذكر عنه ابن عربى هذا ، فقال قاضى المالكية إذ ذاك شمس

(١) الذى لا يحاسب على ما ينطق به هو المسكره ، أو المجنون ، وهؤلاء ليسوا بمكرهين ، فما ثم من يكرهم على الزندقة ، بل كان ثم من يكرهم على الإيمان ، فلم يحاولوا . وليسوا بمجانين . بإقرار عابديهم ، وبديل تلك الآلة المستلثة فى الكيد للإسلام ابتغاء صرف الأمة عنه ، وابتغاء تمجيد الوثنية والإباحية ، وإعلاء شهواتهما . كل هذا وهم يلبسون مسوح القديسين والزهاد ، زاعمين أنهم الأرواح المطلقة التى تغرد فى أقداس الجمال المطلق . فلم يبق إلا أن يكون لهم باعث وغاية ، تلك هى القضاء على الإسلام . ألم تر إلى الزنادقة ، كيف يلحون فى دعوة الناس إلى عبادة القبور ، والضراعة إلى الرمم ؟ وكيف لا يشغلون لياليم الساهرة على الإلحاد إلا بهذا ، ولا الناس معهم إلا بتلك الوثنية . كل هذا ليدكوا - وما هم ببالفيه - أساس الإسلام للتين ، وهو التوحيد ؟

الدين محمد البساطي ^(١) : يمكن تأويل ^(٢) كلامه . فقال له البخاري : كبرت . وسلم له أهل عصره ممن كان في مجلسه ، ومن غيرهم ، وما طعن أحد منهم فيه بكلمة واحدة ، وقد كان منهم حافظ العصر قاضي الشافعية بها شهاب الدين أحمد ابن [٣٧] حجر ، وقاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني ، وقاضي القضاة محمود العيني الحنفي ، والشيخ يحيى السيرامي الحنفي ، وقاضي القضاة محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي الحنبلي ، وزيد الدين أبو بكر القمني الشافعي ، وبدر الدين محمد بن الأمانة الشافعي ، وشهاب الدين أحمد بن تقي المالكي ^(٣) ، وغيرهم من العلماء والرؤساء ، وما خلس البساطي من ذلك إلا بالبراءة من اعتقاد الاتحاد ، ومن طائفة الانحادية ، وتكفيره لمن يقول بقولهم .

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين . ولد سنة ٧٦٠ وتولى القضاء بمصر عشرين سنة . توفي سنة ٨٤٢ هـ

(٢) في محاولة الدفاع عن الصوفية بالتأويل حجة بالغة على أن كلام الصوفية يخاف الحق من الكتاب والسنة ، وإلا ما لجأ أحلاسهم إلى دعوى إمكان التأويل

(٣) هو كما يقول صاحب الشذرات : شيخ الإسلام علم الأعلام حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر الكنانى العسقلاني الأصل المصري المولد والدار والنشأة والوفاة . ولد سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٨٥٢ هـ

والتفهي نسبة إلى تفهين قرية بمصر . ولد سنة ٧٦٥ تقريبا . وتوفي سنة ٨٣٥ هـ والعيني ولد سنة ٧٦٢ هـ تولى منصب قاضي قضاة الحنفية بمصر توفي سنة ٨٨٥ هـ والسيرامي شيخ الشيوخ بمدرسة الظاهر برقوق . ولد قبل الثمانين وسبعائة وتوفي سنة ٨٣٣ هـ . والبغدادي كان شيخ الحنابلة في عصره ومفتي الديار المصرية ولد سنة ٧٦٥ . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ

والقمني ولد سنة ٧٥٨ ولى تدريس الصلاحية بالقدس والمنصورية والشريفية وتوفي سنة ٨٣٣ .

والتقي المالكي ولد بفوة سنة ٧٨٥ تقريبا . وتوفي سنة ٨٤٢ هـ

أوهام الصوفية في الحكم بإيمان فرعون

ثم قال ابن عربى : « وأما قوله : (٤٠ : ٨٥) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده) ، (إلاقوم يونس ^(١)) فلم يدل ذلك على أنه لا ينفعهم فى الآخرة ، بقوله فى الاستثناء : إلاقوم يونس . فأراد أن ذلك لا يرفع عنهم الأخذ فى الدنيا ، فلذلك أخذ فرعون مع وجود الإيمان منه ^(٢) »
ثم قال : « فآمن بالذى آمنت به بنو إسرائيل على التيقن بالنجاة ، فكان كما تيقن ، لكن على غير الصورة التى أراد ، فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجى بدنه ، كما قال تعالى : (١٠ : ٩٢) فاليوم ننجيك بيدك] لتكون لمن خلفك آية) لأنه لو غاب بصورته ربما قال قومه : احتجب ، فظهر بالصورة المعبودة مئيتا ، ليعلم أنه هو [فقد عمته النجاة حساً ومعنى ، ومن حقت عليه كلمة العذاب الأخرى ^(٣) لا يؤمن ، ولو جاءت كل آية (حتى يروا العذاب الأليم) أى يذوقوا العذاب الأخرى ^(٤) ، فخرج فرعون من هذا الصنف . هذا هو الظاهر الذى ورد به القرآن ، ثم إنا نقول بعد ذلك : والأمر فيه إلى الله ، لما استقر فى نفوس عامة الخلق من شقائه ، وما لهم نص فى ذلك يستندون إليه ^(٥) » انتهى - وقد تقدم النص المنتج قطعاً بديهية أنه من أهل النار . ثم قال : « ثم لتعلم ^(٦) أنه

(١) يعنى قوله سبحانه : (١٠ : ٩٨) فلولا كانت قرية آمنت ، فنفعها إيمانها إلا قوم يونس . لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعناهم إلى حين)

(٢) ص ٢١١ فصوص

(٣) ، (٤) فى الأصل : الأخرى

(٥) ص ٢١٤ فصوص ، وليس بعجيب أن ينكر الزنديق وجود نص فى القرآن

يدل على أن فرعون من أصحاب النار !! وقد ذكر فى هذا النص نفسه أن فرعون

هو الرب الأعلى ، وأنه أعظم من موسى

(٦) فى الأصل : وليعلم

ما يقبض الله أحداً إلا وهو مؤمن، أى مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية، أعنى من المحتضرين ، ولهذا يُكرّره الموت الفجاءة ، وقتل الغفلة ^(١) » ثم قال : « وأما حكمة التجلى والـكلام فى صورة النار ، فلأنها كانت بغية موسى ، فتجلى له فى مطلوبه ^(٢) » ثم قال : كنار موسى ، رآها ^(٣) حين حاجته وهو الإله ، ولكن ليس يدريه .

اقتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال فى فص حكمة فردية فى كلمة ^(٤) محمدية : « وإنما حجب إليه النساء ، نحن إليهن ؛ لأنه من باب خنين الكل إلى جزئه ^(٥) ، فأبان بذلك عن الأمر

(١) ، (٢) ص ٢١٢ فصوص

(٣) فى الأصل : يراها

(٤) نسبة لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل إلى الحقيقة المحمدية التى يزعم الصوفية أنها هى الذات مع التعيين الأول ، وأنها هى اسم الله الأعظم ، وإذا كان كل شئ عند الصوفية هو أحد تعينات الذات الإلهية ، فإن محمدهم — وحاشا رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم — هو صور الحق كلها ، لتحقيقه بالحقيقة الأحادية والواحدية (٥) محمد كما سبق هو صور الحق كلها عند الصوفية ، والنساء عند الصوفية هن أجمل تعينات الذات الإلهية ، لهذا نحن محمد الذى هو الكل إلى بعض تعيناته أو أجزائه ، هكذا يصور الصوفية العلاقة بين ربهم المتعين فى محمد ، وبين ربهم المتعين فى صور النساء ، وللحجب عندهم ناحيتان . إحداهما شوق الحق إلى الخلق ، وأخرهما : شوق الخلق إلى الحق ، وشوق الحق له اعتباران أو مظهران . أحدهما : اشتياقه إلى الظهور بعد البطون ، أو التقييد بعد الإطلاق ، وهذا يكون بتعيينه فى صور بدنية عنصرية . وأما آخرهما . فاشتياقه إلى العودة إلى الإطلاق ، أو التجرد بعد التعيين ، فربهم دائماً مشدود العاطفة بين الإطلاق ، وبين التقييد ، أو بين المرتبتين : الحقيقة والخلقية . أما شوق الخلق إلى الحق فله مظهر أو اعتبار واحد ، هو التجرد من الصور الخلقية ، ليعود حقاً ، أو وجوداً مطلقاً كما كان قبل تعيينه ، وليس اشتياق أحدهما اشتياق الشئ إلى غيره ، بل إلى نفسه ، ودأماً ترى زعماء =

في نفسه من جانب الحق في قوله في هذه النشأة الإنسانية العنصرية : ونفخت فيه من روحي . ثم وصف نفسه بشدة الشوق إلى لقائه ، فقال للمشتاقين : يادود إني أشد شوقاً إليهم^(١) .

التثليث عند الصوفية

ثم ذكر العبد المؤمن ، وأنه لا يرى ربه إلا بعد الموت ، فاشتاق الحق لوجود هذه النسبة ، يعنى رؤية المؤمن له تعالى بالموت ، ثم قال : « فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا إلى نفسه ، ألا تراه خلقه على صورته ، لأنه من روحه ، ولما كانت نشأته من هذه الأركان الأربعة المسماة [٣٨] في جسده^(٢) أخلاطاً حدث عن نفخة اشتعال بما في جسده من الرطوبة ، فكان روح الإنسان ناراً ، لأجل نشأته ، ولهذا ما كلم الله تعالى موسى إلا في صورة النار [وجعل حاجته فيها ، فلو كانت نشأته طبيعية ، لسكان روحه ناراً] ، وكفى عنه بالنفخ يشير إلى أنه من نفس الرحمن^(٣) ، فإنه بهذا النفس الذي هو النفخة ظهر عينه [وباستعداد المنفوخ فيه كان الاشتغال ناراً لا نوراً] فبطن نفس الرحمن فيما كان

== الصوفية يلهجون بذكر النساء ، ويرونهن أكل وأجل وأنهم تعينات الذات الإلهية ومجايلها ، كما رأيت من ابن الفارض وابن عربي ، وكما سترى بعد . وهذا يحملك تؤمن بأن هناك في أعماق التصوف حيواناً ضارياً يستعبده الشبق والغلة الداعرة ، ويستعلن دائماً بالصرخ الملهب عما يزلله من رجفات الشهوات العارمة ، ويزو بهر بدته على كل مقدسات الدين وعارم الفضيلة ، وتؤمن كذلك أن من مقومات التصوف عبادة المرأة ، وتعرف عن يقين لماذا يبحث الصوفية عن درويشات يسكنن معهم طريق القوم !!

(١) ص ٢١٥ فصوص

(٢) في الأصل : حده

(٣) في الأصل : الحق

[به] الإنسان إنساناً ، ثم اشتق له [منه] شخصاً على صورته سماه : امرأة ، فظهرت بصورته ، فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنن إليه حنين الشيء إلى وطنه ، فحببت ^(١) إليه النساء ، فإن الله أحب من خلقه على صورته ، وأسجد له ملائكته [النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم ، وعلو نشأتهم الطبيعية] فن هناك وقعت المناسبة ، والصورة أعظم مناسبة ، وأجلها وأكملها ، فإنها زوج أى شفعت وجود الحق ، كما أن هناك المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجاً ، فظهرت ^(٢) الثلاثة : حق ورجل وامرأة ^(٣) . فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته ^(٤) « انتهى وقد علم من هنا قطعاً أنه يريد بالصورة فى خلق آدم على صورته معناها المتعارف ^(٥) !!

رب الصوفية امرأة

ثم قال : « فإذا شاهد الرجل الحق فى المرأة كان شهوداً فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من [غير] استحضار صورة ما كان شهوداً ^(٦) فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أنم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل

(١) ، (٢) فى الأصل : فحبت - ظهره

(٣) هذا هو التثليث عند ابن عربى ، وهو بعض ما استعده من المسيحية
الفلسفة ، بيد أنه زاد الكفر شناعة ، فقال بثالوث هو « حق ورجل وامرأة »
الثلاثة إله واحد

(٤) ص ٢١٦ فصوص

(٥) لا بل يريد بالصورة غير هذا ، يريد بها هوية الذات ، يعنى أن هوية
آدم وماهيته عين هوية الحق وماهيته
(٦) فى الأصل : شهوده

منفعل^(١) ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة . فلمذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؟ لسكّال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً^(٢) ، فإن الله بالذات غنى عن العالمين ، وإذا^(٣) كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ،

(١) الرجل والمرأة عند ابن عربي صورتان من صور الله ، يعنى حقيقة يتجلى في صورتى رجل وامرأة ، وفي حال الواقعة يسمى الرجل فاعلاً ، والمرأة منفعلة . ويدين الزنديق بأن ربه فاعل منفعل معاً ، فهو فاعل لتعينه في صورة رجل ، وهو منفعل لتعينه في صورة امرأة مع رجل . ولما كانت المرأة - هكذا يصور الزنديق - تعتبر فاعلة ، لشدة تأثيرها في الرجل في تلك الحال العاصفة بالشهوة ، فإن شهود الإله النصوف في المرأة المهلك أتم وأكمل ، إذ يشاهد فيها في صورة فاعل ومنفعل . وهنا يبدو خطر التصوف الجامح على الخلق والعرض والأمة ، ماذا يفعل النصوف وهو يؤمن أن المرأة هي أتم وأكمل مجالى الإله ؟ ماذا سيحدث منه وهو يوقن أن ربه امرأة يواقعها رجل ؟ ! اعفى من الجواب ، لأنك ستدرك الجواب ، ستدرك أن التصوف دعوة ملحة إلى الإباحية الماحجة ! ! وهذا يؤكد لك ما قررته من قبل ، وهو أن لحيوان الشهوة العربد في أعماق ابن عربي أثراً بعيداً في تصوفه ، فقد تدله - وهو بمكة حين زارها سنة ٥٩٨ هـ - بحب غانية هي ابنة الشيخ مكين الدين الأصفهاني ، ولكنها لم تهدد من نزواته الفواجر ، ولم ترد غلة ذنبه الظامىء إلى الدم ، فنظم - يستدرجها إلى الغواية - فيها ديوان شعره المسمى : ترجمان الأشواق ، وابن عربي نفسه يقر بأنه نظم ديوانه هذا تشبيهاً بتلك الغانية القتل ، وحين عصفت الفضيحة بهواه ، فراراً من مكة ، حتى لا يجابه عار الفضيحة ، بيد أن الهوى ظل يعصف به ، ويلهبه . وثمت نفس عن جحيمه بخيالات زندقته ، فراح يصور ربه في صورة امرأة ، ويزعم أنه يتجلى - أجملاً وأحلى ما يتجلى - في صورة امرأة تقترف . كل هذا من أجل امرأة لم تستطع شهوته أن تضرس منها اللحم ، وتغرق العظم

(٢) أى لا بد للاله الصوفى من جسد يتعين فيه ، فتأمل ! !

(٣) في الأصل : فإذا

ولم تكن الشهادة إلا في مادة ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود ^(١) وأكمله [وأعظم الوصلة النكاح ^(٢)] وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته ، ليخلفه ، فيرى فيه نفسه ، فسوّاه ، وعدّله ، ونفخ فيه من روحه الذي هو نفسه ، فظاهره خلق ، وباطنه حق ^(٣) . »

وهذا يدلّك على أن الإله عنده كالسكلى الطبيعي ^(٤) ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، والله الموفق .

ثم قال : « فن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة ، فكان صورة بلا روح عنده ، وإن كانت تلك الصورة في نفس الأمر ذات روح ، واسكنها غير مشهودة لمن جاء لامرأته ، أو لأشي حيث كانت لجرد الالتذاذ ، واسكن لا يدري : لمن ؟ ! فجهل من نفسه ما يجهل الغير منه مالم يسمه هو بلسانه حتى يعلم ، كما قال بعضهم : صح عند الناس أنى عاشق غير أن لم يعرفوا عشقى لمن كذلك هذا . أحب الالتذاذ ، فأحب [٣٩] المحل الذي يكون فيه ، وهو المرأة ، واسكن غاب عنه روح المسألة ، فلو علمها ، لم بمن التذ ، ومن التذ ؟ ^(٥) وكان كاملا ، وكما نزلت المرأة عن درجة الرجل بقوله : (٣ : ٢٨٨

(١) في الأصل : شهود

(٢) يعنى به : ماله من معنى في أذهان العامة ، لا الزواج

(٣) ص ٢١٧ فصوص الحكم

(٤) السكلى هو ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشراكة فيه ، كالإنسان ، ويسمى كليا طبيعيا باعتبار وجوده في الخارج أى في الطبيعة ، والسكلى الطبيعي جزء جزئيه ، فلا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، أعنى ليس له وجود خاص به ، قائم بذاته ، وإنما يوجد بوجود أفراد . وهكذا الإله الصوفي .

(٥) يقول : لو تأهل الرجل الملتذ بالمرأة ، لعلم أنه ليس مع امرأة ، بل مع الإله الصوفي ، وأنه ليس هو الملتذ ، بل الإله الذى تعين فيه ، وأعتذر للقراء عن =

ولرجال عليهن درجة) نزل المخلوق على الصورة عن درجة من أنشأه على صورته ، مع كونه على صورته ، فبتلك الدرجة التي تميز عنه بها كان غنياً عن العالمين ، وفاعلاً أولاً ، فإن الصورة فاعل ثان ، فالله الأولية التي للحق ، فتميزت الأعيان بالمراتب ، فأعطى كل ذى حق حقه كل عارف ، فلهذا كان حب النساء لمحمد صلى الله عليه وسلم عن تحبب إلهي [وأن الله أعطى كل شيء خلقه ، وهو عين حقه ، فما أعطاه إلا باستحقاق استحققه بسماء أى بذات ذلك المستحق] وإنما قدم النساء - أى فى قوله صلى الله عليه وسلم - [حبب إلى من الدنيا] النساء والطيب ، وجعلت قرّة عينى فى الصلاة ^(١) . . . لأنهن محل الانفعال كما تقدمت الطبيعة على من وجد منها بالصورة ، وليست الطبيعة على الحقيقة إلا النفس الرحانى ، فإن فيه انفتحت صورة العالم أعلاه وأسفله ^(٢) .

الأنوثة صفة الإله الصوفى

نعم قال : إنه عليه الصلاة والسلام غلب فى هذا الخبر التأنيث على التذكير ، لأنه قصد التهنئة بالنساء فقال : ثلاث ، ولم يقل : ثلاثة بالهاء الذى هو لعدد الذكران ؛ إذ فيها ذكر الطيب ، وهو منكر ، وعادة العرب أن تغلب التذكير

ذكر هذا التنين الإباحى الصوفى ، فإننا بصدد هتك القناع عن فاحشة آئمة تترامى فى شف من القدسية والروحانية ، وتمزيق الستر عن خبيث يقترب الجريمة وهو ريان السجود فى المحاريب ، وتبصير المسلمين بمجوسية التصوف ، وما تكيد به لهم ، حتى يعتصموا بعجل الله وحده .

(١) أخرجه أحمد والنسائى والحاكم والطبرانى والبزار وابن أبى شيبة ، وقد أعلاه ابن عدى والدارقطنى والعقلى ، وليس فى شيء من طرقه لفظ ثلاث . انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، وتميز الطيب من الخبيث للشيبانى ، وبهذا ينههم كل ما به الزنديق ابن عربى من الثلاث ، وما هول به من تأنيث الإله على لفظ « ثلاث » التي ليست فى الحديث قط على ضعفه .

[على التأنيث] «^(١)» - ثم قال : « ثم إنه جعل الخاتمة نظيرة الأولى في التأنيث وأدرج بينهما المذكر ، فبدأ^(٢) بالنساء ، وحُثِمَ بالصلاة ، وكلتاها تأنيث ، والطيب بينهما « كمَوْ^(٣) » في وجوده ، فإن الرجل مُدرَج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه ، فهو بين مؤنثين تأنيث ذات ، وتأنيث حقيقي ، كذلك النساء تأنيث حقيقي ، والصلاة تأنيث غير حقيقي ، والطيب مذكر بينهما ، كآدم بين الذات الموجود هو عنها ، وبين حواء الموجودة عنه ، وإن شئت ، قلت : القدرة ، فؤتة أيضاً ، فكان على أى مذهب شئت ، فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم ، حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم ، والعلة مؤتة «^(٤)»

الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق

ثم قال : « وَتَمَّ مرتبة يعود الضمير على العبد المسبَّح فيها في قوله : (١٧ : ٤٤) وإن من شيء إلا يُسبَّح بحمده) أى محمد ذلك الشيء^(٥) ، فالضمير الذى في

(١) ص ٢١٩ فصوص وكل ما بين هذين [] ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الفصوص .

(٢) فى الأصل : فبدأ . ويظهر أن الناسخ كان يرسم الهمة التى من هذا القبيل هكذا دائماً .

(٣) الهو عند الصوفية : هو اعتبار الذات بحسب الغيبة والفقد

(٤) ص ٢٢٠ فصوص

(٥) معنى الآية : ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله رب العالمين ، ولكن ابن عربى يرجع الضمير فى قوله : بحمده ، على لفظة شيء ليتواءم هذا البهتان الزنديقى ، ومذهبه فى الوحدة ، فيكون معنى الآية عنده : ما من شيء إلا ويسبح بحمد نفسه لأن الله سبحانه عنده عين كل شيء ، فإذا سبَّح شيء ، فالسبَّح عنده والمسبَّح له هو الله سبحانه عما يقول الصوفية

[قوله] : بحمده ، يعود على الشيء ، أى بالثناء الذى يكون عليه ، كما قلنا فى المعتقد أنه [إنما] يثنى على الإله الذى فى معتقده ، وربط به نفسه ، وما كان من عمله ، فهو راجع إليه ، فإثنى إلا على نفسه ، فإنه من مدح الصنعة ، فإنما مدح الصانع بلا شك ، فإن حسنها وعدم حسنها راجع إلى صانعها ، وإله^(١) المعتقد مصنوع للناظر فيه ، فهو صنعه^(٢) ، فثناؤه على ما اعتقده ثناؤه على نفسه ولهذا يذم معتقد غيره ، ولو أنصف لم يكن له ذلك ، إلا أن صاحب هذا المعبود الخالص جاهل بلا شك^(٣) فى ذلك لا اعتراضه [٤٠] على غيره فيما اعتقده فى الله ، إذ لو عرف ما قال الجنيّد : لون الماء لون إنائه ، لسمّ لكل ذى اعتقاد ما اعتقده وعرف الله فى كل صورة ، وكل معتقد ، فهو ظانّ ليس بعالم ، ولذلك^(٤) قال : « أنا عند ظن عبدى بى »^(٥) . أى لا أظهر له إلا فى صورة معتقده ، فإن شاء أطلق ، وإن شاء قيّد ، فإنه المعتقدات تأخذه الحدود ، وهو الإله الذى وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسمه شىء ، لأنه عين الأشياء^(٦) ، وعين نفسه^(٧)

(١) فى الأصل : والإله

(٢) فى الأصل : صنفته

(٣) يحمّد المؤمن أن يذم دين الكافر ، واللوحد أن يذم دين الشرك ، والمسلم أن يذم دين وثنى أو يهودى ، أو نصرانى ، أو مجوسى ، فذم أى دين - وإن كان سداه الأسطورة ، ولحمته الخرافة - جهل عميق بالحقيقة ، فهو لاء جميعا دينهم واحد ، ومعبودهم فى الحقيقة - وإن اختلفت نسبة أو إضافاته ، أو أسماءه - واحد ، بل إنهم جميعا عين واحدة ، إذ كل واحد منهم أحد تعينات الذات الإلهية ، ومعبوداتهم فى حقيقتها الرب الواحد ، لأنها الحق تجلّى فى صور هذه المعبودات ، ودينهم واحد لأن الحق للتعين فى كل واحد منهم هو الذى شرع هذا الدين وارتضاء . ذلك البهتان هو دين الزنديق ابن عربى ، وهذا هو نص ما يريد

(٤) فى الأصل : فلذلك

(٥) متفق عليه عن أبى هريرة مرفوعا . بيد أن تفسير الزنديق له إفك أثيم

(٦) باعتبارها تعيناته أو ظاهره

(٧) باعتبارها وجودا مطلقا ، أو حقا أو باطنا

والشيء ولا يقال فيه : يسم نفسه ، لا يسمها ، فافهم^(١)

قلت : وهذا أراد ابن الفارض بقوله :

فلو أننى وَحَدَّتْ ، أَلْهَدْتُ ، وانسلخ

تُ مِنْ آىِّ جَمِى مُشْرِكا بى صَنَعَتى

دعاء ومباهلة

هذا آخر الكتاب^(٢) ، المبادئ للصواب ، المراد للشك والارتياب ، لعنة^(٣)

الله على معتقده ، ورحمة الله : على منتقده ، قد تم - والله الحمد - ما أردت إعتقاده منه ، مُتَرَجِّما بسوء السيرة وقبح السريرة عنه ، وانتهى ما وقع انتقادى عليه ، وأداني اجتهداى إليه : من واضح كفره ، ودقيق مكبره ، وَجَلِّ شَره ، أعاذنا الله بحوله وقوته من شكوكه ، وعصمنا من زيغ طريقه ، وباعدنا من سلوكه ، ورأيت أن أختم ذلك بحكاية طالما حدثنا بها شيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر ، قاضى القضاة ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر الكنانى ، العسقلانى الأصل ، المصرى الشافعى . ثم رأيتها منقولة عن كتاب الحافظ تقي الدين القاسى^(٤) فى تكفير ابن عربى ، وقد أصلح شيخنا بعضها بخطه ، قال : « كان فى أيام الظاهر برقوق^(٥) شخص يقال له : ابن الأمين شديد التعصب لابن عربى صاحب هذا الفصوص ، وكنت أنا كثير البيان لعواره ، والإظهار لعاره وعثاره ،

(١) ص ٢٢٦ فصوص

(٢) يقصد فصوص الحكم

(٣) فى الأصل : لعنه

(٤) هو محمد بن أحمد بن على ولد بمكة سنة ٧٧٥ ، وتوفى سنة ٨٣٢ هـ

ولى قضاء المالكية بمكة

(٥) مؤسس دولة المماليك البرجية ، واستمر بحكم من سنة ٧٨٤ إلى أن

توفى عن ٦٠ عاما سنة ٨٠١ هـ

وكان بمصر شيخ يقال له : الشيخ صفا ، وكان مقربا عند الظاهر ، فهددنى المذكو بأنه يعرفه بى ، ليذكر للسلطان أن بمصر جماعة أنا منهم ، يذكرون الصالحين بالسوء ، ونحو ذلك . وكانت تلك الأيام شديدة المظالم والمصائب والمخارم ، وكنت ذا مال^(١) ، فحقت عاقبته ، وخشيت غائلته ، فقلت إن هنا ما هو أقرب مما تريد ، وهو أن بعض الحفاظ قال : إنه وقع الاستقراء بأنه ما تباهل اثنان على شيء ، فحال الحول على المُبْطِل منهما ، فهُلِمَ ، فلنتباهل ، لِيَعْلَمَ الْحَقُّ مِنَّا من المُبْطِل ، فتباهلت أنا وهو ، فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربى على ضلال ، فآلَعْنِي بِلَعْنَتِكَ ، فقال له ، فقلت أنا : اللهم إن كان ابن عربى على هدى فآلَعْنِي بِلَعْنَتِكَ وافترقنا ، وكان يسكن الروضة ، فاستضافه شخص من أبناء^(٢) الجند جميل الصورة ، ثم بدا له أن يتركهم ، فخرج فى أول الليل ، فخرجوا يشيعونه فأحس بشيء مرَّ على رجله^(٣) ، فقال لأصحابه : مرَّ على رجله شيء ناعم ، فانظروا ما هو ؟ فنظروا [٤١] فلم يجدوا شيئا ، فذهب ، فما وصل إلى منزله إلا وقد عمى ، ولم يصبح إلا وهو ميت ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبعائة ، وكانت المباهلة فى رمضان منها ، قال : وكنت عند وقوع المباهلة عرّفت من حضر أن من كان مُبْطِلا فى المباهلة لا تمضى عليه السنة ، فكان والله الحمد ذلك ، واسترحت من شره ، وأمنت من عاقبة مكره .

المكفرون لابن عربى

وقد صرح بكفر هذا الرجل^(٤) ، ومن نحأ نحوه فى مثل هذه الأقوال الظاهرة

(١) كذا بالأصل ولعلها : مال

(٢) فى الأصل : ابنا

(٣) لعلها رجلى ، إلا أن تكون على سبيل الحكاية

(٤) يقصد ابن عربى

في الضلال جماعة من العلماء الأعلام مشايخ الإسلام ، كما نقل عنهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني الحنفي في كتابه الذي صنّفه في ذلك ، وكذا نقل بعض ذلك الإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعدي^(١) الصوفي في جزء نقله عنه أحمد بن أقش الحرّاني ، قال : « وقد كتب كل من راقب الله تعالى ، وخشيه ، وامتنع كل من التّبسه مخافة غيره ، وغشيه ، فالذي كتب قام لله تعالى بلوازم فرضه ، والذي امتنع^(٢) فهو المسؤول عن ذلك في يوم عَرْضِهِ ، فإن زعم أنه ترك خوف الفتنه من المخالفين ، فتلك محنة في الدين بما وجب على كل عالم من التبيين » .

وكذلك نقل الفتاوى العلامة بدر الدين حسين بن الأهدل ، شيخ أبيات حسين ببلاد اليمن في تصنيفه المسمى : كشف الغطاء عن حقائق التوحيد ، فالمنكرون منهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم السلمي الشافعي ، كما نقل ذلك عنه شيخ الإسلام تقي الدين محمد بن دقيق العيد ، قال الحافظ شمس الدين محمد الذهبي في معجمه^(٣) : « حدثني محمد المفيد . حدثنا أبو الفتح اليعمرى ، سمعت أبا الفتح محمد بن علي القشيري ، سمعت شيخنا ابن عبد السلام يقول - وجرى ذكر ابن العربي الطائي - فقال : هو شيخ سوء كذاب^(٤) » وقال الصلاح خليل الصفدي في تاريخه : « سمعت أبا الفتح ابن سيد الناس^(٥) يقول : سمعت ابن دقيق العيد يقول : سألت ابن عبد السلام

(١) ولد سنة ٦٥٠ تقريباً ، وتوفي سنة ٧٣٦

(٢) لعلمها : امتنع

(٣) ذكر هذا في ميزان الاعتدال .

(٤) في الميزان : شيعي سوء كذاب

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس أبو الفتح فتح الدين الحافظ

الأديب . ولد سنة ٦٧١ هـ وتوفي سنة ٧٣٤ هـ

عن ابن عربي ، فقال : هو شيخ سوء كذاب ، يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجا ، وقال شيخنا العلامة محمد^(١) بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف [ويعرف^(٢)] بابن الجرزي الشافعي في جواب أجاب فيه بكفره ، كما حكاه عنه ابن الأهدل : ولقد حدثنا شيخنا شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير من لفظه غير مرة ، حدثني شيخ الإسلام العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي^(٣) ، حدثنا الشيخ العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق^(٤) العيد القائل في آخر عمره : لي أربعون [٤٢] سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها جواباً بين يدي الله تعالى ، قال : سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي عن ابن عربي ، فقال : شيخ سوء كذاب ، يقول بقدوم العالم ، ولا يحرم فرجا انتهى . وقال ابن تيمية^(٥) في جواب السيف

(١) ولد الجرزي بدمشق سنة ٧٥١ هـ وتوفي سنة ٨١٤ هـ

(٢) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن الضوء اللامع

(٣) ولد سنة ٦٨٣ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ ولى قضاء دمشق والخطابة بالجامع الأموي ، وكان من خصوم ابن تيمية ، غير أنه عاد فأثنى عليه ثناء مستطاباً (٤) ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وتوفي سنة ٧٠٢ هـ يقول عنه الذهبي : كان

إماماً متقناً مجوداً مديماً السنن والجمع وله اليد الطولى في الفروع والأصول

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي علم الأعلام الإمام الصبار الشكور . يقول عنه خصمه تقي الدين السبكي - وقد عاتبه الحافظ الذهبي على ما نال به من قدر ابن تيمية : « المملوك » يعني نفسه « يتحقق كبير قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم العقلية والعقلية » يعني بكل هذا ابن تيمية « وفرض ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، وقدره في نفس أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام به ، لا لغرض سواء ، =

السعودى « فكفره الفقيه أبو محمد بذلك ، ولم يكن بعدُ ظَهَرَ من قوله : إن العالم هو الله ، والعالم صورة الله ، وهوية الله » قال السيف المذكور : ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام قطب الدين ابن القسطلانى ، وحذر الناس من تصديقه ، وبين في مصنفاته فساد قاعدته ، وضلال طريقه في كتاب سماه : بالارتباط . ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط . ومنهم قاضى القضاة قدوة أهل التصوف إمام الشافعية بدر الدين محمد بن جماعة قال : « وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن في المنام فيما يخالف ، أو يضاد قواعد الإسلام ^(١) » ، بل ذلك من وساوس الشيطان ومحتته ، وتلاعبه برأيه وفتنته ، وأما إنكاره - يعنى ابن عربى - ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد ، فهو كافر به عند علماء التوحيد ، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قولُ لَعُو باطل مردود ^(٢) » والقدوة العارف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطى ^(٣) ، وقال إنه علق فى ذم هذه الطائفة ^(٤) ثلاث كراريس ، الأول سماه : البيان المفيد فى الفرق بين الإلحاد والتوحيد ، الثانى : لوامع الاسترشاد فى الفرق بين التوحيد والإلحاد ، والثالث : أشعة النصوص فى هتك أستار القصوص . كل ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة . يحدرون من طرقتهم وزندقتهم . وحاصل ذلك كله بكلام وجيز مختصر :

== وجريه على سنن السلف ، وأخذ من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله فى هذا الزمان ، بل من أزمان » انتهى نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر . ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ ، ومات سجين البغى بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(١) رد على ما زعمه ابن عربى فى خطبة القصوص أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنه قال له : هذا كتاب القصوص خذها واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للثائية الكبرى

(٢) انظر نص هذه الفتوى فى العلم الشامخ للمقبلى ص ٤٩٤

(٣) ولد سنة ٦٥٧ وتوفى سنة ٧١١ هـ

(٤) طائفة ابن عربى ومن دان دينه

« أن هؤلاء جميع ما يدونه من الكلام الحسن في مصنفاتهم إنما هو ربط واستجلاب ، فإن الدعاة إلى البدعة إن لم يكونوا ذوى بصيرة يستدرجون الخلق في دعوتهم ، حتى يحلوم عن أديانهم لا يستجاب لهم . هذا ابن عربي عنده في أصوله : أنه يجعل المدومات أشياء ثابتة - علويها وسفليها - قبل وجودها ، فهي عنده ثابتة في القدم ، لكن ليس لها وجود ، ثم أفاض الحق عليها من وجوده الذاتي فقبل كل موجود من وجود عين الحق بحسب استعدادها ، فظهر الـكون بعين وجود الحق ، فكان الظاهر هو الحق ، فعنده : أنه لا وجود إلا للحق ، ويستحيل عنده أن يكون ثم وجود محدث ، كما يقوله أهل الحق ، فإنهم يقولون وجود قديم ، ووجود حادث ^(١) ، وهذا عنده ، وعند أصحابه : أنه ليس بوجود حادث ، وليس ثم إلا وجود الحق الذاتي ، وهو الذي فاض على الأعيان والممكنات

(١) ليس هذا التقسيم من صنع أهل الحق ، وإنما هو بدعة الفلسفة ومخاينتهم علماء الكلام ، والله العليم الحكيم الخبير لم يسم نفسه بالقديم ، ولا وصف وجوده أو ذاته بالقدم ، وما ورد أحدهما - الاسم والصفة - على لسان أحد من رسله ، ولا استعملت في كتاب الله فيما استعملتها فيه الفلسفة ، وإليك مواردها في القرآن : (قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم) ، (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) ، (وإذ لم يهتدوا به فيقولون : هذا إفك قديم) ، (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآبائكم الأقدمون) فهل تجد آية من هذه الآيات أعطت مفهوم القدم ، والقديم كما هو في الفلسفة والكلام ؟ وهل تجد بحث يصح إطلاقه على الله ووجوده ؟ قارن بين القدم في الفلسفة والكلام ، وبينه في القرآن إذ يصف الإفك والعرجون والضلال بالقدم ، واستخرج من هذه المقارنة بأنه لا يجوز وصف الله به وفي اللغة تقول عن شيء سلف زمانه : إنه قديم ، وعن الثوب الرث : إنه قديم . هذا مدلول الكلمة في اللغة التي نزل بها كتاب الله ، والتي يجب أن تفسر بها وحدها القرآن . فليقولوا : خالق ومخلوق ، وليقولوا عن الله ما قاله عن نفسه « هو الأول والآخِر والظاهر والباطن »

[٤٣] فهو موجود بعينه^(١) ، ومن شك أن هذا اعتقاده ، فليراجع كتبه الفصوص وغيرها ، وعنده أنه لما فاض على الأكون عين وجود الحق ، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود ، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء ، فإنها كثيرة متعددة^(٢) ، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود ، وأن الحق أيضا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه ، وكل منهما يعبد الآخر .

فتوى الجزرى

ومنهم العلامة شمس الدين محمد بن يوسف ابن الجزرى جد شيخنا العلامة شمس الدين ، قال :^(٣) « وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر ، وقوله : إن الحق المنزه هو الخلق المشبه كلام باطل متناقض ، وهو كفر ، وقوله في قوم [هود^(٤)] : وحصلوا في عين القرب افتراء على الله تعالى ، ورد لقوله فيهم ، وقوله زال البعد وصيرورة^(٥) جهنم في حقهم نعيما كذب ، وتكذيب للشرائع ، وأما من يصدقه فيما قال ، فحكمه كحكمه في التضليل والتكفير إن كان عالما ، وإن كان ممن لا علم له : فإن قال ذلك جهلا عرف بحقيقة ذلك ، ويجب تعليمه وردعه عنه ، معها أمكن » ومنهم الإمام القدوة برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى^(٦) ، ومنهم العلامة زين الدين عمر بن أبى الحرم الكتباني^(٧) الشافعى

(١) لم يحسن التعبير ، وإليك نص الفصوص ص ٧٦ « وهو من حيث الوجود عين الموجودات » . وفي الأصل : فهي موجودة

(٢) قال القاشانى في شرح الفصوص : « للذات بحسب كل عين اسم ، وتلك الأعيان أيضا أسام ، لكونها عين الذات مع التعين » ويقول ابن عربى « فأسمائنا أسماء الله تعالى » .

(٣) انظر نص فتواه في العلم الشامخ ص ٤٩٥

(٤) أثبتنا عن الفصوص

(٥) لعلها : صارت ، أو بصيرورة

(٦) توفى في سنة ٦٨٧ هـ عن ثمانين سنة

(٧) كان شيخ الشافعية في عصره . ولد سنة ٦٥٣ وتوفى سنة ٧٣٨ هـ وانظر =

ومن جوابه : « وقوله في قوم هود كفر » ، لأن الله تعالى أخبر في القرآن العظيم عن عاد : أنهم كفروا بربهم ، والكفار ليسوا على صراط مستقيم ، فالقول بأنهم كانوا عليه ، مكذَّب لصريح القرآن ، ويأثم من سمعه ، ولم ينكره إذا كان مكلفاً ، وإن رضى به كفر .

رأى أبو حيان

والإمام أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي ^(١) . ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى (١٧:٥) لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم الآية في أوائلها : « ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر ^(٢) بالإسلام ظاهراً ، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة ، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالانحداد والوحدة : كالـلاج والشعوذى وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق ، وابن الفارض ، وأتباع هؤلاء كابن سبعين - وعد جماعة ^(٣) - ثم قال :

= نص فتواه في العلم الشامخ ص ٤٩٦ ، وفي الشذرات لقب بالكتاني نسبة إلى الكتان

(١) ولد سنة ٦٥٤ هـ . قال عنه الذهبي : « حجة العرب وعالم الديار المصرية » كان من خلاء ابن تيمية ، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها :
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وفي مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيويه ، فلم يطقها منه أبو حيان ، فكان أن بهته أبو حيان في تفسيره البحر .
(٢) في البحر : تستر .

(٣) هم كما جاء في البحر : « والتستري تلميذه وابن مطرف المقيم بمرسية ، والصفار المقتول بغرناطة ، وابن اللباج ، وأبو الحسن النقيم كان بلورقة ، ومن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون : العفيف التلمساني ، وله في ذلك أشعار كثيرة ، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع النقيم كان بدمشق . وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر ، والأيكى العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من =

وإنما سردت هؤلاء نصحاء لدين الله ، يعلم الله ذلك ، وشفقة على ضعفاء المسلمين ، وليحذروا ، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسله ، ويقولون بقدوم العالم وينفكرون البعث ، وقد أولع جهلة ممن ينتمى إلى التصوف بتعظيم هؤلاء ، وادعائهم أنهم صفوة الله ^(١) .

رأى التقي السبكي والفاسي والزواوى

والعلامة قاضى القضاة شيخ الإسلام تقي الدين على بن عبد الكافى السبكى الشافعى ، قال : « ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى وغيره ، فهم ضالّالٌ جهّال ، خارجون عن طريقة الإسلام ، فضلا عن العلماء » قال ذلك فى باب الوصية من شرح [٤٤] المهاج ونقله الكمال الديميرى ، والتقى الحصنى ، وقال الحافظ تقي الدين الفاسى فى كتابه فيه : « وقد أحرقت كتب ابن عربى غير مرة » . ويؤمن صنع ذلك من العلماء المعترين : الشيخ بهاء الدين السبكى ، والعلامة القاضى شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوى ^(٢) المالكي شارح صحيح مسلم ، فقال : « وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان ، والكفر والبهتان ، فهو كله تلبيس وضلال ، وتحريف وتبديل ، فمن صدق بذلك أو اعتقد [صحته] ^(٣) »

== ديار مصر ، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة » انتهى نقلا عن تفسير البحر لأبى حيان - وزاد فى تفسيره النهر : « والشريف عبد العزيز المنوفى ، وتلميذه عبد الغفار القوصى » .

(١) ورد بعد هذه فى البحر : « وأولياؤه ، والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين » انظر تفسير سورة المائدة من البحر لأبى حيان .

(٢) ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وتوفى سنة ٧٤٣ هـ انتهت إليه رياسة الفتوى فى المذهب المالكي بمصر والشام ، وقد شرح صحيح مسلم فى اثني عشر مجلداً وصماه : إكمال الإكمال .

(٣) ساقطة من الأصل ، وأثبتها عن العلم الشامخ ، فقد ورد فيه نص هذه الفتوى ص ٤٩٨ .

كان كافراً ملحدًا ، صَادًّا عن سبيل الله ، مخالفًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ملحدًا في آيات الله ، مُبَدِّلًا لِكَلِمَاتِهِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ ، وناظر عليه ، كان كافراً يستتاب ، فَإِنْ تَاب ، وَإِلَّا قُتِلَ ، وَإِنْ أَخْفَى ذَلِكَ ، وَأَسْرَهُ كَانَ زَنْدِيقًا ، فيقتل متى ظهر عليه ، ولا تقبل توبته إن تَاب ؛ لأن توبته لا تعرف ، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن ، فلم بالظهور عليه خبث باطنه ، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية ، لم يزالوا من قديم الزمان ضُلَّالًا في الأمة ، معروفين بالخروج من الملة ، يُقْتَلُونَ متى ظهر عليهم ، وينفون من الأرض ، وعادتهم التَّمَصُّلُح والتدين ، وادعاء التحقيق ، وهم على أسوأ طريق [فالخذر كل الخذر منهم فإنهم أعداء الله ، وشر من اليهود والنصارى ، لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ، ولا رب يعبدونه ، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهى أمره إلى ولاية المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله تعالى ^(١)] ويجب على [من ^(٢)] وَلِيَ الْأَمْرِ ^(٣) إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه ، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها ، وأدب من اتهم بهذا المذهب ، أو نسب إليه ، أو عرف به ، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه .

رَأْيُ الْبَكْرِى

ومنهم الشيخ الإمام المحقق الزاهد القدوة العارف نور الدين على بن يعقوب البكرى الشافعى ، قال : « وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ، ويكون المراد بها ظاهرها ، فصاحبها ألعن وأقبح من أن يُتَأَوَّلَ له ذلك ، بل [هو ^(٤)]

(١) ما بين هذين [] ساقط من الأصل . وأثبتته عن العلم الشامخ ص ٤٩٨ .

(٢) أثبتتها عن المصدر السابق .

(٣) في الأصل : الأمراء ، وهى كما أثبتتها في العلم الشامخ .

(٤) أثبتتها عن المصدر السابق .

كاذب فاجر ، كافر في القول والاعتقاد ، ظاهراً وباطناً ، وإن كان قائلها لم يرد
ظاهرها ، فهو كافر بقوله ، ضال بجهله ، ولا يعذر في تأويله لتلك [الألفاظ] إلا
أن يكون جاهلاً بالأحكام جهلاً تاماً عاماً ، ولا يُعذر في جهله لمعصيته ، لعدم
مراجعة العلماء والتصانيف^(١) على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض
في أمر الرسل ومتبعيهم ، أعنى معرفة الأدب في التعبيرات ، على أن في هذه
الألفاظ ما يتعذر ، أو يتعسر تأويله ، بل كلها كذلك ، ويتقدير التأويل على
وجه يصح في المراد ، فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه . وأما
دلائل ذلك فهي مذكورة في تصانيف العلماء ، وفيما ألفتة أيضاً في بعض المسائل
وليست هذه الورقة مما تسع الكلام على أقوال هذا المصنف^(٢) لفظة لفظة .

مسألة الوعيد

لكن مسألة الوعيد - يعنى التى قال فيها ابن عربى : وما لوعيد الحق عين
تُعين^(١) - لا بد فيها من نبذة لطيفة للضرورة . اعلم [٤٥] أنه ثبت بالدلائل العقلية
والسمعية ، وإجماع المسلمين أن قول الله حق ، وخبره صدق ، وذلك واجب له
لذاته سبحانه وتعالى ، ومن أنكر أن خبر الله حق ، أو أن وعده ووعيده صدق
فهو كافر بإجماع المسلمين ، وإما قال بعض الناس من الأصوليين : إنه لا يجب
وقوع الوعيد بتأويل مقرر في الأصول ، وحقيقته ترجع إلى أن كلام الله تعالى
مُنزّل على عادة العرب في مخاطبتها ، وعادتها إذا أوعدت بالعقوبة - وإن كانت

(١) ما دام قادراً على مراجعة التصانيف ، فالواجب عليه قبل كل شيء : تدبر
آيات الله سبحانه ، ففي قبس واحد من نوره ما يبدد باطل التصوف وضلاله ، أما
أن ندعوه إلى مراجعة التصانيف دون الكتاب والسنة ، فهي دعوة إلى اتخاذ
أرباب من دون الله ، وهى بعينها دعوة التصوف .

(٢) يقصد فصوص الحكم لابن عربى .

(٣) يعنى : إنكار ابن عربى وقوع العذاب على الشركين والكافرين يوم القيامة

صورتها الوعيد الجازم - فإنما تريد : إذا لم تنف ، وأصررت على الانتقام ، وأدعى أن ذلك مركز في طباعها ، وأن حقيقة اللفظ الحمل عليه ، سواء أَرَادَهُ حالة التخاطب ، أو لم يرده . وقال فيه آخرون : إن الرب سبحانه وتعالى علق الأشياء بمشيئته في غير موضع ، وأن الوعد المطلق مقيدٌ بالمشيئة ، فجوز أن يقع الوعيد بشيء ، فلا يحصل التوعد : إما لأن حقيقة اللفظ مقيدة بعدم العفو ، وإما لأن مطلق اللفظ مقيد بنصوص آخر مع أمور أخرى يحتملها اللفظ مطلقاً من غير دليل خاص : من تقييد المطلق ، وتخصيص العام ، واحتمال الإضمار والجاز . وجوز أن يضع الله تعالى اللفظ وضماً جديداً لمعنى آخر لا يفهمه العرب عند بعض الناس إلى غير ذلك . ومع هذا كله ، فإنما هو كلام في أصل الوعيد من حيث الجملة . وأما خصوص مسألة وعيد الكافرين ، فلا خلاف أن المراد به قد علم ، وأن من ادعى أن الكفار لا يعذبون أصلاً ، فهو كافر ، إلا أن يكون ممن لم تبلغهم الدعوة ، أو في معناه . والمراد في وعيد الكافرين المعلوم : هو أنهم يُعَذَّبُونَ في النار العذاب الشديد ، ولا يغفر كفرهم المغفرة المزيللة للعقوبة بعد بلوغ الدعوة ، على الوجه الذي تقوم به الحجة . والعلم بالمراد في هذه القضية متناهي بوجهين : أحدهما : أخبار التواتر . الثاني : فهم الصحابة لذلك عن المعصوم فهما قطعياً منقولاً إلينا بالتواتر المعنوي ^(١) ، وإنما تكلموا في مسألة الخلود دون أصل

(١) ورد الخبر عن عذاب الله للكفار وغيرهم بصيغة الماضي في بعض الآيات ، ومثاله : (٢٤ : ٧١) مما خطيئاتهم أغرقوا ، فأدخلوا ناراً) والتعبير عما سيقع بصيغة تفيد أنه وقع ضميمته تحقق الوقوع ، وأنه سيقع لا محالة ، ثم إن ابن عربى إنما ينكر العذاب ؛ لإيمانه بوحدة الوجود ، وبالتالي إلى وحدة الأديان . فالزندى يدعى بأن الله سبحانه عين كل شيء ، ويدعى بأن كل دين هو عين الحق ، فكيف يعذب الله كافراً ، أو مشركاً ؟ والكافر عنده هو الله ، وكذلك المشرك . والكفر دين حق وكذلك الشرك . لا يمكن وقوع العذاب ، وإلا قلنا : إن الله يعذب نفسه . هذا سر إنكار ابن عربى وقوع العذاب ، فهو في واد ، وما ذكره المؤلف هنا عن الوعيد في واد آخر .

التعذيب ، فن حاك^(١) الخلاف عن السلف ، ومن حاك الإجماع والمصنفين^(٢) فيها نظر . والله أعلم .

فتوى البالى وابن النقاش

ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالى^(٣) الشافى ، قال : « من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضىها ، كان كافرا بالله تعالى يراق دمه ، ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافى ، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعين عليه إنكارها بلسانه ، بل يجب عليه منع قائلها بالضرب ، إن لم ينزجر باللسان ، فإن عجز [٤٦] عن الإنكار بلسانه أو ييده ، وجب عليه إنكار ذلك بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .. ومنهم نادرة زمانه العلامة أبو أمامة محمد بن على ابن النقاش^(٤) المصرى الشافى فى تفسيره^(٥) ، وأجاد جداً فى تقرير مذهبهم ، وبيان عواره ، فقال : « وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل ، نزرة العلم ، اشتغلوا بهذه الحروف ، وجعلوا لها دلالات ، واشتقوا منها ألفاظا ، واستدلوا منها على مددٍ وسموا أنفسهم بعلماء الحروف^(٦) ، ثم جاءهم شيخ وقع من جهة العالم يقال له :

(١) (٢،١) لعلها حكى .

(٣) ولد سنة ٦٦٠ هـ . ولى قضاء بليس ، ولازم ابن دقيق العيد . وتوفى سنة ٧٢٩ هـ .

(٤) ولد سنة ٥٧٢٠ هـ . وتوفى سنة ٥٧٦٣ هـ .

(٥) سماه السابق واللاحق ، والتزم أن لا ينقل فيه حرفاً من تفسير أحد ممن تقدموه .

(٦) يقول ابن خلدون فى مقدمته ص ٤٤٠ عن علم الحروف : « حدث هذا العلم فى الملة بعد صور منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة ، وزعموا أن الكمال الأسمائى مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب ، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء ، فهى سارية فى الأكوان على هذا النظام ، تعددت فيه تأليف =

البونى ، ألف فيها مؤلفات ، وأتى فيها بطامات ، ومن الحروف دخلوا للباطن ، وأن للقرآن باطنًا غير ظاهر ، بل وللشرائع باطنًا غير ظاهرها ، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود ، وهو مذهب الملحدين كإبن عربي وإبن سبعين وإبن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق ، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد بل يقولون بالوحدة ؛ لأن الاتحاد يكون افتعالًا بين شيئين ، وهم يقولون : الوجود واحد لا تعدد فيه ، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين ، والواحد بالنوع ، فإن الموجودات مشتركة في مُسمى الوجود ، ولكن ليس وجودُ هذا وجودَ هذا . والقدر المشترك هو كُلِّيٌّ ، والسكلى المطلق لا يوجد كليًا مطلقًا إلا في الأذهان ، لا في الأعيان ، بل كل موجود ، من المخلوقات له وصف يختص [به] لا يشاركه فيه غيره في الخارج ، وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة - ثم قال : وهم متأهلون للخيال ، معظمون له ، ولا سيما إبن عربي منهم ، ويسميه : أرض الحقيقة ، ولهذا يقولون بجواز الجمع بين النقيضين ^(١) ، وهو من الخيال الباطل ، وقد علم المعتنون بمحالمهم من علماء الإسلام كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ،

= البونى وإبن عربي وغيرهما ويعرف طاش كبرى زادة هذا العلم في مفتاح السعادة ص ٤١٨ ج ٢ ط الهند : (هو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد ، أو الحروف على التناسب والتعادل ، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها » وانظر ص ٦٨ من كتاب نقض المنطق لابن تيمية . وما زال كثير منهم يهول بهذه الأساطير يمدونها شركًا لمال يقيم يراد استلابه ، أو عرض يبتغى استلابه .

(١) قولهم بهذا الجبل راجع إلى إيمانهم بوحدة الوجود ، حتى زعموا أن ذات الإله : جامعة بين النقيضين ، وبين الضدين ، وأن هذا الجمع أول مقوماتها وأبين خصائصها ، قال الجليلي في كتابه الإنسان الكامل ص ٦٩ ج ١ : « الأولوية في نفسها تقتضى شمول النقيضين ، وجمع الضدين بحكم الأحدية » هذا لإيمانهم بأنه سبحانه عين كل شيء وكل معلوم .

وابن الحاجب وغيرهما؛ أن الجن والشياطين تمثلت لهم ، وألفت كلاما يسمعون ، وأنواراً يرونها^(١) ، فيظنون ذلك كرامات ، وإعماهى أحوال شيطانية ، لارحانية وهى من جنس السحر . ولقد حكى سعيد القرضاوى فى شرح قصيدة ابن الفارض أن رجلاً نزل دجلة ، ليفتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من الليل ، فأقام بمصر عدة سنين ، وتزوج ، وولد له هناك ، ثم نزل ليفتسل لصلاة الجمعة ، فخرج من دجلة فرأى غلامه ودابته والناس لم يصلوا بعد الجمعة ، ومن المعلوم لسكل ذى حس أن يوم الجمعة ببغداد ليس بينه وبين يوم الجمعة بمصريوم فضلاً عن أكثر منه ولا الشمس توقفت عدة أعوام فى السماء ، وإعما هو الخيال ، فيظنون له لجهلهم فى

(١) جرى مثل هؤلاء الشيوخ على تصديق ما يهرف به خيال الصوفية من رؤية أنوار وسماع كلام ، ثم يحاولون تعليل هذا الباطل بغير علته الحققة ، فيزعمون أن ذلك النور والكلام تهاويل جن تجسدت لهم ، وخیالات شياطين تبدت فى صور إنسية . هذا ليزدوا إفك الصوفية فيما زعموه من رؤية نور الله وسماع كلامه . والحق أن الصوفية لم يروا نورا ، ولم يسمعوا كلاماً ، والحق أنهم كاذبون كاذبون مفترون ، يدعون هذا بغية استعباد الخاييل والمفاليك لشهوات الجرعة التى تلتظ على أنيابهم ، وينزوي قبحها من صدورهم . وفى الكتاب والسنة ما يشهد بكذبهم ، ويدفعهم بآئهم أحلاس إفك وبهتان ، فموسى عليه السلام خر صعباً حين تجلى الله للجبل ، وربنا سبحانه ، ما يكلم إلا رسله وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، أفهؤلاء الدعاة إلى الإثم والوثنية من رسل الله ؟ أترام أقوى روحا من موسى عليه السلام ؟ ألا فلتقتص الكذب والزور نفسه ، أما تصديق دعاويهم ، ثم تغليلها بمثل ما عطلها به هؤلاء الشيوخ ، فقيه مشايخة للباطل فى بعض ما يفتره ، ومساندة له فى أدنأ بهتانه . فالله سبحانه يقول عن الشيطان : إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، والرسول الكريم ما رأى الجن وهم يستمعون القرآن ، وعذر الشيوخ أنهم كانوا يعيشون فى عصر امتلاء بهذه المؤتفكت ، حتى صارت - وكأنها من مسلمات البديهة - فردوا الباطل بما مكن لهم عصرهم أن يردوه به .

الخارج^(١). ثم قال^(٢): وحقيقة قولهم: إن ما ثم وجودا [٤٧] إلا هذا العالم، لا غير، كما قاله فرعون، لكن هم يقولون: إن العالم هو الله، وفرعون أنكرو وجود الله. ثم قال - : قيل لبعض أكا برهم: ما^(٣) الفرق بينكم وبين النصارى؟ قال: النصارى خصصوا^(٤)، وهذا موجود فى كلام ابن عربى، وغيره. ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض، والعارف عندهم يعبد كل شىء^(٥) - ثم قال: ومن المعتقدين الحلول الخاص طائفة من أتباع العبيدية^(٦) الباطنية الذين ادعوا أنهم علويون - ثم قال: وقد اعتقدت طائفة منهم الإلهية فى الحاكم^(٧) كالدريزية

(١) أى: يظنون ماتخلوه حقيقة واقعة، وما ظنهم هذا عن جهل، وإنما هو عن خيال يحس الكلب فيخال نفسه أسدا، والشيطان فيظن نفسه ملاكا.

(٢) أى: ابن النقاش.

(٣) فى الأصل: لما.

(٤) أى جعلوا عيسى وحده رباً وإلهاً، وكان الواجب - هكذا يفترى الزنادقة - أن يتخذوا من كل شىء رباً وإلهاً، لأن الإله عين كل شىء !!

(٥) نص ابن عربى: « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه » ص ١٨٥ ط الحلبي.

(٦) نسبة إلى عبيد الله أبى محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح من سلالة ميمون، وعبيد. هو إمام الشيعة الإسماعيلية فى عصره، ومؤسس الدولة الفاطمية ولد سنة ٢٦٠هـ وآلت إليه زعامة الإسماعيلية سنة ٣٨٠هـ وتوفى وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة.

(٧) منصور بن عبد العزيز بن المعز الفاطمى، ادعى الإلهية، وكان غدورا سفاكا للدماء، تثير تصرفاته المتناقضة دهشة بالغة، تدفع إلى الظن بأنه كان نهب لوثنة عقلية جامحة. ولد سنة ٣٧٥هـ ولقى مصرعه سنة ٤١١هـ على يد عبيد بن لابن دواس، تنفيذاً لمؤامرة دبرتها له أخته ست الملك للخلاص منه، وما زال أتباعه الدروز حتى اليوم ينتظرون رجته؛ إذ يؤمنون بأنه لم يقتل، وإنما احتفى وسيعود مرة ثانية.

أتباع شهنكير^(١) الدرزي الذي كان من موالى الحاكم ، وأضل أقواما بالشام في وادي تيم الله بن ثعلبة « انتهى .

رأى ابن هشام ، وابن خلدون

ومنهم العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام^(٢) صاحب المغنى وغيره من المصنفات البديعة ، وكتب على نسخة من كتاب الفصوص .

هذا الذي بضلاله ضلّت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا . فليناً عنى ، فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ، ونقيض الحُكْم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الدم عن وصفه ، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراً ميبئاً : لأنه يخالف لما أرسل الله به رسله ، وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته « انتهى . وقال العلامة قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون^(٣) : « إن طريق المتصوفة منحصر في طريقين^(٤) ، الأولى : وهي

(١) يعنى محمد بن إسماعيل المعروف بأنوشتكين البخارى ، أقوى رسل حمزة ابن على بن أحمد الزوزنى المؤسس الحقيقي لمذهب الدروز ، وقد شرح أنوشتكين أصول مذهبه القائم على أساس تأليه الحاكم في رسالة قدمها إلى هذا قهره واصطفاه ققوى واشتد نفوذه ، وقد سعى أنوشتكين نفسه بسند الهادى وحياة المستجيبين ، وتذهب بعض الروايات إلى أنه قتل سنة ٤١٠ هـ . وأخرى إلى أنه فر إلى الشام ، وهناك نشر دعوته ، فكانت هى نخلة الدرور الضالة .

(٢) ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفى سنة ٧٦١ هـ . يقول عنه ابن خلدون : « ما زلنا - ونحن بالغرب - نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له : ابن هشام ، أنحى من سيويه » .

(٣) ولد سنة ٧٣٢ هـ وتوفى سنة ٨٠٨ هـ تولى قضاء المالكية بمصر ، يقول عنه المستشرق ديور فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام : « مفكر مترن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية ، وكثيراً ما يعارض الزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة بمبادئ الدين »

(٤) صوابها : طريقتين . وهكذا ذكرت فى العلم الشامخ الذى وردت فيه هذه الفتوى

طريقة السنة ، طريقة سلفهم الجارية على الكتاب والسنة ، والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين^(١) - والطريقة الثانية : وهى مشوبة البدع ، وهى

(١) ما كان من الصحابة ، ولا من التابعين صوفى ، ولم يسم واحد منهم بهذا الاسم المرادف للزنديق ، والصوفية منذ نشأوا وحيث كانوا عصاة تناهز الكتاب والسنة ، لا يفرق فى هذا سلفهم عن خلفهم فى هذا ، غير أن بعضهم كان أشد جرأة من بعض فى البيان عن زندقته ، ودليلنا ماسجله التاريخ الحق ، وما خلفوه هم فى كتبهم من تراث وثنى طافح بالمجوسية الفاسدة ، فتقسيم ابن خلدون هذا مجاف للصواب ، ولكنه خدع كثيره فيما يشقشق به الصوفية من زور النفاق ، إذ يزعمون كاذبين أن طريقهم طريق الكتاب والسنة !! وابن خلدون نفسه يقر بأنه بدعة ، إذ يقول فى مقدمته عن التصوف : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ! ثم هل فى الكتاب والسنة أن قبر الكرخى يقسم به على الله فيستجيب ، ويمتحنى به فيفهو الشفاء ، وأن الصوفية هم غياث الخلق ؟ كما زعم القشيري فى رسالته ، وهو من سلف الصوفية المتقدمين ، وأقلهم شناعة فى إفك التصوف . أجاى فى السنة أن العزوية تباح لهذه الأمة بعد المائتين من الهجرة ، وأن تربية الجرو أفضل من تربية الولد كما زعم أبو طالب المكي فى قوته ، ونسب فريته المأثورة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ أفيا أن الدين شريعة وحقيقة ، وأن هذه أفضل من تلك ؟ أفيا أن المرید لا بد له من شيخ ، وأن من لاشيخ له فشيخه الشيطان ؟ أفيا أن قلب المرید بيد شيخه يصرفه بهواه ؟ أفيا أن غضب الشيخ من غضب الله ؟ أفيا أن المرید يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الفاسل ؟ أفيا أن الولي أفضل من النبي ؟ أفيا أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى ؟ أفيا أن الذريات تسبح بمحمد الأولياء ، وأن هؤلاء يفقهون تسبيحها ؟ كما زعم الغزالي ؟ تلك بعض مفتریات سلف الصوفية الأقدمين ، بهتوا بها الحق والهدى منذ سعى أول رجل منهم بالصوفى فى منتصف القرن الثانى للهجرة وبعده ، وتلك بعض ضلالات أولئك الأول الذين يزعم لهم ابن خلدون - وغيره - أن طريقهم مؤيد بالكتاب والسنة !! أفنسم على روحك بما نقلته عنهم نجات حق ، أو عبير هدى ؟ كلا بل إنه محموم ككفر ومجوسية ألا فنقل الحق : ما من صوفى إلا وهو يسلك طريق الشيطان وحده من سلف ومن خلف والتقسيم الصحيح للصوفية أن يقال : إنه قيمان : عملى ونظرى ، وأن =

طريقة قوم من المتأخرين ، يحملون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها ، ومن هؤلاء المتصوفة ابن عربي وابن سبعين ، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ، ودان بنحلتهم ^(١) ، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح [الكفر ^(٢)] ومستهجن البدع ، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه ، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة ، أو عدها في الشريعة ، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ، ولو بلغ الثني ما عسى أن يبلغ [من ^(٣)] الفضل ؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلا ، أو شهادة من كل أحد ^(٤) وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي والبد لابن سبعين وخلع النملين لابن قسي [وعين اليقين لابن برجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني ^(٥) ، وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة الثائية من نظم ابن الفارض ^(٦)] فالحكم في هذه

= هذا وليد ذاك ، فالنظرية وليدة التطبيق ، ثم نبين خصائص كل من النوعين ، مقارنين بينهما وبين الحق من الكتاب والسنة ، وسترى بعد هذه القلعة أن التصوف في نشأته وتطوره في سلفيته وخلفيته لا ينتسب إلى الإسلام بزم : دانية ، أو نائية .

(١) في الأصل بتخلقهم ، والتصويب من العلم الشامخ .

(٢، ٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن العلم الشامخ .

(٤) هذا قول يحمده الحق لابن خلدون .

(٥) داعر من زنادقة الصوفية ، لا يحرم فرجاً ، ويبيح نكاح الأم والأخت ، ويرى القرآن كله شركاً ، وماعنده غير ولاسوى بوجه من الوجوه . هلك سنة ٦٩٠ هـ أما ابن سبعين فمن القائلين بالوحدة المطلقة ، ولد بمصر سنة ٦١٣ هـ . وهلك سنة ٦٦٧ هـ بمكة .

(٦) ما بين هذين [] لم يرد في الأصل ، وأثبتته عن ص ٥٠٠ من العلم الشامخ إذ أورد فيه مؤلفه القبلي نص فتوى ابن خلدون .

الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والفصل بالماء حتى ينمحي^(١) أثر الكتاب ؛ لما في ذلك من المصلحة العامة [٤٨] في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فيتمين على ولى الأمر إحراق هذه الكتب دفعا للفسدة العامة ، ويتمين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق » .

رأى الشمس الميزرى

ومنها العلامة شمس الدين محمد الميزرى الشافعى فى كتاب سماه : الفتاوى المنشرة . قال عن الفصوص : « قال العلماء : جميع ما فيه كفر ؛ لأنه دأثر مع عقيدة الاتحاد^(٢) ، وهو من غلاة الصوفية المحذّر من طرائقهم ، وهم شعبان^(٣) : شعب حلوية يعتقدون حلول الخالق فى المخلوق ، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعددا فى الوجود فى زعمهم أن العالم هو الله ، وكل فريق منهم يكفر الآخر ، وأهل الحق يكفرون الفريقين . ثم قال . ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان - وعد جماعة معه - ثم قال : ذَكَرَ هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وأبى عمرو بن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، وشيخ الفقهاء الزين الكتنائى ، وقاضى القضاة الشيخ تقي الدين السبكي ، وحكم بتكفيرهم القضاة الأربعة : البدر بن جماعة ، والزين الحنفى ، والشرف الزواوى ، والسعد الحنبلى^(٤) - ثم ذكر كلام الشيخ أبى حيان فيهم

(١) فى الأصل : يتمحى . والتصويب من العلم الشامخ .

(٢) صوابها : الوحدة . فهذا هو دين ابن عربى .

(٣) الحق أنهم ثلاثة : حلويون ، واتحاديون ، وأهل الوحدة ، ولعل الميزرى يستعمل الاتحاد فى الدلالة على الوحدة أيضا .

(٤) تقدم ذكر بعض هذه الفتاوى ، وقد أوردها صاحب العلم الشامخ فطالعها فيه من ص ٤٩٥ وما بعدها .

من تفسيره البحر^(١) إلى أن قال : - وقد انتدب بعض المغالطين من أهل العلم
 ممن يحسن الظن ببعضهم ، ولا صواب معه ، وصنّف تأويلات لنظم السلوك^(٢)
 وتصف بما لا يصح الأخذ به لقوة ظواهر الألفاظ الخارقة جزماً لسياج عصمة
 الديانة ، وانتهاك حرمة الربوبية - ثم قال : - ويحوم^(٣) بظاهر كلامه على أنه
 هو الله ، وأن الله هو ، وهذا بهتان قبيح ، وكفر صريح - ثم قال : - وكان ابن
 الفارض يقول : إنما قتل الحلاج لأنه باح بسرّه ، إذ شرط هذا التوحيد
 الكتم^(٤) .

رأى لسان الدين ابن الخطيب ، والموصلى

ومنه العلامة لسان الدين محب بن الخطيب الأندلسى المالكي^(٥) فى كتابه
 روضة التعريف بالحب الشريف ، وأجاد فى تقرير مذهبهم ، ورد ما شاء ، فقال
 « الفرع الخامس فى رأى أهل الوحدة المطلقة - ثم قال - : وحاصله : أن البارى
 - جل وعلا - هو مجموع ما ظهر ، وما بطن ، وأنه لا شئ خلاف ذلك ، وأن
 تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنية الجامعة التى هى عين كل آنية ، والهوية التى هى

(١) سبق ذكر قول أبى حيان .

(٢) هى الثائية الكبرى لابن الفارض .

(٣) لا ، بل يسف إسفاً ، ويصرح بهذا غير موار ولا موارب .

(٤) يعنى توحيدهم القائم على أساس اعتقاد أن الحق عين الخلق ، ويجنب بعض
 الصوفية عن التصريح المبين بهذا مخافة القتل ، ولذا يقول الغزالى عن هذه المرتبة ،
 محذراً لإخوانه الصوفية : إنها سر الربوبية . وإفشاء سر الربوبية كفر ، ويقول
 السهروردى المقتول :

بالسر إن باحوا بتباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

(٥) هو ذو الوزارتين مضرب المثل فى الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم

ولد سنة ٧١٣ هـ بفرناطة ، وتوفى سنة ٧٦٦ هـ .

عين كل هوية^(١) إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان واختلاف والضيقة والظهور والألم واللذة والوجود والعدم . قالوا : وهذه إذا حُققَتْ إنما هي أوهام راجعة إلى أخبار للضمير ، وليس في الخارج شيء منها ، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره ، وما فيه واحداً ، وذلك الواحد هو الحق ، وإنما العبد مؤلف من طرفي حق وباطل ، فإذا سقط الباطل - وهو اللازم بالأوهام - لم يبق إلا الحق [٤٩] وصرحت بذلك أقوال شيوخهم ، فنه قول ابن أحلى : حق أقام باطلا ببعض صفاته ، وقال الحلّاج وابن العربي : وقد تعرض لما به وقع التعدد ، وأنه وهم ، فالكل واحد وإن كان متفرقا . فسبحان من هو الكل ، ولا شيء سواه الواحد بنفسه ، المتعدد بنفسه .

ومنهم الحافظ الرحلة شمس الدين أبو عبد الله محمد الموصلي الشافعي ، نزيل دار الحديث بدمشق . فقال . « وفي كلام ابن عربي من الكفر الصريح الذي لا يمكن تأويله شيء كثير يضيق هذا الوقت من وصفه ، ومنه تفسير اسمه : العليّ بأن قال : العليّ على من ؟ وما مسمّ إلا هو^(٢) ! ! وهو المسمى أباسعيد [الخراز] .

رأى البساطي

ومنهم شيخنا علامة زمانه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي قاضي مصر . قال في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة في حدوث العالم : « وخالفنا في ذلك طوائف . الأولى : الدهرية ، والثانية :

(١) يعني : أنهم يدينون بأن الله سبحانه عين كل ما بطن ، وعين كل ما ظهر . فالآنية عندهم هي تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ، وتدل مواردها على أنها تستعمل في مقابل الماهية: أي المرادفة لجرد الوجود ، وقد سبق تعريف الهوية .
(٢) في الأصل : الملا علا عن من ، وليس ثم غيره ، والتصويب من الفصوص

متأخرو الفلاسفة كأرسطو^(١) ، ومن تبهمهم من ضلال المسلمين كابن سينا والفارابي^(٢) ومن حتى كلامه ، وزخرفته بشعار الصالحين كابن عربي وابن سبعين ثم قال في الكتاب الثاني في المسألة السادسة في أنه سبحانه ليس متحداً بشيء : واعلم أن هذه الضلالة للمستحيلة في العقول سرت في جماعة المسلمين ، نشأوا في الابتداء على الزهد والخلوة والمبادة ، فلما حصلوا من ذلك على شيء صفت أرواحهم ، وتجردت نفوسهم ، وتقذست أمرارهم ، وانكشف لهم ما كانت الشواغل الشهوانية مانعة من انكشافه^(٣) ، وقد كانت طرق أسماعهم من

(١) أعظم فلاسفة اليونان على الإطلاق ، ولد بمدينة استاجيرا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، أستاذة إفلاطون ، ومن تلاميذه إسكندر المقدوني . توفي سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

(٢) الفارابي : هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر ، يقول عنه ابن خلكان : « أكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه » . ولد في ومبيج قرية تقع في فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، حصل علومه في بغداد على يوحنا بن خيلان ، ومات في دمشق سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاماً . أما ابن سينا فولد في أفشنة على مقربة من بخارى سنة ٣٧٠ هـ . في بيت تسوده تقاليد فارسية معارضة للإسلام . تقلد الوزارة لشمس الدولة في همدان . وتوفي سنة ٤٢٨ هـ وهو أشهر وأكبر فلاسفة عصره .

(٣) ما هذا الذي انكشف لهم ؟ لعله صور ما في أذهانهم المحبولة من تهاويل الجنون . ثم إن الإسلام ليس دين رهبانية ، ولا زهادة تطوى الذات على نفسها الولهى ، حتى تخمد فيها جذوة الحياة الشاعرة ، وتخبو وقدات الشعور والإحساس بواجب الدين والنفس والحياة ، وهى طريقة الوهم في غيابة كهفها السام المظلم الحزين ، إنما الإسلام دين العمل والجد ، مع الإيمان المشرق والتقوى ، وانطلاق النفس في رحاب الوجود ومجاليه ، كادحة في سبيل الله ، لتحقيق الغاية الكبرى ، هى أن يكون الناس أمة واحدة تتجاوب أرواحهم بالإيمان والمحبة ، وتتجه مشاعرهم في كل هزة إلى الله وحده ، وتتوحد بواعثهم وغايلتهم في عبادة الله رب العالمين ، معتصمة بالحق والهدى من الكتاب والسنة .

خرافات النصارى ، أنه إذا حل روح القدس فى شىء نطق بالحكمة ، وظهر له أسرار مافى هذا العالم ، مع تشوّف النفوس إلى المناصب العلية ، فذهبوا إلى هذه المقالة السخيفة ، فمنهم من صرح بالاتحاد على المعنى الذى قالته النصارى ^(١) ، وزادوا عليه أنهم لم يقصروه على المسيح ، كما ذهب إليه الغلاة من الروافض فى حلى رضى الله عنه ، وكذا ما ذهب إليه جماعة فى خاتم الأولياء ^(٢) عندهم من

(١) يرى اليعاقبة من النصارى أن اللاهوت والناسوت يؤلفان فى المسيح طبيعة واحدة ، ويزعمون أن الكلمة انقلبت لحما ودما ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، بإرادة الله وفعله هما إرادة المسيح وفعله ، هذا على حين كان الملكانيون يميزون بين طبيعتين فى المسيح اللاهوت والناسوت ، ويزعمون أن مريم ولدت إلها أزليا ، وأن القتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت ، وأطلقوا اسم الأبوة على الله ، والبنوة على المسيح ، أما النسطوريون ، فكان أكثر تدقيقا من الملكانيين فى التمييز بين الطبيعتين ، فأثبتوا للمسيح خصائص الإنسان فى الوجود والإرادة والفعل ، يميزين بين هذا وبين ما للعنصر اللاهوتى ، زاعمين أن الله سبحانه ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ، ويدعون أن هذه الأقانيم ليست هى زائدة على الذات ، ولا هى هو « قارن بين هذا وبين رأى الأشاعرة فى الصفات » وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كالمملكة ، ولا الظهورية كاليعاقبة ، ولكن كإشراق الشمس على بللور أو النقش فى الخاتم .. هذا معتقد النصارى ، ولعلك موقن بعده أن الصوفية أشد إيقالا فى الكفر من هذا ، فكل مانسبته المسيحية الفيلسفة إلى المسيح من ربوبية وإلهية ونبوة نسبته الصوفية إلى كل شىء ، قالت المسيحية : إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقالت الصوفية : إن الله هو عين كل شىء . قالت الأولى : إن الله ثالث ثلاثة ، وقالت الصوفية : إن الله هو مالا يحصى ولا يتناهى من الأبدان والعناصر ، فأيهما أدخل فى الكفر الخبيث من الآخر ؟

(٢) يدين الصوفية بأن النبوة أعلى من الرسالة ، وبأن الولاية أعلى من النبوة ، فيكون الولي عندهم أسمى مقاما من النبي والرسول ، ولذا يقول ابن عربى :
مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ، ودون الولي =

= واستدلوا على إفسكهم بأساطير : أولاً : الولى يعلم الشريعة والحقيقة ، خير بالظاهر والباطن ، والنبي والرسول لا يعلمان سوى الشريعة أو الظاهر بحسب . ثانياً : الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان . ولذا تنقطعان ، وقد انقطعتا فعلاً ، أما الولاية فلا تحددها مكانية ولا زمانية ، بل هى صنو الديمومة والسرمدية والانطلاق . ثالثاً : الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة . بل بواسطة ملك يبلغه الوحى الإلهى ، أما الولى فيستمد الحقيقة فيضا مباشراً من باطن الحقيقة المحمدية : أى ذات الله مع التعيين الأول . رابعاً : أفضل أسماء الله هو الولى ، وكل موجود هو إسم إلهى تعين فى صورة هذا الموجود ، فيكون الموجود الذى تعين فيه الله باسمه الولى ، أفضل من الذى تعين فيه باسمه الرسول أو النبي ، ولما كان للنبين خاتم ، فكذلك للأولياء خاتم ، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح المحمدى ، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين ، أو بالسكلمة فى المسيحية الفلسفة .

وإليك ما يذكره ابن عربى عن خصائص الولاية وخاتم الأولياء « واعلم أن الولاية هى الفلك المحيط العام ، ولهذا لم تنقطع ، وأما نبوة التشريع والرسالة ، فنقطة ، والرسول من حيث هو ولى آتم من حيث هو نبي ورسول ، فمرجع الرسول والنبي إلى الولاية والعلم » ثم يقول عن علم الحقيقة « ما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه — متى رأوه — إلا من مشكاة خاتم الأولياء » ثم يقول عن الخاتم : « وخاتم الأولياء الولى الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب » . أنظر ص ١٣٤ ، ص ٦٢ ، ص ٦٤ من فصوص الحكم ط الحلبي ولعل أول من زمزم لهم بهذه الأسطورة الكهنوتية : هو محمد بن على بن الحسن بن بشر المعروف بالحكيم الترمذى — وهو غير صاحب السنن — وألف فيها كتاباً سماه ختم الولاية زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون فى آخر الزمان ، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ، ومن أبى بكر وعمر ، ومن خصائصه عند اشتغاله بالأعمال القلبية أكثر من اشتغاله بالعبادة ، ولذا زعم الحكيم الترمذى : أن الولاية أفضل من النبوة ، ووضوح الباطل فى هذه الأساطير بين لا يحتاج إلى بيان . وقد رد الإمام ابن تيمية عليها فى الجزء الرابع ص ٥٧ مجموعة الرسائل والمسائل . هذا دين الصوفية فى الولاية والولى وخاتمهم ، ومنه توقن : لم يضيف الصوفية إلى أوليائهم قدرة الله وعلمه =

الحلول ، ولم في ذلك كلمات يصير تأويل كلها لمن يريد الاعتذار عنهم ، بل منها مالا يقبل التأويل ، ولم في التأويل خلط وخبط ، كلما أرادوا أن يقرّبوا من المقول ازدادوا بعداً ، حتى أنهم استنبطوا قضية حلت لهم الراحة ، وقنعوا في مغالطة الضرورة بها بالغيّب ، وهي أن مام فيه ، ويزعمونه وراء العقل ، وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوب مطرود عن الأسرار الإلهية ، وفي هذا كفاية . والله أعلم » انتهى .

البساطى وشرحه للتائية

وقد قام في زماننا ناس حدثان الأسنان سفهاء الأحلام ، أرادوا [٥٠] إظهار هذا المذهب ، ثم أخزاهم الله تعالى ، قَلُّقِلُوا كل مُقَلِّقَل ، وكان بما قالوه : أن الشمس البساطى هذا منهم ، وأنه شرح تائية ابن الفارض ، فاستبعد هذا منه . وإن كان ما قالوه صحيحاً ، فقد قضى على نفسه في كلامه هذا ، بأنه خرج من دائرة العقل . ثم يسّر الله - وله الحمد - الاطلاع على الشرح المنسوب إليه ، فإذا هو برىء مما فرقوه به كما كنت أظن ، فرأيت أنه قال في أوله : « أما بعد : فهذا كتاب شرح قصيدة ابن الفارض ، ولباب فتح ، وصيد الحنّ [ابن] الفارض على وجه أننا نبين مراده من كلامه بقدر فهمنا لمقصوده منه ، ولا يلزمنا صحة ما قاله في العربية لفظاً ، أو في الشريعة معنى ، أو استحساناً ، عقلاً أو شرعاً أو عرفاً . ثم تسكلم على الآيات على وجه يظهر منها حملها على موافقة الشرع ما أمكنه ، فإذا عجز صرح في ذلك الموضع بما يليق به من الحكم عليه من غير

= وحكته وربوبيته وإلهيته ؟ وتوقن : لم نخارب هذه الولاية المزعومة ؟ وسنظل بعون الله ندمر هذه الطواغيت والأصنام ، داعين الناس إلى أن يكونوا من أولياء الله الذين وصفهم رب العالمين : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » .

ثم قرر^(١) أمر التسخير ، وأن منه ما هو بلال ، ومنه ما هو بلال ، وأن ما هو بالخال مثل تسخير الطفل لأبيه بالقيام في مصالحه ، وتسخير الرعايا لملك بقيامه في مصالحهم - قال . « وهذا كله تسخير بالخال من الرعايا يُسَخَّرُونَ [في ذلك] ملكهم ، ويسمى على الحقيقة تسخير للرتبة ، فالمرتبة حكمت عليه ذلك ، فالعالم كله يُسَخَّرُ بالخال من لا يمكن أن يُطْلَقَ عليه اسم مُسَخَّرٍ . قال الله تعالى : (٥٥ : ٢٩ كل يوم هو [في] شأن) فكان عدم قوة لإرداع هرون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل ، كما سُلِّطَ موسى [عليه] حكمة من الله ظاهرة في الوجود ؛ ليعيد في كل صورة^(٢) ، وإن ذهب تلك الصورة بعد ذلك ، فما ذهب إلا بعد ما تَلَبَّستْ عند عابدها بالألوهية ، ولهذا ما بقي نوع من الأنواع إلا عُبدَ ، إما عبادة تَأَلُّه ، وإما عبادة تسخير ، فلا بد من ذلك لمن عقل ، وما عُبدَ شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالدرجة في قلبه ، ولذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل : رفيع الدرجة ، فكثرت الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى ، أن لا يُعْبَدَ إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهيا عُبدَ فيها .

المهوى رب الصوفية الأعظم

وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه المهوى ، كما قال : (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ !) وهو أعظم معبود ، فإنه لا يُعْبَدَ شيء إلا بالله ، ولا يُعْبَدَ هو إلا بذاته^(٣) » ثم قال : « والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يُعْبَدَ

(١) أى ابن عربى

(٢) يفترى على الله أنه يسخر الناس ليعبدوه في كل صورة ، أى ليعبد كل إنسان نفسه وغيره من جماد وحيوان فالله الصوفية عين كل كائن ، وعين كل شهوة وعين كل جريمة . وعين كل فاحشة

(٣) ص ١٩٤ فصوص . وبهذا يوفق القارىء أننا لم نتجن على الصوفية ، فبما =

وما قبله ، وما بعده مما ادعى فيه أن الله يتحد به ، ويتجلى بصورته من غير حلول ، مانصه^(١) : « ولكن دعوى تجلى الله بصورة ما مُكفّر^(٢) بها شرعاً بإجماع المسلمين والكافرين من آمن به^(٣) ، وإن لم يكن حلولاً »

رأى ابن حجر والبلقينى وغيرهما

ومنهم شيخنا شيخ الإسلام حافظ عصره قاضى القضاة أبو الفضل بن حجر ، وشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى^(٤) ، فقال فى ترجمة عمر بن الفارض فى لسان الميزان بعد أن ذكر ترجمة الذهبى له بأنه شيخ الاتحادية وأنه ينقضى بالاتحاد الصريح فى شعره : « وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقينى عن ابن العربى ، فبادر بالجواب بأنه كافر ، فسألته عن ابن الفارض ، فقال : لا أحب التكلم فيه ، فقلت : فما الفرق بينهما ، والمهيح واحد ؟ ! وأنشدته من التائية [٥١] فقطع علىّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله : هذا كفر ، هذا كفر » .

ومنهم الشيخ ولى الدين العراقى وأبوه كما تقدم فى الفص الموسوى وغيره ، ومنهم العلامة برهان الدين السفاقينى صاحب الإعراب ، ونظم قصيدة طويلة يتحرق فيها ، ويندب أهل الإسلام لهؤلاء الضلال ، فقال فيها :

فشيخهم الطائى^(٥) فى ذاك^(٦) قدوة يرى كل شىء فى الوجود هو الحق^(٧)

(١) مقول قوله قبل : وقال فى شرح

(٢) فى الأصل : مكر . والتصويب من الأصل نفسه ، إذ ورد فيه هذا النص مرة أخرى .

(٣) أى : من آمن بتجلى الله فى صورة ما فى الدنيا

(٤) ولد سنة ٨٠٥ هـ ، ولى إفتاء دار العدل وقضاء دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة توفى سنة ٨٠٥ هـ .

(٥) يعنى : ابن عربى .

(٦) فى الأصل : ذلك . وهو خطأ يخل به وزن البيت

(٧) أى الله سبحانه

وَكُفُّمُ مِنْ غَوِيٍّ كَابِنِ سَبْعِينَ مِثْلَهُ وَكُفُّمُ بِالْكَفْرِ قَدْ طُوفُوا طَوْقًا
وَكَلَّشْتَرَى الْقَوْنَوِي ، وَابْنُ فَارِضٍ فَلَا بَرْدَ اللَّهِ ثَرَامَ ، وَلَا أَسْقَى
وَمَنْ كَفَرَ ابْنَ الْفَارِضِ بِصَرِيحِ اسْمِهِ شَيْخُنَا مُحَقِّقِ عَصْرِهِ ، قَاضِي الْقَضَاةِ
شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْغَايَاتِي الشَّافِعِيُّ ^(١) . أَخْبَرَنِي عَنْهُ بِذَلِكَ الثِّقَةُ مِنْ غَيْرِ
وَجْهِ ، وَأَخْبَرَنِي الثِّقَةُ عَنِ الشَّيْخِ مَدِينِ ^(٢) أَنَّهُ قَالَ : النَّائِيَةُ هِيَ الْفُصُوصُ ،
لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، وَقَدْ كَانَ الْمَذْكُورُ رَأْسَ صُوفِيَةِ عَصْرِنَا .

مقتل الحلاج

وَمِنْهُمْ الْحَافِظُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ كَثِيرٍ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ ، وَقَالَ : « هُوَ لَا
كَلِمَةَ يَقْتَفُونَ فِي مَسَائِلِهِمْ هَذِهِ طَرِيقَةُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَلَّاجِ الَّذِي أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ
فِي زَمَانِهِ عَلَى كُفْرِهِ وَقَتْلِهِ ، قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْمَازَرِيُّ الْفَقِيهَ الْمَالِكِيَّ « قُلْتُ :
وَمَا قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ كَمَا تَقْدِمُ نَقْلَهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الْكِتَابِ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .
قَالَ : « وَقَدْ بَسَطْتُ سِيرَتَهُ فِي التَّارِيخِ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ ، وَذَكَرْتُ صِفَةَ قَتْلِهِ ،
وَاجْتِمَاعَ الْكَلِمَةِ عَلَى تَكْفِيرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّوفِيَةِ الْعِبَادِ ، سَوَى ابْنِ عَطَاءٍ وَابْنِ
خَفِيفٍ ، حَتَّى أَنْشَدَهُمَا بَعْضُهُمْ مِنْ شِعْرِهِ قَائِلًا : مَا تَقُولَانِ فِي قَوْلِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ :
سَبَّحَانَ مَنْ أَظْهَرَنَا سَوْتَهُ ^(٣) مَرُّ سَنَا لَاهُوتِهِ الثَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ

(١) وَلَدَ سَنَةَ ٧٨٥ تَقْرِيْبًا . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٠ هـ

(٢) هُوَ مَدِينُ خَلِيفَةُ الْأَشْمُونِي ، نَسَبُهُ إِلَى أَشْمُونَ جَرِيسٍ مِنْ أَعْمَالِ النَّوْفِيَّةِ
وَلَدَ بِهَا سَنَةَ ٧٨١ تَقْرِيْبًا ، وَتَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٨٩٢ هـ يَقُولُ عَنْهُ السَّخَاوِيُّ :
« وَأَمَّا فِي تَحْقِيقِ مَذْهَبِ الْقَوْمِ فَهُوَ حَامِلُ رَأْيِهِ ، وَالْخُصُوصُ بِصَرِيحِهِ وَإِشَارَاتِهِ
مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ إِلَّا بَيْنَ خَوَاصِهِ »

(٣) تَقْرَأُ بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ ، وَهِيَ بِالضَّمِّ أَدْقُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى دِينِ الْحَلَّاجِ

حتى لقد عاينه خلقه كحفلة^(١) الحاجب بالحاجب
 فقالا : هذا شعر الزنادقة^(٢) ، فقال : هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج ،
 فلعلنا الحلاج ، ورجما عنه « انتهى .

رأى الذهبي

وَمَنْ صرح بكفره ، وأحسن في بيان أمره حافظ عصره شمس الدين محمد بن
 أحمد بن عثمان الذهبي ، فقال في كتابه تاريخ الإسلام بعد خط الحافظ سيف الدين
 ابن المجد على الحريري المتصوف : « فكيف لو رأى الشيخ كلام ابن عربي
 الذي هو محض الكفر والزندقة ، فقال : هذا الدجال المنتظر ، ولكن كان
 ابن العربي^(٣) منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية^(٤) ، ولا يصرح
 بأمره لكل أحد ، ولم تشهر كتبه إلا بعد موته ، ولهذا تمادى أمره ، فلما كان
 على رأس السبعائة جدد الله لهذه [الأمة] دينها بهتكتك وفضيحتك ، ودار بين
 العلماء كتابه الفصوص ، وقد خط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد
 الجمهري فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج [٥٢] البارباري أنه سمع الشيخ
 إبراهيم يذكر ابن عربي : كان يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجا ، وحكى عنه
 ابن تيمية أنه قال لما اجتمع^(٥) بابن عربي : رأيت شيخاً نجساً يُكذَّب بكل كتاب
 أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله^(٦) . »

(١) في الأصل : كحفلة ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبتته

(٢) أي من أنشدتهما من شعر الحلاج

(٣) اصطلاح أهل الشرق على تسميته بابن عربي ، أي من غير آل ، تميزا له من

أبي بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي

(٤) ابن عربي زعيم وحدة الوجود لا الاتحاد

(٥) أي ابن معضاد

(٦) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٧٦ ، ففيها نص ما ذكر هنا

رأى ابن تيمية وغيره من العلماء

وقال الإمام أبو العباس أحمد ابن تيمية في كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : « وقد صنف بعضهم - أى أهل الاتحاد - كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة : بنظم السلوك ، يقول فيها - وذكر منها عدة أبيات ^(١) - ثم قال : إلى مثل هذا الكلام - أى الدال على الاتحاد - ، ولهذا كان عند الموت ينشد ^(٢) :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيتُ فقد ضيّعت أياي
أُمْنِيَّة ظفرت روحى بها زمنا واليوم أحسبها أضفأت أحلام
فإنه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه ، تبين له بطلان ما كان يظنه ^(٣) » وقال فى إفتائه الذى استفثاه فيه الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان السعودى ، بعد أن حكى جملة من أقوال ابن عربى صريحة فى الكفر : « فإن صاحب هذا الكتاب المذكور الذى هو فصوص الحكم ، وأمثاله مثل صاحبه القونوى ^(٤) - يعنى صدر الدين - والتلمسانى وابن سبعين ، والششتري وابن الفارض وأتباعهم ، مذهبهم الذى هم عليه أن الوجود واحد ، ويسمون أهل وحدة الوجود ، ويدعون التحقيق والعرفان ، وهم يحملون وجود

(١) مما استشهد به ابن تيمية قول ابن الفارض :

لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشد فيها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لى صلى سوى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة

(٢) أى ابن الفارض

(٣) انظر ص ٨٣ وما بعدها من الفرقان ط ١٣٦٦ هـ ، ص ٧٦ ج ٤

مجموعة الرسائل والمسائل

(٤) محمد بن إسحاق من أهل الوحدة . هلك سنة ٦٧٣ هـ

الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق^(١) ، وليس للخالق عندهم وجود مُبَيَّن لوجود المخلوقات منفصل عنها ، بل عندهم ما تَمَّ غير أصلاً للخالق ولا سواء فَعْبَاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم ، لأنه ما عندهم له غير وأما العلامة ابن دقيق العيد ، فذكر أنه سمع عز الدين بن عبد السلام يقول في ابن عربي : شيخ سوء كذاب ، ومن حط عليه ، وحذر منه الشيخ القدوة إبراهيم الرقي^(٢) - ثم ذكر جماعة ممن تقدم ذكرهم في إفتائهم بأن كتابه الفصوص فيه الكفر الأكبر ، وقد ذكر ابن أبي حجلة أيضاً عن غير هؤلاء ممن كفر هذه الطائفة من علماء الإسلام وذكر في كلام كل منهم في إبطال هذا المذهب ما لا لبس فيه ، وفيما ذكرته مقنع ، وذكر الحافظ تقي الدين القاسمي^(٣) في كتابه فيه : « يَمُن كفره الإمام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضري ابن خلدون قاضي المالكية بمصر ، وقال في فتوى ذكرها^(٤) فيه ، وفي أضرابه ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفناً للمفسدة العامة^(٥) .

(١) قال ابن عربي في الفصوص : « فالعلى لنفسه هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة » ص ٧٩ فصوص . فما ينسبه ابن تيمية إليهم صدق وحق في شأنهم

(٢) ولد سنة ٨١٢ هـ وتوفي سنة ٨٨٤ قال عنه السخاوى : ونعم الرجل كان رحمه الله وإيانا

(٣) محمد بن أحمد بن طي . ولد سنة ٧٧٥ هـ بمكة . وتوفي سنة ٨٣٢

(٤) سبق ذكر هذه الفتوى

(٥) فى هامش الأصل جاء ما يأتى : « قلت : رأيت مصرحاً به فى كتابه » يعنى ابن خلدون « عيون العبر ، وديوان المبتدأ [والخبر] ، وفصل هناك تفصيلاً زائداً ، وهو كتاب لا نظير له »

ومما ذكره الفاسى أيضاً من مكفريه : الإمامان رضى الدين أبو بكر بن محمد بن صالح [٥٣] الجبلى المعروف : بابن الخياط ^(١) الشافى مدرس المعينية بقعز ، ومفتى تلك النواحي ، والقاضى شهاب الدين أحمد بن على الناشرى ^(٢) الشافى مفتى زبيد ، وفاضل الدين شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرئ ^(٣) الشافى ، قال : « ويَبْن من حال ابن عربى ما لم يبينه غيره » وقال : وأما من أننى على ابن عربى ، فلفضله وزهده ، وإيثاره ، واجتهاده ^(٤) فى العبادة ، ولم يعرفوا ما فى كلامه من المنكرات ، لاشتغالهم عنها بالعبادات . وقال الفاسى أيضاً « وبعض المثنيين عليه يعرفون ما فى كلامه من المنكرات ، ولكنهم يزعمون أن

(١) من كبار علماء اليمن ولد سنة ٧٧٢ هـ يقول عنه السخاوى « انتهت إليه رئاسة الفقه ، وجرى بينه وبين المجدد الشيرازى مراجعات ، بسبب إنكاره على المشتغلين بكتب ابن عربى » توفي سنة ٨١١ هـ

(٢) ولد سنة ٧٨٩ هـ ، وهو من كبار علماء اليمن ، ولى قضاء زبيد نيابة عن والده . توفي سنة ٨٥٤ هـ

(٣) ولد سنة ٨٠٨ هـ وتوفى سنة ٨٧٥ هـ له قصيدة طويلة يذم فيها الصوفية ويحذر منهم ، منها :

حوتهم كتب حارب الله ربها	وغربها من غرب بين الحواضر
تجاسر فيه ابن العربى واجترا	على الله فيما قال كل المتجاسر
فقال بأن الرب والعبد واحد	فربى مربوب بغير تغاير
وأنكر تكليفا ، إذ العبد عنده	إله وعبد ، فهو إنكار فاجر
وقال : تجلى الحق فى كل صورة	تجلى عليها ، فهى إحدى المظاهر
فسبحان رب العرش عما يقوله	أعاديته من أمثال هذى الكبار
فكذبه يا هذا تكن خير مؤمن	وإلا فصدقه تكن شر كافر

وتقع هذه القصيدة فى ستة وسبعين بيتا ، نقلها المقبلى فى كتابه العلم الشامخ

ص ٥٠٤

(٤) أى فضل لابن عربى ؟ إيمانه بأن فرعون هو الله ؟ أم عشقه بمسكة امرأة زعم لها بعد أنها هى الله ؟

لها تأويلات ، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربى فى طريقته ، فشناؤهم على ابن عربى مطروح لتزكيتهم معتقدهم .

رأى علاء الدين البخارى

ومن كفر أهل هذا المذهب شيخ مشايخنا نادرة زمانه علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى ، وصنف فيهم رسالة سماها : « فاضحة للملحدين ، وناصحة الموحدين » ويّين أن وحدتهم الوحدة التى قرر أصلها بعض الفلاسفة ، لا التى يسميها أهل الله : الفناء^(١) ، ونقل عن القاضى عضد الدين تكفيرهم ، فإنه قال فى وصفه لابن عربى : « يحكى عنه أنه كان كذاباً حشاشاً كأوغاد الأوباش » فقد صح عن صاحب كتاب المواقف عضد الملة والدين ، أعلى الله درجته فى عليين ، أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص حين وصل هنالك قال : « أفتطمعون من مغربى يابس المزاج بحر^(٢) مكة ، ويأكل الحشيش شيئاً غير ذلك ؟ وقد تبعه - أى ابن عربى - فى ذلك ابن الفارض حيث يقول : أمرنى النّبى صلى الله عليه وسلم بتسمية الثانية : نظم السلوك !! إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش ؛ إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى ، فإذا نكل هو الله ، لا غير ، فلا نبى ، ولا رسول ، ولا مرسل إليه ، ولا خفاء فى امتناع النوم على الواجب ، وفى امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبى بشىء فى المنام ، لكن لما كان لكل ساقطة لاقطة ، ترى طائفة من الجهال ذلت أعناقهم لها ، خاضعين أفراداً وأزواجاً ،

(١) هذا اصطلاح صوفى ابتدعه الضالون تمهيداً لتقرير وحدة الوجود ، وظنى أن أول من تكلم به هو طيفور بن عيسى البسطامى ، فكيف يكون هذا من تسمية أهل الله ؟ وما قرره فى مفهومه الصوفى الكتاب ولا السنة ، ولا تكلم به صحابى ولا تابعى

(٢) كذا بالأصل : ولعلها : حرم مكة

وشرفة من الضلال يدخلون في فسوق الكفر بعد الإيمان ، زمرأ وأفواجا مع أنهم يرون أنه اتخذ آيات الله ، وما أُنذروا به هزواً ، وأشرك جميع المكفات - حتى الخبائث والقاذورات - بمن لم يكن له كفواً أحد .

تحقيق معنى الكافر والملحد والزنديق والمنافق

وقال في آخر رسالته : « إنهم يسمون كفرة وملاحدة وزنادقة ، وذلك أن الكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان من غير اعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم خص باسم المنافق ، دون الزنديق ؛ لأن الله تعالى لم يسم الذين فاقوا [٥٤] في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زنادقة ، فدروز^(١) الشام - على ما تشهد به كتبهم الملعونة - إنما يظهرون الإيمان ، ولا يعترفون بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فهم مباحيون منافقون ، لازنادقة على مايتوهم ذلك ؛ لعدم التفرقة بين المنافق والزنديق ، وإن طرأ كفره بعد الإيمان خص باسم المرتد ؛ لرجوعه عن الإيمان ، وإن قال بإلهين أو أكثر خص باسم المشرك ؛ لإثباته الشريك في الألوهية ، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي ، كاليهود والنصراني ، وإن كان يقول بقدم الدهر ، واستناد الحوادث ، خصَّ باسم الدهري ، وإن كان لا يثبت الصانع خص باسم المعطل ، وإن كان مع اعترافه بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإظهار شعائر الإسلام ، يتبطن عقائدهى كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق ، وهو في الأصل منسوب

(١) واضع نخلتهم محمد بن إسماعيل الدرزي ، وقد تقدمت ترجمته ، والدروز لا يضيفون الألوهية إلا إلى الحاكم ، ويدينون برجعه آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، وينكرون أصول الإسلام والنصرانية واليهودية ، ويبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولا سيما المسلمين ، ويستبيحون دماءهم وأموالهم ، ويفترون أن القرآن من صنع سلمان الفارسي ، وهم الآن بالجيل المسمى باسمهم في سوريا ، انظر كتاب الحاكم بأمر الله للأستاذ محمد عبد الله عنان

إلى زند^(١) اسم كتاب أظهره مزدك^(٢) في أيام قباد ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوسى الذى جاء به زرادشت^(٣) الذى يزعم أنه نبهم ، وإن كان مع تبطن تلك العقائد الباطلة يستحل الفروج ، وسائر المحرمات بتأويلات فاسدة ، كما يزعم الباطنة والوجودية^(٤) خص باسم الملحد . والزنديق فى عرف الشرع : اسم لما عرفت^(٥) ، لا لـكل من صدر عنه فعل ، أو قول يوجب التكفر على ما هو

(١) ليس من وضع مزدك ، وإنما هو شرح زرادشت لكتابه هو المسمى أفستا
(٢) ظهر مزدك بفارس سنة ٤٨٧ م ، وهو ثنوى يدين بالنور والظلمة . أما دعوته الاجتماعية فيتحدث عنها الشهرستانى بقوله : « أحل النساء ، وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها » وحين اشتدت وطأة بعض الخلفاء العباسيين على المزدكيين فرزعماؤهم إلى أوروبا . وتستطيع بهذا إدراك ما بين المزدكية والشيوعية من صلة ، وتعرف المصدر القديم لهذه

(٣) يزعم الفرس أنه نبى ، ولد حوالى سنة ٦٦٠ قبل الميلاد ، وقد وضع دينا ليس بمجديد كل الجدة ، بل أرسى أصوله على أسس من الديانة الفارسية القديمة ، ومات حوالى سنة ٥٨٣ ق م . وكتابه الذى يزعم أنه أوحى إليه به يسمى : أفستا ، أو أبستاق كما يسميه المسعودى فى مروج ، وزرادشت بمن يدينون بأصلين ، أحدهما : أصل الخير ، ويسميه « أهورا مزدا » والآخر : أصل الشر ، ويسميه « أهرمن » يزعم زرادشت أن بين الأصلين نزاعا دائما ، بيد أن الخير سيهزم الشر فى النهاية ، لذا كانت نزعته تفاؤلية ، غير مبالغ فى دعوته إلى الزهد ، بل أباح التمتع بالطيبات ، وفى دياناته ما يوحى بأنه كان يؤمن بالبعث والجزاء على تصور وتصوير خرافيين ، ويرى بعض الباحثين أن زرادشت كان موحدا يؤمن بأن مافى العالم من خير وشر أثران للاله الواحد . انظر الملل والنحل ، ومروج الذهب ج ١ ، والسكامل لابن الأثير ج ١ ، وتاريخ ابن خلدون ج ١ .

(٤) القائلون بوحدة الوجود

(٥) ذكر الشهاب الحفاجى فى شفاء الغليل أن لفظ الزنديق ليس عربيا ، وذكر عن أبى حاتم أنه فارسى معرب « زندکرد » أى عمل الحياة ، ثم ذكر كلاما طويلا يظهرنا على مدى ما بين أئمة اللغة وغيرهم من اختلاف بين فى تحديد مفهوم =

متعارف أهل عصرنا ، وقد يتوهم بناء على عدم الشعور بمعنى الحلول والاتحاد ، أن الوجودية حلولية ، أو اتحادية ، وليس كذلك ؛ إذ الحلول والاتحاد إنما يكون بين موجودين متغايرين في الأصل ، والوجودية يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فلا مغايرة بينهما ، ولا اثنيية ، فلا يتصور ههنا الاتحاد والحلول ،

== هذه الكلمة .. والحق أنه ليس في الشرع ولا في اللغة تحديد جامع مانع لمفهومها والحق أن الزنديق لفظ غامض مشترك ، لم يطلق بمعنى واحد في كل عصر ، ولا على قوم بخصوصهم ، بل تعددت معانيه ، واختلفت إطلاقاته ، فزاه أطلق على كل من اعتنق دينا فارسيا كالمانويين والزرادشتيين والمزدكيين والديصانيين ، أعنى على كل تنوى فارسي ، ونراه أطلق على كل ملحد ، وكل مبتدع ، وكل ماجن من الشعراء وغيرهم . قال بشار يهجو ابن أبي العوجاء

لا تصلي ، ولا تصوم ، فإن صمت ، فبعض النهار صوما دقيقا
لا تبالي إذا أصبت من الخمر عتيقا ألا تكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجنح د حنيقا حليت ، أم زنديقا

وقال أبو نواس : تيه مغن ، وظرف زنديق . قال الصولي « وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئا ، ولا يمتنع عما يدعى إليه ، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء . وقلة خلافه » والتأمل في تاريخ الكلمة يلحظ أنها أطلقت أول ما أطلقت على تنوية الفرس ، وعلى من أعداهم الفرس بتنويتهم من العرب . وهذا يجعلنا نؤمن بالتطور في تاريخ هذه الكلمة ، نؤمن بأنه قصد بها أولا كل تنوى فارس ، ثم توسع بعد هذا في مفهومها ، فتعددت تبعاً لهذا التوسع إطلاقاتها ، فإنك لتجد صلة قوية بين كل من أطلق عليهم هذا اللفظ بعد ، وبين التنويين : إما في دين ، وإما في خلق ، وإما في نزعات الشاعر والأحاسيس . والتصوف - بدراسة دقيقة لتاريخه - ماهو إلا امتداد لهذه المؤامرات التي قام بها الزنادقة الأول ، لإفساد العقائد ، فيفسد المسلمون ، فلا تكون لهم دولة ولا جامعة ، بيد أن الشيطان أوحى إلى أوليائه تسميتها صوفية !! يا للمجوسية تراءى للمسلمين في وشاح من الرابانية ، وشفوف من الروحانية العليا في الإسلام ، ويا للمسلمين بينهم كتاب الله ، ويخدعهم هذا الزيف المجوسي !! انظر أمالي الرتضى ج ١ ، شفاء الغليل للخفاجي ، ضحى الإسلام ، من تاريخ الإلحاد للدكتور بدوي

بل زندقة أخرى أنجس منها باطلة ببديهة العقل ؛ إذ القائلون بها يحملون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له في الخارج .

بعض مصطلحات الصوفية

وقال ^(١) « إن للملاحدة عبروا عن ضلالهم بمبارات العارفين بالله ^(٢) ، يتسترون بها في زندقتهن ، فينبغي الحذر من ذلك ، فأرادوا بالفناء نفي حقائق الأشياء ، وجعلوها خيالا وسرابا على ما هو مذهب السوفسطائية ^(٣) ، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق ، وبالوحدة المطلقة كون ماسوى الوجود من الأشياء خيالا وسرابا ، وكون وجود جميع الأشياء - حتى وجود الحباث والقاذورات ^(٤) - إلها ، وذلك

(١) أى علاء الدين البخارى

(٢) التسمية بالعارف بدعة صوفية ، تخفى وراءها كيدا خفيا للشرعية ، إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة ؛ معرفة أن الحق عين الخلق . أما الغاية الحقة لكل مسلم ، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص ، مع التقوى ، وكم من عارف صوفى دينه أساطير ، ودعوته مجوسية

(٣) مشتق من الكلمة اليونانية « سوفيا » أى الحكمة ، والسوفيست هو الحكيم ، وبه لقب رجال هذه المدرسة أنفسهم ، ولكنها تطورت معهم ، وتغير مدلولها بهم ، حتى صارت تدل على المغالطة والتشكيك والمماراة . والصيغة العامة لمذهبهم الفكرى إنكار الحقيقة المطلقة ، والجزم باستحالة الحكم العام ، فالحقائق عندهم اعتبارية كلها ، ومقياس الحقيقة هو الإحساس الفردى ، فما يراه شخص ما حقا ، فهو حق ، وإن كان غيره يراه موغلا في تيه الباطل . وأشهر زعماء هذه المدرسة التى عاشت قبل سقراط « بروتاجوراس ، وجورجياس » أما عقيدتهم فى الإلهية فيوضحها قول الأول « لا أستطيع أن أعلم إذا كان الآلهة موجودين ، أم غير موجودين » ونرى شها واضحا بين السفسطائية والصوفية فى المنهج وفى النتائج فالأولون يرون الإحساس الفردى مصدر المعرفة ومقياسها ، والآخرون يرون الذوق الفردى ، وكلاهما يدين بأن الحقائق اعتبارية

(٤) نسبة هذا إلى الصوفية ثابتة صادقة

غير ما أراده العارفون ، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع^(١) ، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع فهي زندقة ، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع ، بل باطن الشريعة يتم بظاهره ، وسره يكمل صريحه [٥٥] ولهذا إذا انكشفت على أهل الحقيقة أسرار الأمور على ما هي عليه^(٢) ، نظروا إلى الألفاظ الواردة في الشرع ، فما وافق مشاهدوه قرروه ، وما خالف أولوه بما يطابق الشرع ، كآليات التشابه^(٣) ، ولا يستبعد وقوع التشابه في الكشف ابتلاء

(١) مافي الشرع تلك الزمزمات الكهنوتية التي يزعم البخاري أنها من حقائق العارفين ، فما في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في قول صحابي ، أو تابعي ، أو مؤمن ما يسمى : الفناء ، البقاء ، الوحدة المطلقة ، فناء الفناء . مافي الشرع مطلقا أثارة من هذه بدلائلها الصوفية ، اللهم إلا إذا شاءوا وصف القرآن بأنه خلى من المعارف الإيمانية الحققة ، أو الرسول والصحابة والتابعين بأنهم غير عارفين . هنالك في الإسلام مرتبة عليا هي الإحسان : وهي « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » فلم يبغض الصوفية هذه المرتبة ؟ !

(٢) هذا بهتان صوفي ، فالذي يعلم ويدرك أسرار الأمور على ما هي عليه هو الله رب العالمين وحده ، بيد أن المس الصوفي يجري على لسان العلماء البخاري تهاويل الحرافة والأسطورة

(٣) في قوله بما يطابق الشرع تلبيس ، فالتأويل إنما ابتدعه أصحابه ، ليجعلوا النقل مطابقا للعقل ، إذ القاعدة عندهم : العقل أصل النقل ، والعقل حاكم على النقل ، فلما لم يرتضى واحد من المؤولة بعضا من الكتاب والسنة ، أول هذا الذي لم يرتضه ، أو بتعبير أدق : جرده من معانيه الأصلية الصحيحة ، ووضع له معاني من عنده ، حتى يطابق — في زعمه — ما يحكم به العقل ! ! ولكن عقل من ؟ ! هذا ما نطلب الجواب عنه من المؤولة ، وستظل علامة الاستفهام هذه أمام العقل دون أن يحير عنها جوابا ، ثم إنه لم يبدن بالتأويل سوى من سمهم خلفا ، أما الصحابة والتابعون والسلف الصالحون ، فلم يروا أحدا منهم في آيات الصفات وأحاديثها ما يرعش طمأنينة الإيمان واليقين الثابت في الأعماق المشرقة من قلبه ، ولم يصفها أحد منهم بأنما من التشابه ، ولم يؤول أحد منهم شيئا منها مطلقا ، =

لقلوب العارفين^(١) ، كما أن وقوع التشابه في الشرع ابتلاء لقلوب الراسخين ، فأراد ببقاء التخلق بالأخلاق الإلهية ، والتَنَصُّل عن كدورات الصفات البشرية والفناء عندهم عبارة عن اطمحلال الكائنات في نظرهم مع وجودها ، وعن الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم ، وكذا الوحدة المطلقة عبارة عن مشاهدة الله - لا غير - صبين الموجودات لاطمحلالها مع تحققها ووجودها عند ظهور أنوار التجليات ، كاطمحلال الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس في النهار ، فإن كان العارف في هذه الحال يرى نفسه ، فذلك هو الفناء في التوحيد ، وهو مرتبة الخواص ، وهو مشوب بكدورة وقصور ، وإن غاب مع ذلك عن مشاهدة نفسه

— وأمشاج من الزور مازعمه البخارى هنا ، ألا تراه يدين بأن الشريعة ، لا يحكم عليها حق بالعقل ، بل بما يعي على النفس من خواطر الأوهام ، ويدين على الفكر من غيوم الأهواء ؟ ! يدين بأن الكشف - وهو ألعن أسطورية ابتدعها الصوفية لمحاربة الكتاب والسنة - هو مقياس حقائق الشرع ، تقاس بأوهامه يقين الوحي الإلهي ، وقيمه السماوية المقدسة . وأن الكشف هو الذي يحدد لكل حقيقة شرعية مفهومها وغايتها ، أو ما أراده الله منها وبها ؟ ! وهكذا يأبى الحبل الصوفي إلا أن ينطق علاء الدين بهوسه وخرافاته

(١) يعرف الصوفية الكشف بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية وجودا وشهودا ، والله سبحانه هو القائل « قل : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » ، والبخارى - وهو يرد على الصوفية ، ليطلل ما يدينون به من الوحدة - يتهاوى في نفس الحمأة ، هذا لأنه صوفي ، لا يحب أن ينسى - وهو يرد على غيره من الصوفية - تصوفه هو ، لا ينسى طريقته التي يود أن يصرف الناس إليها وحدها . ولكن حسبنا منه - وهو أكبر صوفي في عصره - اعترافه الصريح ، وحكمه البين على ابن عربي وابن الفارض بأنهما خارجان عن حقيقة الإسلام ، والأول شيخهم الأكبر ، وكبريتهم الأحمر ، والآخر سلطان عاشقهم ! !

وعن أحواله الظاهرة والباطنة وعن ذلك الفناء - بحيث لا يشاهد شيئاً غير الله^(١) كما لا يشاهد في النهار من السكواكب غير الشمس - فذلك هو فناء الفناء في التوحيد ، وهو درجة خواص الخواص ، فيصير لهم معنى قوله تعالى (٢٧: ٨٨ كل شيء هالك إلا وجهه) ذوقاً وحالاً ، كما أن حظ غيرهم من المؤمنين منه يكون علماً وإيماناً ، فالذوق نَيْلُ عين تلك الحال بالحصول الانصافي ، والعلم معرفة ذلك بالبرهان ، ومأخذه القياس بأن ينظر إلى اطمحلال تلك السكواكب عند إشراق الشمس ، فيقاس به اطمحلال وجود الكائنات عند إشراق أنوار التجليات ، والإيمان قبوله بالتسامع والإذعان له ، ولا يخالف هذا قولهم : إن الطريق إلى المعلوم بالكشف ، إنما هو العيان ، دون البرهان ، لأن المراد منا إقامة البرهان ، على تحقق الكشف ، لا على إثبات المعلوم ، فقد عرفت أن معنى الوحدة المطلقة عند العارفين^(٢) بعيد عما يريد به السكفرة الوجودية من الفلاسفة ، ومن تبعهم ممن يدعى الإسلام ؛ ايتمكن من هذمه عند الضعفاء .

(١) هذه هي وحدة الشهود ، وهي النبعة الأولى من وحدة الوجود ، بل هي المدخل إليها ، وسترى البخارى - رغم تكفيره للقائلين بوحدة الوجود - يدور حولها ، ويتسرب في خفية إليها . ولكنه جبان الشطح ، مكبر الخيال والتصور .

(٢) مافي الرسل جميعا ، ولا في الأنبياء عامتهم ، ولا في الأولياء الصادقين من هو أعرف بحق الربوبية والإلهية من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فيهم من أحد أدى هذا الحق كما أداه ، فما جاءنا عنه صلى الله عليه وسلم خرافة الوحدة المطلقة الصوفية ، أو أنه وصل إلى حال لم يشاهد فيها شيئاً غير الذات الإلهية . والصوفية يعنون بالشهود معاينة الذات ، وفناء الكائنات جميعها في هذا الشهود حتى في الليلة التي تجلّى الله فيها على عبده بأعظم نعمه ، وأراه فيها من آياته الكبرى ليلة الإسراء والمعراج ، قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : هل رأى ربه : نور . أنى أراه ؟ ، وفيها كان يشهد غير الله : الأنبياء ، وجبريل ، والجنة ، والبيت المعمور وسدرة المنتهى ، وغير ذلك ، وسمى لنا كل شيء بأسمه ، فأين منه البيان عن شهود =

أسطورة الكشف

ويروجون تلك السفسة بإحالتها على الكشف ، ويتفهبون بأن مرتبة

= الذات فئت فيها الكائنات؟! ولكن لعل البخارى وأضرابه يفترون أنهم يصلون إلى ما لم يستطع أن يصل إليه خير البشرية وخاتم النبيين، ! ثم إنه صلى الله عليه وسلم أخبرنا خبر صدق وحق أن أحدا لن يرى ربه حتى يموت . وكان صلى الله عليه وسلم يتجارب قلبه الظهور المشرق بنور الإيمان الأسمى مع كل حق عليه ، فيؤديه أتم وأكمل وأوفى أداء ، حق الله سبحانه ، حق النفس ، حق الحياة ، حق الأهل والولد ، فياترى هل لم يبلغ الرسول الأعظم فى الدين والمعرفة مرتبة البخارى وأحلاس الصوفية ؟ فما أبان لنا عن البقاء ، والفناء وفناء الفناء والوحدة وما فى عمله ولا قوله ما يحدد مفاهيم هذه الأساطير الصوفية . والله سبحانه يذكر لنا أن خليله إبراهيم رأى — منة من الله — ملكوت السموات والأرض ، فأين البيان من الخليل عن الفناء وفناء الفناء والوحدة المطلقة ؟ ! وداود عليه السلام فى تسايحه كانت الطير تؤوب معه ، والجبال سخرها الله له يسبحن معه بالعشى والإشراق فما جاءنا عنه أنه كان فى فناء ، أو فناء فناء ، أو شهود ذات فئت فيها الكائنات ، بل كان مع ذلك فى الحديد يعمل . وربنا العليم بذات الصدور يثنى على خير رسله فى أسمى مقاماتهم بأنهم عباده المخلصون المتقون المؤمنون الأوابون ، لا الذين يشهدون الذات فئت فيها الكائنات ! ويثنى على الملائكة بأنهم عباد مكرمون ، لا الذائقون حال الوحدة المطلقة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن الإحسان -- أسمى مراتب الإخلاص فى العبودية » أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » والبخارى وأضرابه يقولون أسمى مرتبة : أن تشهد الذات فئت فيها الكائنات ! ! وحقيقة التوحيد أن تعبد الله وحده ، وأن لا تعبد إلا بما شرعه ، ولكن البخارى يقول : أن تشهد الذات فئت فيها الكائنات ، وقد أجهد الصوفى البخارى نفسه فى الرد على باطل الصوفية حتى لهثت أنفاسه . فما بلغ إلا تأييد باطل كان يمتنى الصوفية مثل قلم البخارى للدفاع عنه ، ولو أنه لجأ إلى الكتاب والسنة لاستطاع بحجة واحدة منهما أن يأتى بنيانهم من القواعد ، بل لو لجأ إلى العقل مؤمنا لذلك على الطاغوت هيكله ، ولدمر أصنامهم . ولكنه صوفى ! !

الكشف وراء طور العقل ، وأنت خير بأن مرتبة الكشف نيل ما ليس له العقل ينال ، لا نيل ما هو ببديهية العقل محال ، وذلك أن الله تعالى خلق المباد وبين لهم سبيل الرشاد ، وزينهم بالعقل نوراً يهتدون به إلى معرفته ، وحبّة توصلهم إلى محبته بالاستدلال على وجود الصانع بالمصنوعات^(١) ، والنظر فيما يجوز ويستحيل [٥٦] عليه من الأفعال والصفات ، وأن إرسال الرسل من أفعاله الجائزة ، وأنه قادر على تعريف صدقهم بالمعجزة ، وعند ذلك ينتهى بصرف العقل^(٢) ؛ لعدم استقلاله بمعرفة المعاد ، وبما يحصل السعادة والشقاوة هنالك للعباد ، وإما يستقل بمعرفة الله تعالى^(٣) ، وصدق الرسول ، ثم يعزل نفسه ، ويتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ، فى أحكام الدنيا والآخرة بالقبول^(٤) ، إذ لا ينطق

(١) لم لا يقال : الخالق بالخلقوات ؟

(٢) الله سبحانه هو العليم الخبير حقاً بما يجب لربوبيته وإلهيته . وقد بين لنا عز شأنه تفضلاً منه ورحمة هذا فى كتابه الحكيم أجلى وأتم وأكمل بيان . فما يجوز لامرئ الزعم بأن للعقل التصرف فى إثبات ما يجب وما يجوز وما يستحيل على الله سبحانه ، والمؤمن الحق هو من يؤمن صادقاً بكل ما وصف الله به نفسه إيجاباً ونقياً . فيثبت خاشعاً ما أثبت الله سبحانه لنفسه . وينفى منزهاً ما نفاه عنها جل وعلا . هو من يوحد الله توحيداً قولياً . وعملياً وعلمياً واعتقادياً فى الربوبية والإلهية بما ورد فى الكتاب والسنة .

(٣) فرية فلسفية ، وإفك صوفى ، فالعقل حينما استقل بمعرفة الله سماه سبحانه ووصفه بما لا يجب الله أن يسمى أو أن يوصف به ، أثبت له ما أوجب الله نفيه ، ونفى عنه ما أوجب الله إثباته ، نفى عنه كونه خالقاً مدبراً يعلم كل خافية ، وأثبت له ما عرّب من الشهوة ، وما ضل من العاطفة ، فمما عاشقاً ولاذا وملتذاً ، ألا قليلاً من العقل دائماً بأنه دائماً فى قبضة من خلقه ، وأنه الفقير دائماً إلى النفى الخلاق العليم الخبير

(٤) بل يجب عليه قبل هذا أن يتلقى مؤمناً مخلصاً ما جاء فى الكتاب والسنة عن صفات الله وأسمائه ، دون لمسة من ريب تدفعه إلى التأويل ، أو همسة من فكر تلوذ به إلى التعطيل ، أو تجاوب مع الحس يهيم به فى التجسيم أو التمثيل

بما يحيل العقل بالبدية والبرهان ؛ لا متناع ثبوت ما تحكم حجة الله عليه بالبطلان فلا مجال في مورد الشرع ، ولا في طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال ، بل يجب أن يكون كل منهما في حيز الإمكان والاحتمال ، غير أن الشرع يَرِدُ بما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وبالكشف يظهر ما ليس له العقل ينال^(١) لأن الطريق إليه الكشف والعيان ؛ دون بدية العقل والبرهان ، لكن إذا عُرِض عليه لا يحكم عليه بالبطلان ، لكونه في حيز الإمكان ، ولا ينبغي متوهم أن ما يستتره الوجودية من دعوى الكشف من قبيل ما ليس له العقل يقال ، بل هو مستحيل وللعقل في إبطاله تمكن ومجال ؛ إذ الطريق إليه التصور ثم التصديق بالبطلان ، وذلك وظيفة العقل بالبدية أو البرهان ، وأما الأمور الممكنة الكسبية ، فيجعلها العقل في حظيرة الإمكان ، ولا يحكم عليها بالبطلان ثم إن ما يناله الكشف ، ولا يناله العقل الممكن الذي الطريق إليه العيان^(٢) ، دون البرهان ، لا الحال الممتنع الوجود في الأعيان ؛ إذ الكشف لا يجعل الممتنع متصفا بالإمكان ، موجوداً في الأعيان ؛ لأن قلب الحقائق يَبَيِّنُ الامتناع والبطلان فلو تخايل حصول الحال بالكشف ككون الوجود المطلق واحداً شخصياً ، وموجوداً خارجياً ، وكون الواحد الشخصي منبسطاً في المظاهر ، متكرراً عليها

(١) جعل من الشرع قسماً لا يناله العقل ، بل الكشف ، فمن قال هذا ؟ وسيزعم أن الطريق إليه كذلك معاينة الذات ؟ فمن أين جاء بهذا ؟ وهل في مقدور كل مسلم الكشف والمعاينة ؟ يحییون هم بأن هذا لخواص الخواص !! وهذا يستلزم أن الخواص والعوام لا يمكن أن يصلوا إلى معرفة أهم حقائق الشرع !! ثم ما هذا الذي لا يظهر إلا بالكشف ؟ إن كان هو عين ما في الشريعة ، فما للكشف فائدة إذا . وإن كان غير ما فيها ، قالوا بجواز عبادة الله بغير ما شرعه الله ، وتلك هي الطاعة الكبرى ، فما صنع البخاري شيئاً سوى أن فر إلى ما فر منه ، وحارب ما يخارب هو من أجله !!

(٢) يريد الصوفية بها معاينة الذات الإلهية ، ومهاودة أسرار الربوبية والإلهية

بلا مخالطته، متكثرًا مع النواظر بلا انقسام، فذلك شعوزة الخيال، وخديعة الشيطان وقال بعد ذلك : « إنهم صرّحوا بأن التّكثّر في الموجودات ليس بتكثر وجوداتها ، بل تكثر الإضافات والتّقيّينات » ثم قال : « فقلوا : معنى قولنا : الواجب موجود ، أنه ^(١) وجود ، ومعنى قولنا : الإنسان ، أو الفرس موجود ، أنه ذو وجود ، بمعنى أن له نسبة إلى الوجود ، لا أنه متصف بالوجود ، على ما هو معنى الوجود لغة وعرفًا وشرعًا ؛ احترازًا عن شناعة التصريح بكون الواجب صفة الممكن ، وأنت خير بأن جواز الإطلاق فرع صحة الاشتقاق ، ولو سلم فما ذكروا في بيان معناه في الواجب والممكن ليس معناه ، لا لغة ، ولا عرفًا ، ولا شرعًا ومنشأ الغلط فيما يكشفه الشرع بما يقصر عنه العقل ، وما يدعيه هؤلاء مما يحمله [٥٧] عدم التفرقة بين ما أحاله العقل كهذه المذكورات ، وبين ما لا يناله العقل كاطمحلال وجود الكائنات عند سطوع أنوار التجليات ، وإنما ينال ذلك بجذبة الإلهية ^(٢) ، أو رياضة في متابعة الحضرة النبوية في الوظائف العلمية والعملية

(١) في الأصل : موجوداته ، بدل : موجود أنه .

(٢) عجيب أن يجعل البخارى هذا مما لا ينال إلا بجذبة ، فالمؤمن الحق يدرك باللمحة المرافية من الفكر والوجدان والشعور ، أن بين وجود الله ، ووجود العالم فرق ما بين رب السموات والأرض ، وبين عبد خلق من طين ، بيد أن البخارى يريد بالاطمحلال عند التجلى فناء وجود السوى ، فلا يشهد العارف ثم إلا وجودًا واحدًا هو الواجب ، أو المطلق ، يعنى يرى الكثير واحدًا ، والظاهر عين المظاهر فإن يك هذا ، فقد هوى في غيابة صوفية ، إذ ينفي الوحدة من جهة ، ويشبها من جهة أخرى ، فالصوفية يريدون بالتجلى ما يشكف للقلب من أنوار الغيوب ، أو ظهور الذات في عين المظاهر ، وفي الأول ادعاء معرفة الغيب وقول على الله بغير علم وفي الآخر الإقرار بوحدة الوجود ، فأيهما يريد البخارى ؟ ثم ما هذه الجذبة ؟ ما سبيلها ؟ ما دليلها ؟ ما مثالها في الماضى المؤمن ؟ لا يقال : سبيلها العبادة ، فإنه جعل العبادة قسمًا آخر غير الجذبة ، وليس في الكتاب ولا في السنة عليها دليل ، وما سمعنا عن صحابى أو تابعى ، أو مؤمن صادق أنه نال هذه الجذبة !!

والنيل هو الحصول الانصافى ، والعلم هو الحصول الإدراكى ، ثم إن كلاً مما لا يدركه العقل بالاستقلال ، وما ليس له العقل ينال ، لما كان مستوقفاً على الإعلام والإرشاد من رب العالمين ، بعث الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لبيان الأول ، وهو علم الشريعة صريحاً ، والإشارة إلى الثانى ، وهو علم الحقيقة رمزاً وتلويحاً^(١) ، كما يلوح من القرآن المجيد (٢٨ : ٨٨ كل شئ هالك إلا وجهه) إلى درجة الفناء فى الفناء فى التوحيد .

(١) يدين البخارى كغيره من الصوفية أن الدين حقيقة وشريعة ، وأن الأولى غير الأخرى ، بل أسمى منها وأفضل ، وأن الشريعة لا تتضمن الحقيقة ، وأن البيان عنها فى القرآن جلى صريح . أما عن الحقيقة ، فرمز وتلويح !! وبذا أركس البخارى فيما أركس فيه الصوفية . الله سبحانه يصف كتابه بأنه بيان للناس ، ويعين علينا بأنه بحث فى الأمين رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والبخارى يزعم أن القرآن أشار إلى علم الحقيقة عن طريق الرمز والتلويح ، وما كل الناس يفهمون الدلالة الرمزية ، أو التلويحية ، وما كل أمى يفهمها ، وهذا يستلزم طامتين ، الأولى : اتهام القرآن بالعجز فى البيان عن الحقيقة ، فلم يستطع الإفصاح عنها إلا عن طريق الرمز والتلويح ، وهما أعمض وأعجز أنواع الدلالات ، الأخرى : اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها الحق ، ولا يعبدون الله على بصيرة من الحق ، بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة أجمعين ، وإذا ولا كانوا فلاسفة لاصوفيين ، فإن قيل : كانوا يعرفون علم الحقيقة فى زعم الصوفية ، قلت : أين الدليل ؟ أجاب عن أحد منهم اقتراء أن الدين حقيقة وشريعة مقاراً بين القسمين ؟ . أنكم واحد منهم عن الفناء ، وفناء الفناء ، والوحدة المطلقة ، وهذه هى معارف علم الحقيقة عند الصوفية ؟ بل أقول : إن فى قول البخارى ومن دان دينه من الصوفية اتهاماً للرسول بهتانين ، أولهما : كتمان علم الحقيقة فى الدين ، أو الجانب الأسمى منه ، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم الذى يدعيه البخارى : علم الفناء ، وفناء الفناء ، ومعاينة الذات !! وآخرها : أنه كان صلى الله عليه وسلم لا يعلم الحقيقة ، ولم يهتد إلى ما هتدى إليه البخارى وغيره . واتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بوهم من هذا =

انتهى ما نقلناه من رسالة الشيخ علاء الدين البخارى ، لكنى تصرفت فيه بالتقديم والتأخير ، وقد وضح بذلك محالهم ، وتبين به ضلالهم ^(١) والله الموفق .

عَوْدٌ إِلَى مَنْ كَفَرُوا ابْنِ عَرَبِي

وعن الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسى المكي فى كتابه : تحذير النبيه والنبي من الافتتان بابن عربى ، أنه قال — وقد سئل عنه وعن شئ من كلامه — :

== كفر خبيث ، وقد اتهمه الصوفية فعلا بالأول: أى الكتمان، اسمع لابن عجيبة فى شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى يقول : « وأما واضح هذا العلم — يعنى التصوف — فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشرعية ، فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض » ص ٥ ج ١ ط ١٣٣١ هـ . وفى هذا حجة على دين الصوفية مقت للشرعية ، واتهام صريح للرسول بأنه لم يبلغ بعض ما أنزل إليه ، وبأنه هوى مع الهوى فخص به بعضاً ، وحاشا الرسول الكريم .

(١) علاء الدين البخارى رجل أشرب قلبه وفكره التصوف ، وقد خدع البقاعى بهذره الصوفى ، فكل ماهول به البخارى فى الرد على الصوفية لا يباذ لهم باطلا . بل يواله ويمالئ . نعم صرح الرجل فى قوة وشجاعة وجلاء بتكفير ابن عربى وأحلامه ، بيد أن ما حاسبه أدلة تدمغهم بالزندقة هى فى حقيقتها أساطير صوفية ، أو هى بالذات عناكبهم التى يصيدون بها العقول الذباية . وهذا يثبت ما قلته من قبل ، وهو أن كل من به مس من الصوفية إنما يطوى النفس على أمشاج وثنية . وإن تراءى بتكفير غيره من لدانه وأقرانه . قارن بين مارد به البخارى الصوفى ، وبين مارد به الإمام ابن تيمية ، لتدرك البون الشاسع بين الرجلين ، فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالبخارى صوفى يرد بتصوفه على تصوف غيره ؛ كي يؤمن الناس به هو ، وبما يدعوا إليه من التصوف ، وابن تيمية يدمغ الباطل بما دمه به الحق من الكتاب والسنة ، بل ويبراهين العقل الذى جعل هدى القرآن مناره ، ولم يلوثه دنس صوفى ، ابتغاء مرضاة الله ، والجلاد المستلثم فى الجهاد فى سبيل الله . وهذا هو دائماً فرق ما بين المؤمن والصوفى .

شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغى التونسى عالم إفريقية ، قال ما معناه : إن من نُسِبَ إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف فى فسقه وضلاله يزندقته » انتهى . ومنهم شيخنا العلامة إمام القراء شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى الدمشقى نزىل بلاد الروم ثم المعجم ، قال : « وما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف [ولأنهى عن المنكر] أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر من كتب المذكور^(١) وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغى أن يؤول ، فإنه^(٢) غلط من قائله . إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتّح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن فى الأرض كافر » ومنهم العلامة نادرة زمانه علما وعملا بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل^(٣) البمنى الحسينى نسباً وبلداً ، وصنف فى ابن عربى وابن الفارض كتاباً كبيراً^(٤) نافعاً جداً ، وذكر فيه أنه كان فى البمنى شخص من أكابر أتباعه ، يقال له السكرمانى ، حصلت به فى البمنى فتن كبيرة ، وحصل بينه وبين ابن المقرئ خطوب ، وصنف فى الرد على ابن المقرئ كتاباً قال فيه عن نفسه ، وأهل مذهبه ما لفظه : « إنا حيث قلنا : الخلق ، فرادنا الخالق ، وحيث قلنا : الحجر ، فرادنا الله » انتهى .

(١) يعنى : ابن عربى ، واقرأ نص فتوى الجزرى فى ص ٤٩٥ من العلم الشامخ للعلامة المقبل .

(٢) أى : القول بالتأويل لكلام الصوفية .

(٣) ولد سنة ٧٧٩ هـ تقريباً ، وتوفى سنة ٨٥٥ هـ . وهو من كبار علماء البمنى فى عصره .

(٤) سماه : كشف الغطا عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين ، وله كتاب آخر سماه : بيان حكم الشلح والنص على مروق ابن عربى وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين . انظر الضوء اللامع للسخاوى .

من مكر الصوفية

ومن مكر هذه الطائفة ، كما شرعه لهم شيخهم^(١) من أن الدعوة إلى الله مكر أن يُخَيَّلُوا^(٢) كل من ظنوا أنه مال عنهم بأنه يصاب في نفسه ، أو ماله^(٣) ، ويقولون : ما تكلم أحد فيهم إلا أصيب ، ويباهتون [٥٨] بأشياء هي كذب ظاهر . ولا عليهم . وأكثر الناس صبيان العقول ، مَرْضَى الأفكار ، تجد أحدهم إذا سمع هذا نَفَرَ منك نفرة النعام الشارد ، ثم يكون أحسنهم خللاً الذي يقول : التسليم أسلم !! ولا يتأمل أن الشك في الكفر بعد البيان كفرٌ ، وهو مع كونه^(٤) كذباً بمن أنكر عليهم من أكابر العلماء الذين لا يحصون كثرة ، وماتوا على أحسن الأحوال - تشبهُ باليهود في قولهم في الإسلام لما مات أبو أمامة أسعد

(١) يعنى : ابن عربى .

(٢) صوابها : إلى كل ، أو لكل . ففي الذكر (يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى)

(٣) كاد لى لثيم فضج لى ما يسمى : « مسوغات التعيين في وزارة المعارف »

فتنادى بعض الصوفية : بالسكرامة ، وبإل انتقام أوليائنا الرهيب !! ققلت : ياسبحان الله !! لا يتورع القوم حق من اتهام أوليائهم أنهم لصوص بغاة ، يحاربون الناس في أرزاقهم !!

(٤) لعلها : كذب ، ولو أن الأمر كان تكذيباً للعلماء فحسب لهانت الجريمة ،

ولكنه تكذيب لله ولرسوله ، وتقوى لغير الله ، ورهب من زنادقة ، فما يطبق أمثال هؤلاء — رغم إخراج الكفر لهم لسانه من كتب الصوفية — النطق بكلمة حق يرضون بها الله سبحانه . سل اليوم كبار الأخبار ، عبيد المتن والحاشية ، عن فصوص ابن عربى ، ونائية ابن الفارض ، وطبقات الشعرانى . سلمهم ثم أنصت للجواب الدليل . ستسمع من يقول عن ابن عربى : الشيخ الأكبر ، وعن ابن الفارض : سلطان العاشقين ، وعن الشعرانى : الهيكل الصمدانى ! وستسمع من يقول — ممن ينزل الرب يقينهم ، وتغشى الوثنية معتقداتهم : يسلم لهم حالهم ، فالتسليم أسلم ! . هذا ما يجيده الأخبار من أساليب الدفاع عن دين الله .

ابن زرارة^(١) الأنصارى رضى الله عنه فإنهم شرعوا يقولون تخيلاً لبعض الضعفاء : لو كان نبيا ما مات صاحبه . فكان النبي صلى الله عليه وسلم [يقول] : « بُسِ الميث أبو أمانة ليهود ! ! يقولون : كذا ، ووالله ما أملك لنفسى ولا لصاحبي شيئا^(٢) » وَتَسَنُّ^(٣) بالكفرة فى قولهم . (١١ : ٧٧ وما نراك اتبعك إلا الذين [هم] أراؤنا) ، (١٩ : ٧٣ - ٧٥ قال الذين كفروا للذين آمنوا : أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا . وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أناثا ورثيا . قل : من كان فى الضلالة ، فليمدد له الرحمن مدا) وبحو ذلك من الآيات ، ومتى مال الإنسان نحو تخييلهم ، كان كمن قال الله تعالى فيه : (١١ : ٣٢ ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمان به [وإن صابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين]) .

من آيات ثبات الإيمان فى القلب

مع أن الكتاب والسنة ناطقان بأن علامة صحة الإسلام فى القلب المصائب^(٤) قال الله تعالى : (٢٩ : ١ ، ٢ ألم . أحسب الناس أن يُترَكوا ، أن يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون) الآيتين ، وقال الله تعالى : (١٢ : ٢١٤ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . مسَّهم البأساء والضراء ،

(١) من أول الأنصار إسلاماً ، ويقال : إنه أول من بايع ليلة العقبة ، وكان نقيب قبيلته بنى النجار ، وأول من صلى الجمعة بالمدينة فى هزيمة من حرة بنى يياض ، يقال له : نقيع الحَضَمَات ، وكانوا أربعين رجلا . مات أسعد رضى الله عنه - والمسجد يبنى - فى السنة الأولى من الهجرة فى شوال قبل بدر « أسد الغابة ، والإصابة »

(٢) هذا لفظه فى سيرة ابن هشام . أما فى أسد الغابة « بسِ البيت ليهود ١١ يقولون : أفلا دفع عن صاحبه ؟ وما أملك له ، ولا لنفسى شيئا »

(٣) معطوفة على قوله قبل : تشبه باليهود .

(٤) يعنى الصبر عليها .

وَزُلْزِلُوا) الآية . إلى غير ذلك من آيات الكتاب الناطق بالصواب . وقال شخص للنبي : « إني أحبك ، قال : فأعد للبلاء تحمفاً^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يُرد الله به خيراً يُصِيبْ منه^(٢) » ، « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأُمَمَل فالأُمَمَل ، يبتلى المرء على قدر دينه^(٣) » إلى أمثال ذلك ، وهو كثير جداً ، وأعجب من ذلك أن البيعة على الإسلام كانت - ليلة العقبة - على الصبر على المصائب ، فإن عباس بن نضلة^(٤) رضى الله عنه قال لقومه قبل المبايعة يثبتهم على البيعة : « إن كنتم ترون أنه إذا نهكت^(٥) أموالكم مصيبة ، وأشرافكم فتلاً أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه^(٦) » على هذا كانت

(١) التجفاف : آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان لقيه الحرب ، وجفف الفرس : ألبسه إياه « القاموس والنهاية » .

(٢) رواه البخارى ومالك .

(٣) من حديث رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وابن أبى الدنيا . ولم لانهم فى الحديث معنى آخر ، هو أن أفضل الناس أشدهم بلاء فى سبيل الله ، من قولهم : أبلى فلان فى الحرب بلاء حسناً ، إذا أظهر بأسه حتى بلاء الناس وخبروه ؟! أو يراد بهما يصيبهم من الناس من بلاء لاستلامهم فى الدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيله . أقول : هذا لأنه ثبت فى أذهان الناس أن الإيمان الصحيح صنو المصائب ، وأن الله يدخر الرزايا للمخلصين من عباده .

(٤) أنصارى خزرجى ، شهد العقبة ، وقيل : العقبين ، بل قيل : كان مع نفر الستة الذين لقوا رسول الله ، فأسلموا قبل جميع الأنصار ، خرج عباس رضى الله عنه إلى مكة ، وأقام مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى هاجر إلى المدينة ، فكان أنصارياً مهاجرياً . قتل فى أحد ، ولم يشهد بدرًا « أسد الغابة ، الإصابة »

(٥) يقال : نهكت الحمى ، أضنته وهزلته ، وجهده ، ونهكت الناقة حلباً : إذا لم تبق فى ضرعها لبناً « القاموس والنهاية » .

(٦) ص ٢٧٧ ج ١ سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ط ١٩١٤

المبايعة ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ^(١) . ولقد شرع لنا [٥٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وتركنا على بيضاء نقية ، ليلها كنهارها ^(٢) ، ولم يتغير دينه بعده ، ولم يتبدل ، ولم يزد إلا شدة . وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الدين بدأ غريباً ، وأنه سيمود كما بدأ ، وقال : « فيأطوبني للغرباء » ^(٣) . فلا يهتم الإنسان بقلة الموافق ، فإن الله معه ، ومن كان الله معه ، كان كثيراً ، ولا بكثرة المخالف المشاقي ، فإنهم أعداء الله ، فليس معهم ومن لم يكن الله معه ، كان قليلاً (٣٩ : ٣٦ ، ٣٧ أليس الله بكاف عبده ؟) ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضل الله ، فما له من هاد ، ومن يهد الله فما له من مضل ، أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟) .

هوان الدين عند الأكرية

ومما ينبغي أن يكون نصب العين معياراً يعرف به هوان الدين عند أكثر الناس ، وهو أن أحدهم لو كان مُشْرِفاً على الموت من الجوع ، ووجد

(١) من حديث نسه : عن عبادة بن الصامت « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وأن لا نتنازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » الصحيحان ، الموطأ ، النسائي . المنشط : الأمر الذي ينشط له ، ويخفف إليه ، الأثرة : الاستينار بالشئ والافتراء به .

(٢) من حديث رواه ابن ماجه : « وايم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها » .

(٣) نص الحديث : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فيا طوبى للغرباء » مسلم عن أبي هريرة ، والنسائي عن ابن مسعود ، وابن ماجه عنهما وعن أنس ، وطوبى : فرح وقرة عين كما فسرهما ابن عباس .

لعلماء شهيماً ، فقال له أحد : إنه مسموم لم يقربه بعد ذلك ، ثم لا يبالي بقول هؤلاء العلماء ^(١) الذين هم القدوة في الدين ^(٢) أن كلام هؤلاء الاتحادية سم حاسم للدين من أصله ، ذابح للإيمان بسيفه ونصله ، فإننا لله ، وإنا إليه راجعون .

من هم الأولياء ؟

هذه نبذة من ذم أهل الحق له ^(٣) ، وهم الأولياء حقيقة ؛ لما شاع لهم من الأنوار التي ملأت الأقطار بمصنفاتهم التي أحيا بها الدين ، وأيدوا سنة سيد المرسلين ، فقد قال الشيخ محيي الدين النووي ^(٤) في مقدمة شرح المذهب « فصل في النهي الأكيد ، والوعيد الشديد لمن يؤذى ، أو يبغض الفقهاء ، والمتفقيين » . وروى الخطيب البغدادي ^(٥) عن الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما أنهما قالوا : « إن لم يكن الفقهاء ^(٦) أولياء لله ، فليس لله ولي » وعن ابن عباس رضي الله

(١) بل لا يبالي بالقرآن والسنة ، وفيهما الفيصل الحق بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال .

(٢) القدوة والاسوة : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) لابن عربي .

(٤) يحيى بن شرف . ولد سنة ٦٣١ هـ . ومات سنة ٦٧٦ هـ . وكان واسع المعرفة بالحديث والفقه واللغة .

(٥) أحمد بن علي بن أبي ثابت أبو بكر الإمام الحافظ المصنف المؤرخ . ولد سنة ٣٩٢ هـ . وتوفي سنة ٤٦٣ هـ ، وقد ترك قرابة مائة مصنف .

(٦) هم الذين يعتصمون في قههم بالكتاب والسنة ، ويدعون الناس إلى الاعتصام بهما والعمل بما فيها ، لا أولئك الذين يصنع لهم قههم الرأي المفتون ، أو يدعون الناس إلى اتخاذ كتبهم أرباباً من دون الله ، ويدعون بذهب فلان . فمثل هؤلاء أولياء الشيطان ، ثم الله سبحانه بين خصائص الولي في قوله : « الذين آمنوا ، وكانوا يتقون » وبينها رسوله الكريم بقوله : « إن أولياء الله المصلون ، ومن يقيم الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده ، ومن يؤدي زكاة ماله طيبة بها »

عنهما^(١) : « من آذى فقيها ، فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آذى الله عز وجل » انتهى . ومن نابذ كلامهم ، فقد عاداهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب »^(٢) ومن رد أقوالهم^(٣) لأجل توهم أن من حكموا بكفره ولى لشبهة باطلة ، وكلام مُزَوَّق يراد به الإضلال والغرور ، فَمَنْ كَفَنَ^(٤) أصابه داء ، فوصف له الأطباء العارفون دواء ، فقال له عامى : لا تسمع منهم وخذ هذا فقد قال لى فلان وفلان - وعد جماعة مثله - : أنه نافع ، فاعتمد على مُجَرَّب ، ولا تعتمد على طيبب . وأمثال هذا من الخرافات ، فقبل كلامه ، لكونه قريب الطبع من طبعه ، فأعطاه سُمًّا ، فَتَحَسَّاهُ ، فهلك إلى لعنة الله ، فإنه لا عبرة بشبهة أصلا إلا شهرة كانت بين أهل العلم [٦٠] الموثوق بهم ، لأن الاستفاضة والشهرة من العامة ، لا يوثق بها ، وقد يكون أصلها التابيس ، وأما التواتر فلا يفيد العلم ، إذا لم ينتبه إلى معلوم محسوس ، وأما من مدحه ، فهو أحد رجلين كما مضى عن القاسى وغيره : رجل يبلغه زهده وانقطاعه عن الناس ، ولم يبلغه مافى كلامه من المصائب فالجرح^(٥) مُقَدَّم على ثنائه ، أو رجل كان يعتقده فى الباطن ، فهو يناضل

= نفسه ، ومن يصوم رمضان ، ويحتسب صومه ، ويحتنب الكبائر ... » الحديث .
رواه أبو داود والنسائى وابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى والحاكم وابن مردويه
كلهم عن عبيد بن عمير اللبثى

(١) فى الأصل : عنه

(٢) البخارى وأحمد والطبرانى وأبو يعلى

(٣) هذا إذا كانت حقا مشرقا من الورين : الكتاب والسنة . لا كأقوال علماء

الدين البخارى ، فقد رد أساطيرهم بأساطيره

(٤) أى من فعل هذا فهو كمن أصابه داء الخ

(٥) فى الأصل : فالجرح

من نفسه ، فلا عبرة به ^(١) .

رأى ابن أيوب في الحلاج وابن عربي

وحدثني الفاضل جمال الدين عبد الله بن الشيخ القدوة زاهد زمانه ، والمشار إليه بالصلاح والمعارف والورع ، وحفظ اللسان في أوانه بدمشق الشيخ علي بن أيوب ^(٢) : أن أباه - الشيخ عليا المذكور - كان يجلس في الجامع مطرقا يقيم إحدى رجله هيئة المستوفز ، ويضع ذقنه على ركبته ، فلا يُكلم لهيئته ، فإذا رفع رأسه ، علم أنه أذن في الكلام ، فسأله من أراد عما شاء ، ففعل ذلك يوما ، فلما رفع رأسه ، سأله شخص عن ابن عربي هذا ، فأطرق زمانا طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه كفر كفرا ، ما وافق فيه كفر ملة من الملل ، بل خرق بكفره إجماع الملل ^(٣) ، وزاد عليهم . قال الشيخ جمال الدين : فحكيت ذلك لبعض من يشار إليه بالعلم والميل إلى ابن عربي ، فقال : والله لو سمع ابن عربي هذا الكلام لقال : ما عرفني أحد غير هذا الرجل . قال : وسئل والذي أبضا عن الحلاج ، فقال : لاشك أن الحجاج قتل من العلماء خلأثق يتعسر حصرهم ، وشتت شملهم

(١) الحكم على ابن عربي بما حكم الله به على من ألهاوا عيسى ، وعبدوا الأوثان وغيرهم ليس في حاجة إلى كل هذا ، فكتابه الفصوص ثابت النسبة إليه ثبوت لعن الله لأبي لهب ، والفصوص - ردغة كفر ، وحمأة زندقة . وما ينفع ابن عربي أن يشهد له ملايين الصوفية بأنه الرباني الأعظم ، وشهادة كتبه عليه شهادة الحق والصدق ، فليشهد الصوفية له بأنه وأنه ، فكذلك الصديد ، لا يشهد له بأنه طعام طيب سوى الميكروب الذي يحيا به وفيه !!

(٢) الإمام الفقيه البارع المتقن المحدث بقية السلف - كما يقول الذهبي . ولد سنة ٦٦٦ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ

(٣) هذا يدل على فهم دقيق غاية الدقة لمعتقد ابن عربي ، فإنه كفر بكل كفر ثم أضاف إليه كفره ، ثم جعل من هذا كله دينا للصوفية

وأبادهم ، وقتل سعيد بن جبير^(١) ، وأهل الأرض محتاجون إلى علمه ، وخلصه العلماء وخرجوا عليه ، وقتلوه ، ومع هذا كله لم يقل أحد منهم : إنه كافر ، بل قالوا : إنه من عصاة المسلمين ، لا تحمل امرأته لذلك . والحلاج ما تعرض لأحد من أهل العلم بأذى في دنياه ، وأجمع جميع أهل زمانه منهم على كفره ، واستباحة دمه ، فلو كان العلماء يقولون بالهوى ، لقالوا في الحجاج الذي ما ترك نوعاً من الأذى حتى رماهم به ، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى ، فوجب على الناس اتباعهم^(٢) وقبول كلامهم ، وهذا غاية في البيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

...

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الضابط المتقن المتفنن أستاذ المفسرين نادرة المحدثين ، برهان دين العالمين ، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ، نزيل القاهرة المحروسة : فرغت من مسودة هذا الكتاب بحمد الهادي للصواب في شوال سنة أربع وستين وثمانمائة . والحمد لله وحده .

...

وفُرِغ من نسخ هذه النسخة المباركة في وقت العصر من يوم الأربعاء من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة .

(١) أحد أعلام التابعين ، كان مع عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل ابن الأشعث ، فر سعيد إلى مكة ، فظفر به الحجاج ، فقتله في شعبان سنة ٩٥ هـ كما في الوفيات ، أو ٩٤ سنة كما في مروج الذهب والكمال لابن الأثير

(٢) إنما الواجب اتباع الكتاب والسنة ، وتأيد كل داع إلى الله بالحق . وما أركس الناس في فتنه الضلالة سوى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، وكتب الناس أرباباً من دون الله !!

تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد

للشيخ الإمام العالم العلامة ، الحافظ المحقق الرحلة ، ناصر السنة

قانع البدعة ، محيي العدل ، برهان الملة والدين

إبراهيم بن عمر بن موسى بن علي بن أبي بكر البغهي الشافعي

لطف الله بهم أجمعين

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الهادى ، لأركان الجبارة الشداد ، القامع لأهل الإلحاد ، بسيف السنة الحداد . وأشهد أن لا إله إلا الله الفضل ^(١) الهادى ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده [ورسوله ^(٢)] الداعى لسائر العباد ، إلى سبيل الرشاد . صلى الله عليه ، وعلى آله الخيرة الأجداد ، وصحابته الأبطال الأجداد ، وسلم تسليما يغلب التعداد ، ويبقى على مر الأباد .

وبعد : فهذه رسالة سميتها : « تحذير العباد من أهل العناد ، ببدعة الاتحاد أخذتها إلى العباد فى جميع البلاد ، الراغبين فى الاستعداد ليوم المعاد ، بموالات أهل الموداد ، وملاواة ^(٣) الأشقياء الأضداد ، الضالين بنحلة الاتحاد ، أرجو أن تكون ضامنة للاسعاد يوم التناد ، قلت : اعلّموا أيها الإخوان الذين هم على البر أعوان ، حفظكم الله ، ورعاكم ، وصانكم من كل سوء ، وحماكم - أنه لا يقدم على الأمر بالمعروف [والنهي عن المنكر ^(٤)] إلا من جعل نفسه هدفا للتحوف ^(٥) وتجرع من مر الكلام ما هو أمرٌ من السهام ، فإن الناهى عن المنكر ، يعانى الهوان الأكبر ، بمعاودة كل شيطان من الإنس والجان ، يقوم عليه الجيلان ، ويرشقه بسهام الأذى القبيلان ، شياطين الإنس ظاهراً بالمقال والفعال ، وشياطين [الجن ^(٦)] باطناً بما يوحون إليهم من الضلال .

(١) لعلها المضل ، فهكذا وردت فى أول رسالته الأولى

(٢) (٦ ، ٤ ، ٢) كلها ساقطة من الأصل ، والسياق يوجبها

(٣) يقال : لاوت الحية الحية ملاواة : إذا التوت عليها

(٥) جمع حنف وهو الهلاك ، وقيل : هى مصدر بمعنى الحنف ، وهو قضاء

التوت « أساس البلاغة للزخشري »

آيات سَلَّى اللهُ بها نبيه

ولصعوبة المقام ، وما فيه من الأخطار والآلام ، سَلَّى اللهُ نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى : (٩٧ : ٩٩) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك ، وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال الله تعالى : (٦ : ٣٣) قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال تعالى : (٦ : ١٠٨) كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى : (٦ : ١١١-١١٣) ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم بالوحي ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم ، وما يفترون . ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) وقال تعالى : (٦ : ١٢١-١٢٣) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون . أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك [٦٣] زَيْنٌ للكافرين ما كانوا يعملون . وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ؛ ليمكروا فيها ، وما يمشرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) إلى غير ذلك من الآيات والدلالات الواضحات ، ففي الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مَسَلَّةٌ لأتباعهم ، واعتبار بأحوالهم ، واعتصام ، وما أتى أحدٌ قط أحداً^(١) بمخالفة هواه إلا ساءه^(٢) وأذاه ، إلا من عصم الله : (٢ : ٨٧) أفكلنا حاكماً

(١) في الأصل : أحد بالرفع . وهو خطأ

(٢) في الأصل : ساء

رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتهم ، وفريقا تقتلون) وهؤلاء الذين اتسموا بسمَةِ الاتحاد ، وقد ألفهم الطغام^(١) من الأنام ؛ لما غرّروهم به من إظهار التصوف ، ليأخذوهم من المأمن ، وما دروا أن الصوفية أشد الناس تحذيرا منهم ، وتنفيرا للعباد عنهم .

الرأى فى سلف الصوفية

فإن المحققين منهم والمحققين^(٢) بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة^(٣) ، كما نقل القاضى عياض فى أوائل القسم الثانى من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن^(٤) رحمه الله أنه قال : « إن أقواماً قالوا : يارسول الله^(٥) ، إنا نحب الله ، فأنزل الله تعالى : (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) وعنه أنه قال : « عمل قليل فى سُنّة خير من عمل كثير فى بدعة » وعن أئى عثمان الحيرى^(٦) أنه قال : « من أمر على نفسه السنة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة » ، وقال سهل بن عبد الله التستري^(٧) : « أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية فى جميع

(١) الأوغاد من الناس ، مفردة طغامة ، وهو يتطغم على الناس : يتجاهل عليهم « أساس البلاغة »

(٢) كذا بالأصل : ولعل الثانية زائدة ، أو لعلها : المتحققين

(٣) كتب الصوفية سلفهم وخلفهم تشهد عليهم بنقيض هذه الدعوى الكذب

وقد سبق بيان هذا

(٤) يعنى : البصرى . ولم يك صوفياً

(٥) فى الأصل : برسول . وهى كما أثبتنا فى الشفاء

(٦) هو سعيد بن إسماعيل بن منصور . توفى سنة ٢٩٨ هـ

(٧) توفى سنة ٢٧٣ هـ

الأهمل^(١) « وفي كتب القوم كإرسالة والموارف^(٢) من ذلك شيء كثير ،
والشهادة على من قال : الحقيقة خلاف الشريعة بالزندقة^(٣) ، وأن الطرق كلها
مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم^(٤) ، قاله الجنيد^(٥) ،
وقال أبو عثمان الحيرى : خلاف السنة فى الظاهر علامة رياء فى الباطن ، وقال
النورى^(٦) : من ادعى حالا يخرج من حد العلم الشرعى ، فلا تقرن منه ، وقال
الخرزاز : كل باطن يخالفه ظاهر ، فهو باطل ، وقال القشيرى : حكم الوقت فيما ليس
فيه أمر ، إذ التضييع لما أمرت به ، والإحالة على التقدير ، وعدم المبالاة بما
يحصل من التقصير - خروج عن الدين^(٧) ، وقال السهروردى فى قوم تسموا

(١) انظر ص ٧٧ ج ٢ الشفاء ، وإذا كان هذا صحيحا ، فلم يوجبون الاقتداء
بالشيوخ وحدهم ؟ ولم يأكلون السحت من صناديق نذور الأصنام ؟ ولم يقصدون
بالصلاة فى مساجدهم وجوه الهامدين فى الأضرحة ؟

(٢) الرسالة لعبد الكريم بن هوازن القشيرى . ولد سنة ٣٧٦ وتوفى سنة
٤٦٥ هـ . والموارف لأبى حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى
ولد سنة ٥٣٩ وتوفى سنة ٦٣٢ هـ

(٣) إن من يقسم الدين إلى حقيقة وشريعة لا يقترف هذا إلا وهو يتصور
المغايرة بين الإثنين ، ويؤمن بهذه الغيرية ، وكتب القوم جميعها طائفة بهذا مفضلة
الحقيقة على الشريعة ، وإلا . فما فائدة التقسيم عندهم ؟

(٤) انظر ص ١٩ من الرسالة للقشيرى

(٥) يسمونه سيد الطائفة . توفى سنة ٢٩٧ هـ وكما نقل عنه القشيرى هذا ،
فقد نقل عنه أنه سئل عن العارف فقال : من نطق عن شرك وأنت ساكت !!
والله وحده هو الذى يعلم ما تكن الصدور

(٦) أحمد بن محمد أبو الحسين . مات سنة ٢٩٥ هـ

(٧) ولكن اسمع للقشيرى يقول فى رسالته ص ٣١ : « الكيس من كان
بحكم وقته . إن كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وإن كان وقته الخو فالغالب عليه
أحكام الحقيقة » ألا ترى القشيرى هنا يؤكد المغايرة بين الشريعة والحقيقة ، وأن
العارف فى المهورف عنه تكاليف الشريعة ؟

بالملامتية^(١) : «إنهم - في غرور - يزعمون أن الارتسام بالشرعية رتبة العوام ، وهذا عين الإلحاد ، وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة^(٢) » وكذا قال الشيخ [٦٤] عبد القادر الكيلاني ، وقال القشيري : « من كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ [صحيح^(٣)] مصحوبا ، ومن كان مُحَقًّا في حاله ، كان محفوظا في سكره ، والعبد^(٤) في [حال^(٥)] سكره يشاهد الحال ، وفي حال صحوه يشاهد^(٦) العلم ، إلا أنه في حال سكره محفوظ ، لا بتكلفه ، وفي حال صحوه متحفظ بتصرفه ، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما » . وإنما نقلت هذه النبذة الماضية من الشفاء^(٧) ، ليعلم أن طريق

(١) اقرأ عنهم كتاب الدكتور غيفي : الملامتية

(٢) ص ٥٧ عوارف المعارف للسهروردي

(٣) ، (٥) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الرسالة للقشيري

(٤) في الأصل : وهو . والتصحيح من رسالة القشيري

(٦) في الأصل : بشرط . والتصحيح من رسالة القشيري

(٧) نقل المؤلف هذه النصوص ليقم الحجة على الصوفية بشهادة أئمتهم ، ولكن ما ينبغي أن نغزنا بالحق هذه النصوص ، فإنما هي وجه إسلامي لقلب مجوسى ، يحتدم حقا على الكتاب والسنة ، فالقشيري الذي يترأى بتمجيد السنة هو الذي زعم في رسالته أن قبر معروف الكرخي يستشفى به ، وتقل قول الكرخي للسري للسقطي : « يا سري . إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي » ويكفي هذا لإخراج الرء من زمرة المسلمين . ويقول السهروردي في عوارفه ص ١٥٨ « وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاك الأمر ، ومتمسك أرباب الصدق » فأين الجمعة والجماعة والجهاد في سبيل الله ؟ ثم يدعو السهروردي دعوة ما نوبة صرفة فينسب إلى الرسول زورا أنه أباح العزوبة لأئمة بعد المائتين ، ويقول : سمعنا عن الجيلي أن بعض الصالحين قال له : لم تزوجت ؟ فقال : ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ، فقال له : الرسول يأمر بالرخص ، وطريق القوم : الزم بالزعيمة « يلتزم طريق القوم ، ولا يلتزم أمر الرسول !! فهل تشم نفحة من السنة ؟ لا بل =

الفقهاء هي طريق الصوفية^(١) ، هذا ما بنى عليه الصوفية أمرهم ، وأما هؤلاء الذين تشبهوا بهم ، ونبه العلماء - حتى الصوفية - على أنهم ليسوا منهم ، ودلّسوا على الناس ، ولبسوا أحوالهم ، ليقطعوا الطريق على أهل الله ، وهم يظهرون أنهم منهم .

منابذة الصوفية للعقل والشرع

فأول ما بنوا عليه أمرهم ترك العقل^(٢) الذي بنى الله أمر هذا الوجود على حكمه بشرط استناده إلى النقل الذي أنزل به كتبه : وأرسل به رساله عليهم الصلاة والسلام ، لثلازل العقل بما يغلبه من الفتور والشهوات والحطوط ، وجعل العقل حاكماً^(٣) لا يعزل بوجه من الوجوه في وقت من الأوقات في ملة من الممل وضموا إلى ذلك^(٤) الداهية الدهياء ، وهي ترك ما عطر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم السكون بمدحه ، وملأ الوجود بذكر مناقبه وفضائله ، وهو العلم والشرع

= بمحوم الممانوية الصرفة الداعية إلى القضاء على النوع الإنساني ، وإبادة الجنس البشري كله . وهذا يؤكد لك قوة الصلة ، بين محوسية ماني وبين التصوف

(١) شتان شتان ما طريق الصوفية ، وطريق الفقهاء ، والصوفية أنفسهم يقرون بهذا ، ويزعمون أن طريقهم هو الحقيقة لا الشريعة ، و متمسك الفقهاء هي الشريعة ، والصوفية يرون المستمسك بالشريعة محجوباً عن الحقيقة ، ثم ما لابن حنبل يأبى أن يسير في جنازة الحارث المحاسبي !؟ إنه اشم من كلامه بتن رائحة التصوف !؟

(٢) مقياس الحقيقة ومصدر المعرفة عند الصوفية هو الذوق ، وهذا سر ترديدهم لأسطورتهم : من ذاق عزف ، أما العقل فيكفرون به ، ويرونه حجاباً يستر الحقيقة ، كل هذا ليفروا من حكم العقل عليهم بالأفن والضلال

(٣) ما للعقل أن يحكم على الحقائق الشرعية ، والقيم الدينية إلا بحكم الكتاب والسنة ، لا كما يزعم الفلاسفة وغيرهم من علماء الكلام والأصول : وهو أن العقل

أصل النقل وحاكم عليه

(٤) أى إلى تركهم للعقل

وحذروا من اتباع شئ من ذلك غاية التحذير ، فكانوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، وذلك بَيِّنٌ جداً في فصوص ابن عربى ، ونظم ثائية ابن الفارض اللذين قصد بهما هدم الشريعة ، وكل منهما^(١) ثابت عن نُسب إليه عند أهله ثبوتاً رافعاً للريب والثائية متصلة بابن الفارض بالأحاد والتواتر .

موقف العلماء من ابن عربى وابن الفارض

وقد كفرهما العلماء بسبب ما نُقل من حالهما ، وما صدَّق ذلك من كلامهما . أما ابن عربى ، فالتسكلمون فيه كثير جداً ، وكان له علم كثير فى فنون كثيرة ، وله خداع كبير غرَّ به خلقاً ، فأثنى عليه لأجل ذلك ناس من المؤرخين^(٢) يَمُنُّون

(١) يعنى : الفصوص والثائية الكبرى

(٢) كم سجل الهوى فى التاريخ البطولة للربعيد ، والقدسية المداعر ، والعدالة للطاغية ، والجماعة الإنسانية التى تعدد ، وتباين فيها المقاييس الدينية والخلقية والاجتماعية تختلف على نفسها فى تقدير قيم الحقائق والأشياء ، وبالتالى فيمن تنسب إليهم هذه القيم إثباتاً أو نفياً ، لذا أمر الله سبحانه أن يحمل المسلمون كتاب الله وسنة نبيه حكماً بينهم . يحتكمون إليها كما شجر بينهم خلاف ، حتى يقوموا حقائق الأشياء بالحق والعدل ، ويحكموا فى أقضيتهم بالحق والعدل ، فلا يبدد الخلاف وحدتهم ، ولا يذهب بهم الهوى شيئا وأحزابا . وقد حدد الكتاب والسنة مفهوم التوحيد والشرك ، ومفهوم الإيمان والكفر ، بل والخير والشر ، وضرب الله سبحانه لنا أمثالا ممن حكم عليهم بواحد منها . فبجانب نوح عليه السلام ذكر ابنه وبجانب إبراهيم عليه السلام ذكر أباه آزر ، وبجانب موسى وهرون عليهما السلام ذكر الله فرعون وهامان وقارون ، وبجانب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أباه لُب بالاسم ، وغيره بالصفة ، وبجانب مريم وامرأة فرعون ذكر امرأة نوح وامرأة لوط . ذكر الأولون فى مقام الثناء عليهم ، وإسباغ الرضى والرحمة ، وذكر الآخرون فى مقام الذم وصب الغضب واللعنة عليهم ، مع ذكر أسباب الثناء وأسباب الذم ، لتكون لنا بالصالحين نعم القدوة ، فنسعى سعيهم ما استطعنا ، وفى الطالحين العظة =

خفى عليهم أسره، أطبق العلماء على تكفيره وصار أمراً إجماعياً. وأما ابن الفارض فأسره أسهل، وذلك أنه لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحاله ثناء عليه بهدالة، ولا ولاية، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية، ولا مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة واحدة على كثرة شعره، فدل ذلك على سوء طويته، ونقل القدح فيه نقلاً قطعياً عن محبيه ومبغضيه، فقد قال شراح تائبة التابعون لطريقته والمتقدون عليه من أهل السنة: إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة، وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة [٦٥] على الإجمال.

المكفرون لابن الفارض

وأما التفصيل والتعيين، فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا، فن أهل عصره سلطان العلماء عز الدين [ابن] عبد السلام الشافعى، والحافظ الفقيه الأصول تقي الدين ابن الصلاح الشافعى، والإمام الفقيه المحدث الصوفى قطب الدين القسطلانى الشافعى، والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلى^(١) وشرح التائبة، وبين

والعبرة، فنحذر مما أركسوا فيه، وبسببه لغنهم الله وطردهم من رحمته. وبهذه المقاييس القرآنية يجب أن نؤمن، وبها يجب أن نقيس كل ما يعرض علينا من أمور الدين والحياة، فلا نفهم فى التوحيد إلا ما بينه الله سبحانه به، وكذلك الشرك وغيرها. ولا نغدعنا عن الحق الجلى من كتاب الله كهان ولا أحبار، ولا رهبان، وعلى هداية الحق نقدر التصوف، دون أن نغير التفاتنا إلى ثناء المثنيين، أو ذم الداميين، ما دمنا نحمل المشعل الوهاج من القرآن يكشف لنا ما خفى من أمر التصوف. فلما بهم بعده ثناء الملايين على ابن عربى وابن الفارض، وكيف، ونحن نعرف قصة فرعون وقصة الوثنية، ونعرف بحكم الله على الجميع؟! فكل من نجده فى دينه منتسباً إلى الفرعونية أو الوثنية. حكمنا عليه بحكم الله، وإن ضج الملايين من الصوفية!!

(١) من أئمة الفقه والأصول، ولى نيابة القضاء بالقاهرة. ولد سنة ٦٠٣ وتوفى

عواره فيها بيتاً بيتاً - وأبو علي عمر بن خليل السكوني المالكي ، والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي .

ومن يليهم قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الصوفي الشافعي ، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز الشافعي ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي ، والشرف عيسى الزواوي المالكي ، والسعد الحارثي الحنبلي ، والإمام أبو حيان الشافعي ، وأبو أمانة ابن النقاش الشافعي ، والحافظ شمس الدين الموصل الشافعي ، وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي ، وشيخ الفقهاء الزين^(١) السكتاني الشافعي ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي .

ومن يليهم الكمال جعفر الأدهوي^(٢) الشافعي - ومقل ذم الثانية عن العلماء - والبرهان إبراهيم السفاقي المالكي ، والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي ، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي .

ومن يليهم العلامة شمس الدين محمد العيزري^(٣) الشافعي ، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي ، وعلامة زمانه علاء الدين محمد البخاري الحنفي الصوفي - وكفر بعض من قال بحضرته : إن ذلك يؤوّل^(٤) ، وما أنكر عليه أحد ممن كان حاضره من العلماء تكفيره له ، ولا غيرهم من أهل زمانه من مذهب من المذاهب ، وما وسع المسكفر إلا البراءة من الاتحادية ، ومذهبهم .

ومن يليهم قاضي القضاة ولي الدين العراقي ، وقاضي القضاة حافظ عصره

(١) في الأصل : الدين

(٢) ولد سنة ٦٨٥ هـ ، أو سنة ٦٧٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ

(٣) ولد بالقدس سنة ٧٢٤ هـ ، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ ومن شيوخه ابن قيم

(٤) من قال بهذا هو شمس الدين البساطي كما ذكر المؤلف من قبل

شهاب الدين أحمد بن حجر الشافى ، وقاضى القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفى
وقاضى القضاة شمس الدين البساطى المالكى ، وعلامة اليمن بدر الدين حسين
ابن الأهدل الشريف الشافى الصوفى ، كما شهد بهذا النقل عنهم نحو عشرين
كتاباً من مصنفاتهم ، ومصنفات غيرهم من العلماء ، وهى شرح التائية لابن
حمدان ، وديباجة ديوان ابن الفارض ، ولحن العوام لابن خليل ، وتفسير أبى حيان
البحر والنهر والفرقان لابن تيمية^(١) ، وقصيدة السفاقسى التى يقول فيها :

وكالشترى القونوى ابن فارض
فلا برّد الله نراهم ، ولا أسمى

والقونوى الذى ذكره . صدر الدين [٦٦] صاحب ابن عربى ، وكتاب
ابن أبى حجلة ، والميزان ولسانه لابن حجر ، والتاريخ لابن كثير بخطه ، وناصحة
الموحدين للعلاء البخارى ، والفتاوى المسكية للعراقى ، وتاريخ العيني وشرح
التائية للبساطى ، وكشف الغطاء لابن الأهدل . فهذه ستة عشر كتاباً وقصيدة
شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً ، هم أعيان كل عصر .

موقف شيوخ المذاهب من ابن الفارض

ومن كفره قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى ، وقاضى القضاة محقق
زمانه شمس الدين القياى ، ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسى الشافى
والعلامة علاء الدين القلقشندى الشافى ، والشيخ يحيى العجيسى المالكى والعلامة

(١) لا يكاد يخلو كتاب من كتب ابن تيمية من نقد الصوفية ، وبيان عوارهم
ويلاحظ أن البقاعى لم ينقل عن ابن تيمية سوى النذر اليسير ، بل الذى لا يكشف
تمام الكشف عن العبقرية المحلقة للامام الجليل فى تمده للتصوف بالعقل والنقل ،
وهذا يثير الدهشة من جانب البقاعى ، أما نحن فيسرننا هذا حتى لا توضع خصومة
ابن تيمية للتصوف موضع التهمة من الصوفية فى هذا الكتاب

شمس الدين البلاطيسى الشافعى شيخ الشاميين فى وقته ، وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندى الحنفى ابن صاحب الهداية ، والعلامة الصوفى كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعى ، والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعى ، والعلامة أبو القاسم النويرى المالكى ، كما شهد بذلك الثقات من أصحابهم .

فهؤلاء أعيان العلماء فى عصر ابن الفارض ، وفى كل عصر أنى بعده طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ؛ وقد اجتمع فيهم أهل المذاهب الأربعة التى هى عمدة الإسلام ^(١) ، فشهادة هؤلاء العلماء الموثوق بهم حجة على من قال بكفره ، أما من لم ندركه فبشهادة الكتب الموثوق بصحة نسبتها إلى قائلها . وأما من أدر كناه فبشهادة الكتب فى بعضهم ، وشهادة الثقة فى باقىهم ^(٢) ، هذا إلى ما شهدت به شروح التائية كما يأتى .

تواتر نسبة ابن الفارض إلى الكفر

فقد صارت نسبة العلماء له إلى الكفر متواترة تواتراً معنوياً . وقد علم بهذا عذر من كفره ، لو لم يكن له سند غير هذا ، فكيف وقد تأيد هذا بما فى كلامه وكلام ابن عربى من الطامات التى منها منابذة العقل والشرع كما مضى ؟ .

(١) يسير المؤلف مع القافلة الشرود فى المذاهب الأربعة عمدة الإسلام ، وينسب الكتاب والسنة للذين أمرنا الله سبحانه أن نرد إليهما كل شئ ، ولو ردنا أمر الصوفية إلى بعض شيوخ هذه المذاهب — لا الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم — لوجدناهم يصححون له زندقته ، أما الكتاب الكريم فقد حكم الله فيه بالكفر على القائل : الله هو المسيح ، وابن عربى يقول : الله عين كل شئ .

(٢) إن من يقرأ نصف بيت من تائية ابن الفارض ، كقوله مثلاً : فى دارت الأفلاك . أو : وفى الصحو بعد الحو لم أك غيرها . أو : وما زلت إياها . من يقرأ شيئاً من هذا لا يتردد فى الحكم على ابن الفارض أنه رجل انسلخ عن الإسلام . يحكم بهذا المسلم ، بل غير المسلم ممن يقارنون بين التوحيد فى القرآن ، وبين الوحدة عند ابن الفارض . فما بالك ، وقد حكم عليه كل أولئك العلماء ؟ !

الضلال عند الصوفية خير من الهدى

أما مافى الفصوص من ذلك ، فقد قال فى الفص النوحى فى أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام ، التحريف الذى يكفر الإنسان بأدى شئ فيه ^(١) : « (٧١ : ٢٤) وقد ضلوا كثيراً) أى حَيَّرُوهم فى تعداد الواحد (ولا تزد الظالمين) المصطفين الذين أوتوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة (إلا ضلالاً) إلا حيرة ، فالخاطر له الدور والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه ، وصاحب الطريق المستطيل مائل خارج عن المقصود طالب ما هو فيه ، صاحب خيال إليه غايته ، وله « من » و « إلى » وما بينهما ، وصاحب الحركة الدورية لا بدء له ، فيلزمه « من » ولا غاية له ، فيحكم عليه « إلى » فله الوجود الأتم ، وهو المؤتى جوامع الكلم والحكم » وقال : (٧١ : ٢٢) ومكروا مكرأً كباراً) لأن الدعوة إلى الله مَكْرٌ بالمدعو ، لأنه ما عدم من البداية ، فيدعى إلى الغاية ، ادعوا إلى الله ، فهذا [٦٧] عين المكر ^(٢) .

رب ابن الفارض أنثى

وأما مافى الثانية من ذلك فقال فيها مخاطباً لله تعالى - كما أجمع عليه شراحه - بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها وهى نحو سبعمائة ^(٣) بيت ، ولو خاطب أحد من أهل الزمان غيره مثل ذلك ^(٤) قاتله ، لكن الناس لا يحملون إلا عند حقوق مولاهم سبحانه ، وأما فى حقوقهم ، فهم فى غاية الحدة والمشاحنة ^(٥) ، والله الهادى .

(١) فى هامش الأصل : لعله : منه

(٢) سبق نقل هذا عن ابن عربى وتعليق عليه

(٣) بل تقارب الثمانمائة

(٤) أى : بمثل غزله اللاجن فى الذات الإلهية

(٥) مثال ذلك حنق الصوفية على كل من يذود عن الكتاب والسنة ، ومن =

تفضيل الزنديق نفسه على الرسل

قال :

وحزنى ما يعقوبُ بثَّ أَقْلَه

وكلُّ بلا أيوب بعضُ بليتى

فضله الشارع على من ذكر في البيت كما هو ظاهر العبارة وعلى ذلك بقوله « لقوة استعداده ، فسار في خطوة واحدة مالا يستطيعه غيره إلا في أزمنة طوال » وقال القاضي عياض في أواخر الشفاء : « من قال : صبرت كصبر أيوب ، إن درى عنه القتل لم يسلم من عظيم النكال » وأقول : فكيف إذا فضل نفسه ، وكذب نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس بلا ، الأنبياء ^(١) » ؟ !

الحلاعة سنة ابن الفارض

قال :

وخلع عذارى فيك قَرَضِي وإن أوى اقترأ

بى قومي ، والحلاعة سننى

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكى

فأبدوا قَتْلِي واستحسنوا فيك جفوتى

وأهلَى فى دين الهوى أهله ، وقد

رضوا لى عارى واستطابوا فضيحتى

فمن شاء ، فليغضب سواك ، فلا أذى

إذا رضيت عنى كَرَامِ عشرينى

يحكم على طواغيتهم بحكم الله ، ثم تمجيدهم لما يشتم به ابن عربى الله رب العالمين ، وهتافهم الساجد لوثنيته الباغية

(١) سبق ذكره ، وتخرجه ومعناه

ذلتُ بها في الحى حتى وجدتني
وأذنى منالٍ عندهم فوق همى
وأخلى وهنا خضوعى لهم ، فلم
برونى — هواناً^(١) بى — محلا لخدمتى
ومن درجاتِ العز أمستُ مُخلداً
إلى دركاتِ الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يُغشى ، ولا جاء يُرنجى
ولا جار لى يُحمى لفقد حميتى
كان لم أكن فيهم خطيراً ، ولم أزل
لديهم حقيراً فى رخاى وشدتى
فألى بها حالٍ^(٢) بعقلٍ مُدلهٍ^(٣)
وصحةٍ مجهود ، وعز مذلّة
أسرتُ تمنى وصلها النفسُ حيث لا
رقيب حجاً سيراً لِمِرْرى وخصت
يفالط بعض عنه بعضى صيانة^(٤)
ومينى فى إخفائه صدق لهجتى

أجمع شراح الثانية على أن المراد بالأبيات التسعة الأولى : أن طريقه هتك
استار الحرمه ، والخرق فى بعض النواميس الإلهية ، ومخلّيته الناس مع ربهم من غير
أمرٍ بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ورضاه بكل ما يقع منهم لشهوده الأفعال

(١) فى الأصل : هو انانى

(٢) أى : متزين

(٣) فى الأصل : لعقل مدلة ، والتصويب من الديوان

(٤) فى الأصل : صباية ، ويقصد ببعضه الأول : نفسه ، وبالأخر : عقله

كلها الواحد^(١) الحقيقى الظاهر فى صور الكثرات ، وعدم الالتفات إلى المترسمين من الزهاد والعباد ، وكسر نواميسهم^(٢) ، والرد عليهم وعدم التقييد بظواهر العلوم والاعتقادات ، فحملهم ذلك على أن رموه بالفسق والبدعة والكفر والإباحة والزندقة والخروج عن طريقهم ، فذل بين حى أهل الشريعة والطريقة وأجمعوا^(٣) على أن المراد من الثلاثة [٦٨] الأخرى أن نفسه أسرّت تمَنّى الوصول ، وتَحَقَّقَ مَقَامُ حَقِيقَتِهِ حَتَّى غَابَ عَنْهَا رَقِيبُ الْعَقْلِ ؛ خَوْفًا مِنْ إِطْلَاعِهِ عَلَى ذَلِكَ ، فَيُغْلَبُ عَلَيْهِ حَكْمُ التَّزْيِيزِ ، فَيَقُومُ بِالْمَنْعِ وَالتَّشْنِيعِ ، فيقول^(٤) : ما للرب ورب الأرباب ، وأنه بالغ فى الإخفاء خوفًا من أن يتنبه العقل^(٥) ، فيقوم يشنع وينكر ، فصار كل واحد من الصفات يقاطع الآخر ، وكذبه فى هذا صدق لهجته .

وقال بعد ذلك بكثير :

ولا استيقظت عين الرقيب ، ولم تزل

على بها فى الحب عيني رقيبتى

قال التلصافى : « يعنى لما سكرت روحي ، ونامت عين الرقيب - وهو

الشرع والعقل - أفت عيني رقية على » ، لرعاية آداب حضرة المحبوبة .

ذمه للرسول وللشرع

وقال فى ذم الشرع أيضًا .

(١) لعله سقط قبلها : من ، أو : فعل ، أو : صادرة عن

(٢) فى الأصل : نواميس

(٣) أى : شراح التائبة

(٤) أى : العقل

(٥) هذا إقرار صريح بأن نتائج التصوف تجافى العقل ، فإذا كان دينهم

يجانب الشرع والعقل . فماذا بقى ؟

مَنْحُوكَ عَلَافٍ إِنْ تَرَدَّ كَشَفَهُ فَرَدَّ
 سَبِيلَ ، وَأَشْرَعَ فِي اتِّبَاعِ شَرِيعَتِي
 فَتَبِعُ صَدَاءَ^(١) مِنْ شَرَابِ بَقِيعَةٍ^(٢)
 لَدَيَّ ، فَدَعْنِي مِنْ شَرَابِ بَقِيعَةٍ
 وَدُونِكَ بِحَرَا خَضَّتِهِ ، وَقِفِ الْأُولَى
 بِسَاحِلِهِ صَوْنًا لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي

قال الشراح : « إِنْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ مَنَعَ اتِّبَاعَهُ عُلَمَاءُ كَلَاءِ صَدَاءَ ، وَهُوَ مَا
 يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْغَزَاةِ وَالْعَذُوبَةِ ، وَنَهَى عَنِ مَتَابَعَةِ غَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ
 مِنَ الْأَصُولِيِّينَ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْفُقَهَاءِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعُلُومِ الْفِكْرِيَّةِ ، فَإِنَّهَا تَفْرُجُ
 السَّامِعَ ، وَهِيَ كَسَرَابٍ بَقِيعَةٍ لَيْسَتْ شَيْئًا ، وَأَنَّهُ خَاضَ بِحَرِّ التَّوْحِيدِ ، وَأَخْرَجَ
 مِنْهُ مَا لَمْ يَنْتَلِ أَحَدٌ مِنَ السَّابِقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ لَوْقُوفِهِمْ فِي سَاحِلِ ذَلِكَ
 الْبَحْرِ لِأَجْلِ حِفْظِ حُرْمَتِهِ^(٣) » ثُمَّ خَادَعُوا^(٤) بِأَن قَالُوا : « قَالَ هَذَا عَلَى لِسَانِ
 الْحَضْرَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ^(٥) ؛ إِذْ كَالِ التَّوْحِيدِ مَخْتَصٌ بِمَقَامِ جَمْعِهِ ، وَالْكَمَلِ وَالتَّابِعِينَ
 إِيَّاهُ » أَنْتَهَى .

وقد وقع من شرحه بذلك - مع الحميدة عما لا يحيد عنه - في السكفر من

(١) في الديوان : صدا بالقصر اضرورة الشعر ، وهي صداء بالمد وتشديد الدال

(٢) في الأصل : بقية

(٣) أي : حرمة ابن الفارض

(٤) أي : شراح التائية

(٥) ظن المؤلف أنهم يقصدون بالحضرة المحمدية محمدا صلى الله عليه وسلم ،
 وهذا غير صحيح ، فالصوفية يريدون بالحضرة المحمدية الذات الإلهية مع التعيين
 الأول ، ومن باطنها يزعمون أنهم يستمدون الفيوضات الإلهية مباشرة ، فمعنى قول
 الشراح إذاً : إنه قال هذا على لسان الله سبحانه . والدليل قولهم : مختص بكمال
 جمعه : أي أنه هو الذات الكاملة التي جمعت بين الحق والخلق في أكمل ماهية

جهة أخرى ، وهى أنه يلزم منه تفضيل أتباع النبى صلى الله عليه وسلم على الأنبياء
الماضين عليهم السلام^(١)

يفضل أتباعه على الرسل ، وزندقته على شرعة الله

ومن نمطه — لكونه لا ينفك عن كفر — قوله عَقِبَهُ :

وأصغرُ أتباعى على عين قلبه

عراسُ أبكارِ المصارف زُفَّتْ

فإن سَـيـل^(٢) عن معنى آتى بغرائب

من الفهم جَلَّتْ ، أو عن الوهم دَقَّتْ

فإنه لا يصح على لسانه ، ولا لسان غيره^(٣) .

ثم قال فى ذم الشرع والعلم :

ولاتك ممن طيشته دروسه بحيث استقلت عقله واستغفرت

فمِّمَّ وراء النقل علم يدقُّ عن مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته منى ، وعنى أخذته ونفسى كانت من عطائى^(٤) مِدَّتْ

(١) بل تفضيل نفسه على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى فرض صحة زعمهم أنه
يتكلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه يكون بهذا قد تعمد الكذب على
رسول الله ، فهو صلى الله عليه وسلم ما قال هذا الشعر الصوفى ، وجزاء متعمد
الكذب على الرسول الكريم معروف

(٢) أى : سئل

(٣) أى . ولا لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ردا على زعمهم أنه يتكلم بلسان

الحضرة المحمدية

(٤) فى الأصل : بالعطاء . والتصويب من الديوان . وابن الفارض يختار كلتى

الإعطاء والإمداد عن عمد آثم يدل على مبلغ اعتقاده فى أنه هو الله . إذ الله
سبحانه هو الذى يقول عن نفسه تعالى « كلا عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك »

قالوا في معناه : « لا يستخفك كثرة دروس العلوم النقلية ، فوراها علم
مكتونٌ أخذتُ ظاهره من حسي ، وباطنه من عقلي ، وسِرّه من روحي ،
ومكتونه من سري من حيث أن كل واحد منها عيني وذاتي . ولا وصف ،
ولا نعت زائد على حاكم بمفازتي ، وغير يتي إياها ، فكنتُ المعطى ، وكنتُ
المعطى ، وكنتُ المُمدّ ، وكنتُ المُستمدّ ، والفاعل والقابل ^(١) » .
هذا أسرهم [٦٩] في الانسلاح من العقل .

الصلة بين التصوف والنصرانية

وقد شهد عليهم العلماء بذلك . قال العلامة قاضي القضاة شمس الدين البساطي
في أول كتاب له في أصول الدين في المسألة السادسة من الكتاب الثاني في أنه
سبحانه ليس متحدّاً بشيء : « واعلم أن هذه الضلالة المستحيلة في العقول سرت
في جماعة من المسلمين ، نشأوا في الابتداء على الزهد والعبادة - إلى أن قال - ولم
في ذلك - أي الاتحاد بالمعنى الذي قالته النصارى - كلمات يعسر تأويلها ، بل
منها ما لا يقبل التأويل ، ولم في التأويل خلطٌ وخبطٌ كما أرادوا أن يقرّبوا من
المعقول ، ازدادوا بُمداً ، حتى أنّهم استنبطوا قضية حلّت لهم الراحة ، وقنعوا في
مخالطة الضرورة بها بالغيب ، وهي أن ما هم فيه ، ويزعمونه وراء طَوْرِ العقل ،
وأنه بالوجدان يحصل ، ومن نازعهم محجوبٌ مطرود عن الأسرار الإلهية » وهكذا
قال الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد ، والشريف في شرح المواقف ^(٢)

ادعاؤه الربوبية

ولما تمهد له في زعمه ^(٣) ادعى أنه الله ؛ عناداً لقوله تعالى : (١٧ : ٥) لقد كفر

(١) لو قرأت بإزاء هذا قول الله (إياك نعبد ، وإياك نستعين) لحكمت

على هذا الرجل بآية واحدة بأنه خارج عن الإسلام

(٢) سبق ذكر نصي الضد والسعد

(٣) أي : في زعم ابن الفارض

الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٣١:٩) اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم) وقوله تعالى : (٦٥:١٩) هل
تعلم له سمياً) ولأمر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتاله لكل من سمى
شيئاً غير الله إلهاً ، فقال شعر :

فِي دَارِ الْأَفْلَاقِ فَأَعْجَبَ لِقُطْبِهَا أَلَا مُحِيطُ بِهَا ، وَالْقُطْبُ^(٢) مَرْكَزُ نَقْطَتِي

(١) معطوفة على قوله قبل . لقوله تعالى

(٢) زيادة على ما ذكرته قبل عن القطب عند الصوفية أقول هنا : القطب
عندهم نوعان . قطب قديم أو معنوي ، وقطب حادث أو حسي . فإن كان بالنسبة
إلى مافي عالم الشهادة من الخلق ، فهو القطب الحادث أو الحسي ، وهذا يستخلف
بدلاً منه عند موته أقرب الأبدال منه ، إذ كان هو قبل القطبية بدلاً ، ثم استخلفه
القطب الذي كان قبله عند موته ، وإن كان بالنسبة إلى مافي عالم الغيب والشهادة من
تعينات الوجود المطلق ، فهو القطب القديم ، أو المعنوي . لا يستخلف عنه بدلاً ،
ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه ، إذ هو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة ،
فلا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، أي ليس قبله قبل ، ولا بعده بعد . والقطب القديم
هذا هو الروح المصطفوي ، أو الحقيقة المحمدية ، أو هو الله — وسبحان رب
العالمين — حين عرف نفسه في أول صورة تعين فيها ، وسأها الحقيقة المحمدية ،
ومن خصائص هذا القطب القديم وجود كل الأفلاك بوجوده ، ودورانها به ،
وحوله ، وإحاطة علمه وقدرته بأقطارها . وسمو رتبته وشرفه عن ذرى رتبته
وسنام شرفها . وهنا يزعم ابن الفارض أنه هو هذا القطب القديم ، يعني قطب
الأقطاب ، يعني أنه الله سبحانه !! يزعم أن علمه محيط بكل شيء ، وأن قدرته
تصرف لمشيئته كل شيء ، وأنه فوق كل شيء بالشرف والرتبة ، وأنت — ولا ريب —
على ذكر من أن الله سبحانه هو وحده الذي يحيط علمه بكل مافي عالم الغيب والشهادة
وغير هذا مما لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى وحده . وأنت — ولا ريب —
مدرك من قول ابن الفارض أنه ينسب كل هذه الصفات الإلهية لنفسه ، فهل يجوز
أن يعتربك وهم في أن ابن الفارض يقرر أنه هو الله ذاتاً وصفة وعلماً وقدره ،
أعني له الربوبية والإلهية « انظر ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغمر ، لعبد الرزاق —
١٥ — مصرع الصوف

فمن قال، أو من طال، أو صال إنما
وما سار فوق الماء، أو طار في الهواء
وعنى من أمددته برقيقة
ومنى لو قامت بميت لطيفة
ولا تحسبن الأمر عنى خارجا
فلا حي إلا عن حياتي حياته
[ولولاي لم يوجد وجود، ولم يكن
ولا قائل إلا بلفظي تحدثت
هذا لا يصح كونه عنه ، ولا عن الله^(٤) !!

زعمه أن صفات الله عين صفاته

ويقول أيضا أن الله يتحد به ، بحيث يصير الذاتان ذاتا واحدة ، فمن
ذلك قوله :

ولا منصت برسمي : سامع
ولا ناطق غيري ، ولا ناظر ، ولا
سميع سواي^(٥) من جميع الخليقة

القاشاني المطبوع على هامش شرح ديوان ابن الفارض ط ١٣١٠ هـ المطبعة الخيرية
فنه بخاصة كتبت ما كتبت عن القطب ، وإن كان لنا شيء فالأسلوب وحده . كل
هذا لنقطع على الصوفية سبيل ادعاء أن ما نقول مقترى عليهم ، فلا والله ما نأخذ
ما نكتبه عنهم إلا من كتب آلهتهم !!

(١) في الأصل : في

(٢) في الأصل : أية . والتصويب من الديوان

(٣) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبتته عن الديوان

(٤) هذا رد على زعم شراح التائية أن ابن الفارض يتكلم بلسان الحضرة الإلهية

(٥) في الأصل : سواي . وهي في الديوان كما أثبتتها

وهأنا أُبْذِي فِي اتِّحَادِي مَبْدِي وَأَنْهَى اتِّهَانِي فِي تَوَاضُعِ رِفْعَتِي
جَلَّتْ فِي تَجَلِّيَّهَا الْوُجُودَ لَنَاظِرِي فِي كُلِّ مَرْنِي أَرَاهَا بِرُؤْيَا
وَأَشْهَدْتُ غَيْبِي إِذْ بَدَتْ فَوَجَدْتَنِي هُنَاكَ إِيَّاهَا بِجَلْوَةِ خُلُوتِي
فَوْضَنِي - إِذْ لَمْ تَدْعُ بَاثِنِينَ - وَصَفُهَا وَهَيْئَتَهَا - إِذْ وَاحِدٌ نَحْنُ - هَيْئَتِي ^(١)

(١) زعم الزنديق قبل أنه قطب الأقطاب ، وأن له وحده القدرة المهيمنة ،
والعلم المحيط بما في عالمي الغيب والشهادة ، وفي هذه الآيات يوغل أيضا في التزندق
إِذَا قَاجَرَا ، فيزعم أنه السيد لكل سيد ، وأنه مفيض الحياة والوجود ، وأنه
للهمن على إرادة كل مرید ، فلولا ما وجد موجود ، ولا خلق كائن ، ولا أخذ
العهد على الآدمية أن تعبد الله ، ولا دعا إلى الله — بالحق — نبى أو رسول . لأنه
الآخذ لهذا العهد على عبيده ، المرسل للرسل ، المانح العطى كل كائن وجوده
وحياته ، ولما كان ابن الفارض يدين بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، وأنه - أى
ابن الفارض - هو الله ، فقد هوى هنا في هذه الآيات مع الزندقة إلى غورها
السحيق ، إذ يزعم أن ما تلفظه الشفاء هو في الحقيقة ألقاظ الله ، وأن ما تسمعه
الأذان ، وتراه العيون ، عين ما يسمع الله ويرى ، بل الأذان والعيون هي في
حقيقتها آذان الله وعيونه - وتعالى الله عما يشركون ، مشيرا في لآمة ما كره إلى
الحديث القدسي « كنت سمعه . الخ » ملحا بهذه الإشارة إلى أن السنة تؤيد بهتان
مجوسيته . وقد سبق الرد على ما يدندن به الصوفية حول هذا الحديث . كل هذا
يهرف به محبول الزندقة ، ليؤكد لك عشرات المرات أنه هو الله ، ورغم جلاء
الكفر الآثم في شره ، فإنما زلنا نسمع من الأجبار أن ابن الفارض سلطان
العاشرين ، في حين أن كفر ابن الفارض أشد جحودا ، وأخبث وسيلة وغاية من
كفر الشيطان ، فإبليس في لحظة تحدى العبودية الآبقة للربوبية المهيمنة ، لم يذهله
التحدى عن عزة الله ، وأنه سبحانه هو الأعظم الأكبر ، فلم يقسم بغير عزة الله
(٣٨ : ٨٢ قال : فبمرتك ، لأغوينهم أجمعين) وإبليس في لحظة الجحود والعدا
لم يزعم لنفسه القدرة الشاملة ، ولا التصرف الكامل ، فقال : (إلا عبادك منهم
المخلصين) وإبليس في لحظة التخابيل بالكبر المقيت ، لم يزعم لنفسه أنه غنى عن الله ،
ولا أن حياته طوع إرادته هو ، فدعا الله سبحانه دعاء المفتقر إلى من يؤمن بأنه غنى =

فإن دُعيتَ كنتُ الحبيب وإن أكن
مُنَادَى أجابتُ من دُعائي ، ولَبَّتْ
[٧٠] وإن نطقتُ كنتُ المناجى ، كذلك إن

قصصُ حديثنا إنما هي قصص

فقد رُفِعَتْ تاء الخطاب بيننا^(١) وفي رفعها عن فُرْقَةِ الْفَرَقِ^(٢) رفعتي
فإن لم يُجَوِّز رؤية اثنين واحدا حِجَاكَ ، ولم يُثَبِّتْ لبعْدِ تَثَبُّتِ
سأجلو إشاراتٍ عليك خَفِيَّةٌ بها ، كعباراتٍ لديك جَلِيَّةٌ
وأثبتُ بِالْبُرْهَانِ قولي . ضَارِبَا مِثَالَ مُحَقِّقٍ ، والحقيقة عمدي
بمُتَّبِعَةٍ يَنْبِيكَ فِي الصَّرْعِ غَيْرُهَا على فِيمَا فِي مَسْأَلَةٍ حِينَ جُنَّتْ^(٣)
ومن لَفْظٍ تَبْدُو بِغَيْرِ لِسَانِهَا عَلَيْهِ بَرَاهِينُ الْأَدَلَّةِ صَحَّتْ
وفي العلم حَقًّا أَنَّ مُبْدِيَّ غَرِيبَ مَا سَمِعْتَ سِوَاهَا ، وَهِيَ فِي الْحَسْرِ أَبَدَتْ

أن ينظره الله إلى يوم البعث . (١٥ : ٣٦ قال : رب فأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَعْثُونَ)
فَتَأْمَلُ فِي كُفْرِ إِبْلِيسَ وَكُفْرِ ابْنِ الْفَارِضِ ، وَثُمَّ تَقُولُ مَعَ الْحَقِّ : وَأَيْنَ مِنْ كُفْرِ
الزَّنْدِيقِ كُفْرَ إِبْلِيسَ ؟ ١١٩

(١) الخطاب يستلزم الإثنية ، إذ يقتضي وجود مخاطب ، ومخاطب ، لذا ينفي
ابن الفارض الخطاب ، ليثبت من وراء نفيه ، أنه ما شئ غيره حتى مخاطبه ، وإنما
هناك ذات واحدة ، هي الذات الإلهية المتعينة في صورة ابن الفارض ، أو لعله يريد
أن تاء الخطاب - وهي مفتوحة - تحولت إلى تاء التكلم وهي مضمومة ، فبدل
أن يقول : أنت خلقت ، أصبح يقول : أنا خلقت

(٢) الفرق عند الصوفية : « شهود قيام الخلق بالحق ، ورؤية الوحدة في
الكثرة ، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر » جامع
الأصول في الأولياء . فالفرق لا يزال مشوباً بالغيرية ، لذا يزعم ابن الفارض أنه
تسامى عن هذه المرتبة التي يشعر فيها السالك أن ثمت بينه وبين الله سبحانه وجهاً ما
من وجوه الغيرية ، وأنه في أفق يوقن فيه وتحقق منه أنه هو عين الذات الإلهية
(٣) سبق هذا البيت وتعليق، عليه

قال الإمام شمس الدين البساطي في شرح هذه الآيات : « ومن ظنَّ هذا برهانا ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة » وقال قبل ذلك :

زعمه أن الله سبحانه يصلي له

ولا غرو أن صلى الأنام إلى أن ثوت بفؤادى ، وهى قبله قبلتى
لها صلواتى بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلت
كلانا مُصلِّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع^(١) فى كلِّ سجدة
وما كان لى صلى سوى^(٢) ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كل ركعة
ثم قال بعد ذلك :

وفارق ضلال الفرق فاجمع ، مُنتججٌ هدى فرقة بالاتحاد تحدث

(١) الجمع عند الصوفية : « شهود الحق بلا خلق ، أو الإشارة إلى حق بلا خلق ، وهو ما يسمى : وحدة الشهود » غير أن ابن الفارض يعنى به هنا ما هو أشد كفرا ، إذ يزعم أنه حين يسجد ، فالساجد والمسجود له حقيقة واحدة هى الحق فى صورة خلق ، يعنى الإله باعتبار الإطلاق ، والإله باعتبار التعيين فى صورة ابن الفارض

(٢) فيما قبله عبر بقوله : كلانا مصل وكلا . والضمير الذى بهما يشعران بأنه ثم اثنان يؤديان الصلاة ، - وإن كان قد عقبه بما ينفى الإثنائية المفهومة من « كلانا » وهو قوله « واحد ساجد » . غير أنه لم يكتف بهذا فى نفي الإثنائية ، فنظم هذا البيت « وما كان لى صلى سوى . الخ » توكيدا لنفي ما نفاه من قبل ، وتوكيدا لمعنى الوحدة بينه وبين الله سبحانه ، ومعنى قوله : احذر أن تفهم أن المصلى غير من صلى له ، فإنما هما حقيقة واحدة تخضع غير العارف بتجليها فى مظهرين غيبى وشهودى ، أو مصلى له ومصل ، المصلى أنا ، والمصلى له أنا ! ! غير أنى أقول للزنديق وعبيده : ما زال ثم غير . هو مكان الصلاة ، فلا يثبت لك نفي الغيرية والإثنائية .

رب الصوفية في صور الماشقات

وَصَرَّحَ بِإِطْلَاقِ الْجَمَالِ ، وَلَا تَقْلُ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلًا لَزْخَرَفِ زِينَةِ
بِهَاقِيسُ لُبْنَى ^(١) هَامَ ، بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ كَجَنُونٍ لَيْلَى ^(٢) ، أَوْ كَثِيرٍ ^(٣) عَزَّةَ
فَكُلٌّ صَبَا مِنْهُمْ إِلَى وَصْفِ لِبْسِهَا بِصُورَةِ حَسَنِ لَاحٍ فِي حَسَنِ صُورَةِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرِ فَظَنُّوا سِوَاهَا ، وَهِيَ فِيهَا ^(٤) نَجَاتُ
فِي النَّشْأَةِ الْأُولَى تَرَاءَتْ لَادَمَ بِمَظْهَرِ حَوَّاءَ ^(٥) قَبْلَ حَكَمِ الْأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَصِيرُ بِهَا أَبَا وَيُظْهَرُ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ الْبَنُوَةِ
انْظُرْ إِلَى هَذَا التَّجَاسُرِ مَعَ الْكُفْرِ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ لَيْلَى ، وَقَيْسُ الْمَذْكُورُ هُوَ ابْنُ ذَرِيعٍ أَحَدُ مَشَاهِيرِ الْعَشَاقِ .
مَا زَالَ يَشْبَبُ بِلَبْنَى بِنْتِ الْحَبَابِ الْكَعْبِيَّةِ ، وَيَسْعَى سَعِيَهُ حَقَّ تَزْوِجٍ بِهَا ، ثُمَّ طَلَقَهَا
ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَكَانَا فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ « عَنْ تَزْيِينِ الْأَسْوَاقِ لِلْأَنْطَاكِ »

(٢) الْجَنُونُ هُوَ عَامِرُ بْنُ مَالُوحٍ بْنُ مَزَاحِمَ ، وَصَاحِبَتُهُ لَيْلَى بِنْتُ مَهْدَى بْنِ سَعْدٍ
سَلَبَهُ عَشَقُ لَيْلَى رَشَدَهُ . وَكَانَا فِي أَيَّامِ مَرْوَانَ وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا :

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمُوتُ نَحْوَهَا بَوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمَصْلَى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَسْكَنَ حَبَا وَعَظَمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمَدَاوِيَا

(٣) هُوَ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي جَمْعَةَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ كُنِيَّتُهُ أَبُو صَخْرٍ
الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، كَانَ رَافِضِيَا شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لآلِ أَبِي طَالِبٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٠ هـ
وَصَاحِبَتُهُ عَزَّةُ بِنْتُ جَمِيلِ بْنِ حَفْصِ بْنِ إِيَّاسَ ، وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا :

اللَّهُ يَعْلَمُ لَوْ أُرِدْتُ زِيَادَةَ فِي حُبِّ عَزَّةَ مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا
رَهْبَانِ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ يَكُونُ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قَعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كُلًّا سَمِعَتْ حَدِيثَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكْعًا وَسُجُودَا
وَالَيْتَ يَنْشُرُ أَنْ تَمْسَ عَظَامُهُ مَسَا ، وَيَخْلُدُ أَنْ يَرَاكَ خُلُودَا

(٤) فِي الْأَصْلِ : فِيهِمْ ، وَالتَّصَوُّبُ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَظَاهِرِ

(٥) يَفْتَرِي أَنْ الدَّاتِ الْإِلَهِيَّةَ تَعَيَّنَتْ لَادَمَ فِي صُورَةِ حَوَاءَ

بالحيام بالذات الأقدمين^(١) كما لا يخفى ولما لا يخفى :

وما برحت تبدو وتخفى لمة	على حسب الأوقات في كل حقة
وتظهر للمشاق في كل مظهر	من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففى مرة لُبْنَى ، وأخرى بئينة	وأونة تُدعى بعزة . عزت
ولسن سواها ، ولا كن غيرها ^(٢)	وما إن لها في حُسْنِها من شريكة
كذاك بحكم الاتحاد ، لحُسْنِها	كما لى بدت في غيرها ، وتزيت
بدوت لها في كل صب مُمْتِم	بأى بديع حسنه ، وبأيت
وليسوا بغيرى في الهوى لَتَقْدَم	على بسبق في الليالى القديعة
وما القوم غيرى في هواى ، وإنما	ظهرت بهم لللبس في كل هيئة

(١) فى الكلام خلل قلعله سقط منه شيء ، ويمجب المؤلف من جسارة ابن الفارض على آدم ، وليس بعجيب هذا من رجل قال قبل ذلك : إن الله هو جسد حواء !! وسبحان الله رب العالمين

(٢) يفترى الزنديق أن لبنى وبئينة وعزة ولىلى ما هن إلا الذات الإلهية تعينت فى صور هؤلاء العوانى العاشقات ، وأن قيسا وجميلا وكثيرا وعامرا عاشاق أولئك النسوة ، مالم إلا الذات الإلهية تعينت فى صور هؤلاء العشاق ، فمن خصائص الإله الصوفى أنه يتجلى فى صورة رجل عاشق ، وفى صورة امرأة هالوك عاشقة ، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه ، فهو العاشق والعشق والمعشوق . وابن الفارض يختار لفظ العشق عن عمد تثيره الفزيرة اللتية ، فالعشق كما يعرفه صاحب القاموس « إفراط الحب ، ويكون فى عفاف وفى دعاره ، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه أو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور » والصوفية المعاصرة تعيب علينا الإيمان بصفات الله كما هى فى الكتاب والسنة ، وترجف بنا باغية فى كل ناد أننا نجسم الله !! ومعاذ الله أن ننسب إليه إلا ما نسب هو سبحانه إلى نفسه . ألا فلينظروا إلى ربهم الذى صنعت زندقه ابن الفارض ، إنه يصوره شهوة غارمة الزوات ، وبهذا لقبوه بسلطان العاشقين !!

ففى مَرَّةٍ قيساً ، وأخرى كَثِيراً وَأَوْنَهُ أَبَدُ جَمِيلٍ بَيْنَهُ (١)
[٧١] تَجَلَّيْتُ فِيهِمْ ظَاهِرًا ، واحتجبت با طَنَا بِهِمْ ، فاعجب لي كَشْفِ سِتْرَةٍ (٢)
وَهُنَّ ، وَهُمْ (٣) - لَا وَهْنَ وَهُمْ - مظاهر

لنسا (٤) بتجلينا بِحُبِّ ، وَنَضْرَةٍ
فكل فتى حُبِّ أَنَاهُو ، وَهُى حِ بٌ كُلِّ فَتَى ، وَالْكَلُّ أَسْمَاءُ لِبَسَةٍ
أَسَامِ بِهَا كُنْتُ الْمَسَى حَقِيقَةً وَكُنْتُ لِي الْبَادَى بِنَفْسٍ نَخَعَتْ
وَمَا زِلْتُ إِيَّاهَا ، وَإِيَّائِي لَمْ تَزَلْ وَلَا فَرَقَ ، بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتِ (٥)
وَلَيْسَ مَعِيَ فِي الْمَلِكِ شَيْءٌ سِوَايَ وَأَأْ مَعِيَّةٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى الْمَعِيَّةِ

(١) تكنى أم عبد الملك ، وصاحبها جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح وكلاهما من بني عبدة ، قبيلة اشتهرت بالجمال والحب والفة فيه ، حتى قيل : هوى عندي . وجميل مضرب المثل في صدق الصباة وعفة الحب ، كان وصاحبه في عهد عبد الملك بن مروان

(٢) دائماً يذكر ابن الفارض عن نفسه باعتباره أحد تعينات الذات الإلهية أنه يتجلى في صور رجال عاشقين ، أما حين يتحدث عن الذات مطلقاً فيزعم أنها تتجلى في صور نساء عاشقات وما من شك في أنه يريد بهذا تفضيل نفسه على كل تعينات الإله الصوفي ، إذ الرجل قيم على المرأة

(٣) العشيقات والعشاق الذين ذكروا قبل ، وللذين هم رمز عن الوجود التعين

(٤) أى للذات الإلهية باعتبارها وجوداً خالياً من التعين ، ولها باعتبارها خلقاًسمى ابن الفارض .

(٥) هذا وما قبله يؤكد أن ابن الفارض ممن يدينون بوحدة الوجود ، لا بالاتحاد . ألا تراه يؤكد أن مظاهر الوجود المختلفة هي عين الذات ، وأن الذات منذ أحبت أن تعين وهي تتجلى في صور الوجود ، وأن هذه الحقيقة — حقيقة تعين الحق في صور الخلق — لا يطيف بها وهم من الأوهام ؟

فهذا ظاهر في إرادة الاتحاد^(١) بحيث أن الذاتين تكونان ذاتا واحدة ،
لا شبهة فيه أصلا .

ثباته على اعتقاد الوحدة

ثم قال في إثباته^(٢) ، ونفى الحلول :

رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عُذَّتِي
وعُذْتُ بِنُسْكِ بَعْدَ هَتَكِي ، وعدت من

خلاعة بسطى ، لا قباض بعفتي
رسمتُ نهاري رغبةً في مثوبة وأحييت ليلى رهبةً من عقوبة
وعَمَّرْتُ أوقاتي بِوَرْدٍ لِوَارِدٍ وَصُمْتُ لِسْمَتٍ ، واعتكافٍ لِجُرْمَةٍ
وبنت عن الأوطان هجران قاطم مواصلة الأحباب ، واخترت عُزْلَتِي
ودَقَقْتُ فِكْرِي فِي الْحَلَالِ تَوَرُّعًا وراعتُ في إصلاح قُوَّتِي ، وقُوَّتِي
وَأَنْفَقْتُ مِنْ يُسْرِ^(٣) الْقَنَاعَةِ رَاضِيًا من العيش في الدنيا بِأَيْسَرِ مُبْلَغَةٍ
وهذبتُ نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ ، ذَاهِبًا إِلَى كَشْفِ مَا حُجِبَ الْعَوَائِدِ غَطَّتْ
وَجَرَدَتْ فِي التَّجْرِيدِ عَزَمِي تَزَهُدًا وآثرتُ في نُسْكِ اسْتِجَابَةِ دَعْوَتِي

مَتَى حِلْتُ عَنْ قَوْلِي : أَنَا هِيَ ، أَوْ أَقْل

وحاشا لِمَنْ لِي أَنَهَا فِي حَلَّتْ

جميع هذه الأفعال التي هي محاسن الشريعة جعلها نقائص ، ودعا على نفسه
بها^(٤) ، إن ادعى الحلول ، أو حالَ عن دعوى الاتحاد .

(١) الصور اللفظية لابن الفارض تشعر بهذا ، أما معانيه وشرحه في القصيدة
لمعتقده فيؤكدان إيمانه بالوحدة

(٢) أي : في إثبات الاتحاد ، والحق أنها وغيرها في إثبات الوحدة

(٣) في الأصل : سر ، والتصويب من الديوان

(٤) يدعو ابن الفارض على نفسه بالعودة إلى مرتبة العبودية المصلية الصائمة =

استدلاله على زندقته

ثم قال بعد هذا بكثير في أواخر القصيدة ، دالا على مذهبه فيما زعم :
 وجاء حديث في اتحادى ثابت رَوَاتُهُ فِي النُّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ
 يُشِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ ^(١) تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ بِنَفْلِ ، أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ
 وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الْإِشَارَةَ ظَاهِرٌ بَكُنْتُ لَهُ سَمَّا كُنُورِ الظَّهِيرَةِ
 قال شارحه : « إن الحبَّ ميل باطنى أَثَرُهُ رَفَعُ امْتِيازِ الْحُبِّ وَالْمَحْبُوبِ ،
 وَرَفَعُ مَا بَيْنَهُمَا ^(٢) » ، والحب عين الحضرة الإلهية ، والمحجوب ظهور كماله الذاتى
 والأسمائى ، ولن يصح لقبول هذا الظهور المحجوب منصة إلا الحقيقة الإنسانية
 صورة ومعنى ؛ لكمال جَمْعِيَّتِهَا ، وتتميمها دائرة الأزلية والأبدية ، والحديث المشير
 بهذا الاتحاد : لا يزال العبد يتقرب إلى النوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له
 سمعاً وبصراً ويداً ولساناً ورجلاً ^(٣) وعبارة التلمسانى فى مقدمة شرحه : نَصُّ
 = الذاكرة ، المنطوية على أحزانها فى كهف الزهد وغاية الحرمان ، يدعو بهذا على
نفسه إن تحول يوماً عما يدين به ، وهو أنه هو الله سبحانه ، أو كما يقول : متى
حلت عن قولى : أنا هى !! وجواب « متى » يدل عليه ما سبق من أول قوله :
 رجعت لأعمال العبادة . . . الخ

(١) فى الأصل : عند . وهى كما أثبتتها فى الديوان .

(٢) أى : رفع كل ما بينهما من فروق ذاتية وصفاتية ، حتى تصير الذاتان ذاتاً
 واحدة هى الحق متلبساً . بصورة خلقية قال الجنيد : ويسمونه سيد الطائفة - ويزعم
 من لا يستبطن خبيثة التصوف : أن تصوف الجنيد أقباس من السنة ، « سمعت
 السرى السقطى يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا »
 بهذا يؤمن الجنيد وخاله السرى السقطى ، والقشبرى ناقل هذا فى رسالته فى باب
 الحب ، فتأمل متى بدأ التصوف ينفت زندقته !! فالجنيد والسقطى من رجال
 القرن الثالث الهجرى . وكلاهما يؤمن أن غاية الحب صيرورة العبد رباً ، حتى يقول
 الرب للعبد ، والعبد للرب : يا أنا !!

(٣) روى الحديث باختصار غل . وليس فى الحديث ذكر كلمة : لسان . وقد =

في المراد ، وهي : « فالسمع والبصر ، وغيرها من الصفات في أى موصوف كان هو الله حقيقة » وسيأتى كلام التشيرى [٧٢] والسهورردى : أن هذا زندقة ، وساق ابن الفارض بعد الأبيات الماضية ما زعم أنه يدل على دعواه الاتحاد وأنه إذا دل على ذلك اتنى الحلول ، فقال :

ولستُ على غيبٍ أحيلُ . لا ، ولا على مستحيلٍ موجبٍ سلبٍ حليتي
وكيف ، وباسم الحق ظلّ تحققى تكون أراجيف الضلالِ مخيفتى ؟
وها دحية^(١) وافى الأمين^(٢) نبينا بصورته في بدءٍ وخي النبوة

== سبق الحديث ويان سنده والرد على ما استنبطه منه الزنادقة . وأنتل لك هنا طرفا مما شرح به ابن قيم الحديث لئلا يرى كيف يفهم المؤمنون ، ويهرف بالزندقة الصوفيون « وخص في الحديث السمع والبصر واليد والرجل بالذكر ، فإن هذه آلات الإدراك وآلات الفعل ، والسمع والبصر يوردان على القلب الإرادة والكرهية ، ويجلبان إليه الحب والبغض ، فتستعمل اليد والرجل ، فإذا كلن سمع العبد بالله وبصره به كان محفوظا في آلات إدراكه ، فكان محفوظا في حبه وبغضه ، فحفظه في بطشه ومشيه ، فمضى كان العبد بالله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف في حقه أمانا ، فبالله يهون كل صعب ، ويسهل كل عسير ، ويقرب كل بعيد ، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم ، فلا هم مع الله ، ولا غم مع الله ، ولا حزن مع الله . ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه في محابه ، حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه ، فقال : « ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذه » أى كما وافقني في مرادى بامتنال أوامرى والتقرب إلى بمحابه ، فأنا أواقفه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعل به ، ويستعذني أن يناله مكروه » اقرأ الشرح كاملا في الجواب الكافي لابن قيم ط السنة المحمدية ص ٢٠٢ وما بعدها

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ، صحابي مشهور . أول مشاهده الحنديق ، وقيل : أحد . كان مضرب المثل في حسن الصورة ، حتى كان جبريل ينزل بصورته . عاش رضى الله عنه إلى خلافة معاوية « أسد الغابة » ، الإصابة ، الاستيعاب .

(٢) جبريل عليه السلام

أَجْبِرِيلُ قُلِّي : كَانَ دَحِيَّةً إِذْ بَدَأَ لِمُهْدَى الْمُهْدَى فِي هَيْئَةٍ بَشَرِيَّةٍ
وَفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِرِيهِ مَزِيَّةٌ بِمَا هَيْئَةُ ^(١) الْمُرْتَبُ مِنْ غَيْرِ مِرْبَةٍ
يَرَى مَلَكًا يُوْحَى إِلَيْهِ ، وَغَيْرُهُ يَرَى رَجُلًا يَرَى لَدَيْهِ لَصْحَبَةٌ
وَلَى مِنْ أَصْحَ الرُّؤْيَتَيْنِ إِشَارَةٌ تَنْزَهُ عَنْ رَأْيِ الْحُلُولِ عَقِيدَتِي

يَدِينُ بِتَلْبَسِ اللَّهِ بِصُورَةِ خَلْقِهِ

قالوا : « إن المراد - كما هو ظاهر جدا - أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة دحية من غير حلول فيه ، ولأجل ظهوره كذلك ادعى أن الله تعالى تجلى بصورة الناظم ، لم يدع حلوله ^(٢) فيه »

(١) ماهية الشيء : حقيقته التي تقال في جواب : ما هو ؟
(٢) مع كفره البين بقياس شأن الله على شأن عبده جبريل ، وحكمه بوقوع تلبس الخالق بصور الخلق ، قياسا على ما وقع لجبريل ، إذ تلبس بصورة دحية .
أقول : مع كفره بهذا ، فالحديث ناطق بالحق يهدم ما بنى ابن الفارض ومخائشه عليه من باطل ، فهو لا يثبت إلا ظهور جبريل بصورة دحية ، فلم يكن ثم - إذأ - ذاتان اتحدت إحداها بالأخرى ، أو صورتان لحقيقة واحدة ، وإنما كان ثم غيران منفصلان تمام الانفصال ، ليسا متحدين ، لا في ذات ، ولا في صفة ، ولا في فعل بل ولا في ماهية أو هوية ، ولكل منهما خصائصه ، ومقوماته وحياته التي لا تشبه الأخرى في أدنى شيء ، أو تقاربها ، كان ثم الحقيقة الملكية ، وكان ثم الحقيقة الآدمية . وهذا تقيض ما يدين به ابن الفارض ، إذ يدين بالوحدة التامة بينه وبين الله في الهوية والماهية والذات والصفة ، يؤمن بأن هذه الكائنات التي لا تنتهي هي عين الذات الإلهية . وأنت - ولا ريب - قد آمنت بأن الحديث حجة عليه لاله . ثانيا : فصل الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو سيد العارفين ، كما يوقنون - بحكمه عن بيئة بين جبريل ، وبين دحية ، وهذا الفصل يقتضى أن ذات جبريل غير ذات دحية ، أعنى يستلزم الفيرية الحقيقية . وابن الفارض يدين بعدم الفيرية ، وينكرها بتاتا . ثالثا : حينما ظهر جبريل بصورة دحية كان ثم أغيار كثيرون حقيقيون غيره . هم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان ثم المكان . =

قال البساطي : لكن دعوى تجلّي الله بصورة ما مكفّر بها ^(١) شرعا
يأجماع المسلمين والكافرين من آمن به ، وإن لم يكن حلولا »
ثم قال ، دالا على أن ما قاله بزعمه في الكتاب والسنة :

وفي الذِّكْرِ ^(٢) ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ
ولم أعُدْ عن حُكْمِي كِتَابٍ وَسَنَةٍ

وشرحه الشراح كلهم بقوله تعالى في الكتاب العزيز (٣٠:٢٨) نُودِيَ مِنْ
شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ : أن ياموسى ، إني أنا الله ^(٣)

= والصوفية يدينون بأنه ما ثم غير من الأغيار ، وإنما الكل عندهم عين الذات .
راجعا : حينما ظهرت الملائكة لإبراهيم الخليل عليه السلام ظنهم رجلا - والعارف
الحق عندهم من لا تحدده الصورة عن الحقيقة - فقدم لهم طعاما ، فلم ينالوا منه
شيئا ، وهذا دليل على أن الملائكة - رغم ظهورهم في صور بشرية - ظلت على
خصائصها الملكية ، ولم تنزل على حكم البشرية ، فتأكل وتشرب ، في حين يدين
الصوفية بأن الله سبحانه عين الماهية والهوية من كل موجود ، وله خصائصه
الحيوانية ، أو الإنسانية ، أو الجمادية ، فيأكل ويشرب ويتزوج وغير ذلك
قال الحافظ ابن حجر في الفتح « والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته
انقلبت رجلا ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه » لكن الصوفية
— يعبر عنها ابن الفارض وابن عربي وغيرهما — تدّين بأن ذات الحق عين الخلق
فيجوز عليها كل ما يجوز عليهم ، فهي حقيقة القاتل من فاعل القتل ، وشارب الخمر
من شاربها ، فما من فاعل يأتي بشيء ، وما من مجرم يقترب إنما إلا وهو الله حقيقة
عند الصوفية ، وتعالى الله الملك الحق عما يصفون !!

(١) سبق ذكر هذا النص وتعليق عليه

(٢) القرآن .

(٣) يفترى الزنديق أن من كلم موسى هي الشجرة ، وأنها كانت هي الله
سبحانه متجليا في صورة شجرة ، ثم يأخذ من هذا الإفك الأثيم دليلا على دعواه ،
وهو تعين الله في صور خلقية ، وتجليه في صورة ابن الفارض ، ورغم هذا البهتان =

وقوله تعالى: (٨ : ١٧ وما رميت - إذ رميت - ولكن الله رمى ^(١))

المجوسى ، فالآية تدمغهم . فإنها تثبت وجود أغيار كثيرة غير الرب الذى ظنوه شجرة . تثبت وجود موسى ، والشاطيء ، والبقعة المباركة ، وابن الفارض ومخائنه يدينون بأنه ماثم غير أبدا ، فعندهم أن الله سبحانه عين كل شيء . وهم يزعمون هنا أن الشجرة وحدها كانت هى الله ، فما استدلوها به يناقض ما يدينون به

(١) يتخذ الصوفية - كدأبهم فى التلبس الزنديقى - من هذه الآية دليلا على أن فعل العبد عين فعل الله ، ليثبتوا من ورائه أن ذات العبد عين ذات الله سبحانه وإليك ما يرد به الإمام ابن تيمية بهتانهم « قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله ، كما تظنه طائفة من الغالطين فإن ذلك لو كان صحيحا ، لكان ينبغى أن يقال لكل أحد حق يقال للماشى : ما مشيت ، ولكن الله مشى ، ويقال مثل ذلك للأكل والشارب والصائم والمصلى ونحو ذلك ، وطرد ذلك يستلزم أن يقال : وما كفرت إذ كفرت ، ولكن الله كفر ، ويقال للكاذب . . . ومن قال هذا فهو ملحد خارج عن العقل والدين . ولكن معنى الآية : أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر رماه ، ولم يكن فى قدرته أن يوصل الرمى إلى جميعهم ، فإنه إذا رماه بالتراب ، وقال : « شأهت الوجوه » ولم يكن فى قدرته أن يوصل ذلك إليهم كآهم ، فالله تعالى أوصل ذلك الرمى إليهم بقدرته يقول : وما أوصلت إذ حذفت ولكن الله أوصل ، فالرمى الذى أثبت ، ليس هو الرمى الذى نفاه عنه ، وهو الإيصال والتبليغ ، وأثبت له الحذف والإلقاء باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل ص ٩٦ ج ١ وأقول : تثبت الآية وجود رام ، وشى ، رمى ، وقوم أصيبوا بما رمى ، فعلى فرض صحة إفسكهم أن الرامى هو الله فى صورة محمد ، فمن هم أولئك الذين رماه الله ؟ وما ذلك الشىء الذى رماه به ؟ أم عين الله ، أم هم غيره ؟ إن قيل بالأول لزمهم كون ربهم من عتاة الجاهلية عباد الصنم ، وأنه غلب على أمره ، وأصيب بما لم يملك له دفعا . وهذا هو إله الصوفية الذى تصنعه الأوهام والشهوات . وإن قيل بالثانى لزم وجود غير ، بل أغيار كثيرة ، وهذا نقيض ما يدعونه ، وهو أن الله سبحانه عين كل شىء ، وتعالى الله عما يصفون

وقوله تعالى : (٤٨ : ١٠ يد الله فوق أيديهم ^(١)) وفي السنة حديث الإنيان
 انى الصورة التى تُنكر يوم القيامة ، ثم فى الصورة التى تُعرف ^(٢) . ثم قال ^(٣) :
 « فلم أنه تعالى يتلبس بأى لباس صورة شاء مما يُعرف ، ومما يُنكر من غير
 حلول ، فكان ظهوره بصورتى جائزا من غير حلول ، فصح بهذا دعوى اتحادى
 مع نفى الحلول » انتهى . وليس وراءه تصريح بالكفر . نسأل الله العافية .
 وقالوا فى شرح البيت الثانى ^(٤) : « إن الحق من أسماء الذات ، ومن اتصف بأسماء

(١) يزعم الصوفية أن قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد
 الله فوق أيديهم » تؤيد بهتانهم فى الاتحاد والوحدة ، وإليك رد الإمام ابن تيمية
 عليهم : « (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) لم يرد به أنك أنت الله ، وإنما أراد
 به أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه ، فمن بايعك ، فقد بايع الله ، كما أن من
 أطاعك فقد أطاع الله ، ومن ظن فى قوله : إن الذين يبايعونك - الآية : أن المراد
 به أن فعلك هو فعل الله ، أو المراد أن الله حال فيك ونحو ذلك فهو مع جهله
 وضلاله بل كفره وإلحاده قد سلب الرسول خاصيته ، وجعله مثل غيره ، وذلك أنه
 لو كان المراد به أى خالق لفعلك ، لكان هنا قدر مشترك بينه وبين سائر الخلق ،
 وكان من بايع أبا جهل فقد بايع الله ، ومن بايع منسلة فقد بايع الله ، ومن بايع
 قادة الأحزاب ، فقد بايع الله ، وعلى هذا التقدير ، فالمبايع هو الله أيضا ، فيكون
 الله قد بايع الله ، إذ الله خالق لهذا ولهذا ، وكذلك إذا قيل بذهب أهل الحلول
 والوحدة والاتحاد ، فإنه عام عندهم فى هذا وهذا ، فيكون الله قد بايع الله ، وهذا
 يقوله كثير من شيوخ هؤلاء الحلولية ، حتى إن أحدهم إذا أمر بقتال العدو ،
 يقول : أأقاتل الله ؟! » باختصار قليل جدا عن مجموعة الرسائل والمسائل
 ص ٩٧ ج ١ .

(٢) سبق ذكر الحديث والرد على استدلال الصوفية به على معتقدم

(٣) أى شارح التائيه

(٤) هذا البيت هو :

وكيف ، وباسم الحق ظل تحققي تكون أراجيف الضلال مخفي

الذات أعلى مِن اتصف بأسماء الصفات ، وقد أخبر عن اتصافه باسم الحق - وهو الثابت بذاته ، الثَّابِتُ لغيره ^(١) - فلا يمكن أن يتغيَّر عما ذهب إليه .

رأى القشيري والسهوردي

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري في شرحه للأسماء الحسنى : « إن العبد لا يجوز أن يتصف بصفات ذات الحق كما زعم بعضهم : أن العبد يكون باقيا ببقاء الحق ، سميعا بسمعه ، بصيرا ببصره ^(٢) ، وهذا خروج عن الدين ، وانسلاخ عن الإسلام بالكلية ، وهذه البدعة أشنع من قول النصارى : إن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى عليه السلام ، وهي توازي قول [٧٣] الخولية »

وقال السهوردي في الباب الحادى والستين من عوارفه في الكلام على الحجة ، ما حاصله : « إن الحجة : التَّخَلُّقُ بأخلاق الله ، ومن ظن من الوصول غير ما ذكرنا ، أو تخايل له غير هذا القدر ، فهو متعرِّضٌ لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت ^(٣) » وقال : « علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة المبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقه ^(٤) »

وحدة الأديان عند ابن الفارض

وعلى هذا الأصل المبحث الخبيث - وهو الاتحاد بين جميع الكائنات ،

(١) من هذا الغير ؟ إن كان خلقا ، فقد أقروا بأن الحق غير الخلق ، وهذا نقيض دعواهم ، وإن كان هو الحق نفسه ، فقد أثبتوا أن ربهم يغير نفسه ، محتاج إلى من يمنحه الثبوت والوجود ، وهذا أيضا نقيض دعواهم ، فهم ينكرون التغيير ، ويسمون الوجود المطلق

(٢) يعنى : ما يدين به الصوفية ، وهو أن سمع الله وبصره عين سمع العبد وبصره ، إذ الحق عندهم عين الخلق

(٣) أنظر ص ٣٥٣ عوارف المعارف ط العلامة ، وقد سبق لنا بيان فرق النصارى .

(٤) ص ٣٦٢ عوارف المعارف

وأنه لا غير ، ولا غيرية في شيء من الوجود - فرَّع صحة كل دين^(١) ؛ لأن الفاعل عنده إما هو الله ، فأبطل دين الإسلام القائل بأن كل ما عداه^(٢) باطل ، فصار المحامي له^(٣) خاذلاً لمن ينصره^(٤) ، فإن من كفر ابن الفارض ساع جهده في نصر دين الإسلام ، وتأيد النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأغلب المحامين له يمتقدون أن دين الإسلام - القائل بضلال ما عداه - هو الحق ، ويسمون في نصر من يُصَوِّب كل ملة ، ويَصَحِّح كل نَحْلَةٍ ، وهم لا يشعرون أنه قال في تصويب جميع الأباطيل . شعر

شعره في وحدة الأديان

وإن عبد النارَ الجوسُ - وما انظفت	كما جاء في الأخبار - من ألف - حِجَّة
فما عبدوا غيري ، وإن كان قصدم	سواي ، وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوءَ نوري مرة ، فتَوَهَّمو	هُ ناراً ، فَضَلُّوا في الهدى بالأشعة
وإن خَرَّ الأَحْجارُ في البَدِّ ^(٥) عاكف	فلا وَجَهَ ^(٦) للانكار بالعصبيَّة
فقد عبد الدينارَ - معني - مُنَزَّة	عن العار بالإشراك ^(٧) بالوثنية

(١) هذا قول حق ، فالصوفية آمنوا بوحدة الأديان - مماويها ووضعها - لإيمانهم بوحدة الوجود ، فرب الصوفية عين السلم وعين المشرك وعين الجوسى ، ولذا قالوا : الإسلام عين الشرك عين المجوسية عين البهائية ، ولذا أيضاً قالوا بنفى العذاب في الآخرة ، إذ الإله لا يمكن أن يعذب نفسه ١١ .

(٢) في الأصل : عدا

(٣) أى : لابن الفارض

(٤) أى : لمن ينصر الإسلام

(٥) بهامش الأصل « البد » : بيت الأصنام وهو صحيح

(٦) في الأصل : فلا تعد بالإنكار ، وهى كما في الديوان

(٧) في الأصل : في الإشراك

وإن نار بالتزليل محرابٌ مسجد فما بار بالإنجيل هيكلاً بيّنة
وأسفارُ توراة السكليم لقومه يُنَاجِي بها الأحبارُ في كل ليلة
وما احتار من الشمس - عن غيرة^(١) - صَبَا

وإشراقها من نور إسفارِ غُورِي
وقد بَلَغَ الإِندَارُ عَنِي^(٢) مَنْ بَنَى وقامت بي^(٣) الأعدارُ في كل فِرْقَةٍ
فما زَاغَتِ الأبصارُ من كل مِلَّةٍ ولا راغَتِ الأفكارُ في كل مِحْلَةٍ

قال شراحه : « إنه مَهَّدَ في هذه الآيات أعذار كلِّ فرقة ، وأن كل صاحب مِلَّةٍ ومِحْلَةٍ - وإن بطل سعيه - على نصيب من الهدى ، فَعَبَادُ النارِ غيرُ مؤاخذين من جميع الوجوه ، بل من وَجْهِ دون وجه ، ولا لوم على أحد ، بل لكل واحدٍ وجهٌ ، ومَحْمَلٌ خيرٌ يُحْمَلُ عليه ، فَكُلٌّ يَعْمَلُ على شاكلته ، وكذا عابد الأصنام . قالوا : لا تُنْكِرْ عليه ، فإن أنكرت ، لم يكن إنكارك إلا تعصبا ؛ لأنك لا تنكر على المُقْبِلِ على الدنيا ، مع أنه أقوى شِرْكاً من عابد الصنم - وقالوا - : كما أن القرآن نور المساجد ، فكذلك الإنجيل نور المعابد - وقالوا نحو هذا في التوراة ، وفي عابد الشمس : إنه بإثباته عينَ الألوهية لم يكن ناقصا ، فقام له عذر من وجه من الوجوه . وذلك كافٍ للكريم » ولا يقول بشيء من هذا مسلم^(٤)

معاندته للتوحيد الحق

وقد عاند التوحيد الحق في قوله :

(١) في الأصل : غيره

(٢) ، (٣) في الأصل : منى - به

(٤) بل لا يقول به يهودى أو نصرانى ، والبهائية على خيبت معتقدهم ، ورغم

أنهم امتداد للصوفية لا يقولون بهذا . وإنما القائل به في كل أمة هم الصوفية

ولو أننى وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ^(١) وَأَسْلَخْتُ مَنْ مَنِ آيَ جَعَى مُشْرِكًا بِي صَنَعْتُ

قالوا فى شرحه : « لو أننى أثبت وحدة الذات الحق المطلوب الحبوب ، ونَفَيْتُ كَثْرَةَ نِسْبِهِ عَنْهُ ، كما أثبتت ونفت المُنَزَّهَةَ^(٢) ، وبعضُ الفلاسفة ، لَكُنْتُ مَائِلا عَنْ سَنَنِ الاستقامة ؛ لأننى أثبت لنفسى وغيرى وجوداً يقابل وجودَ الحق » وهذا عين الإلحاد والشرك ، فليس وراء هذا كفر ، فإن كان هذا مما يفهمه المنازع^(٣) ، كما يفهم الذابُّ عن الشارع ، فقد علم منابذته لله ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لا يفهمه ، ويدعى أن له معنى حسناً ، فيكفيه أنه يخوض بالجهل فيما هو أخطر الأشياء ، وهو أصول الدين الذى فى الزَّلَّةِ فيه ذهابُ الروح والدين ، وهو معانِدٌ بمنازعته لقوله تعالى : (٦٦:٣) هَاتِمٌ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلَمْ تُحَاجُّوهُمْ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، (١٦٨:٢) ، (١٦٩) وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ، (٣٣:٧) قل : إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

(١) يرى فى التوحيد الحق الذى جاء به الرسل جميعا عن الله أنه إلحاد ، وهذا هو دين الصوفية سلفهم وخلفهم ، ألا تسمع عواء الصوفية تحت قباب الطواغيت ، وهم يقيثون صلوات ابن بشيش التى يقول فيها : « زج بى فى بحار الأحدية ، وانشأنى من أحوال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها » يرون توحيد الرسل أحوالا من الطين ، ويدعون الله أن ينشلهم منها ؟ متى يدعون ، والليل لما يهتك كله السحر عن مهده !! هذا لأن التوحيد الحق يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، أما الصوفية فيدعون أن يكون حتى الدراويش منهم أربابا وآلهة ، وهذا معنى قولهم : « وأغرقنى فى عين بحر الوحدة » بل يريدون أن يكونوا وجودا مطلقا « وزج بى فى بحار الأحدية »

(٢) الذين ينزهون الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، ويشبتون له سبحانه ما أثبت لنفسه من صفات .

(٣) أى : المنازع فى كفر ابن الفارض

وما بطن. ، والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (١٧ : ٣٦)
ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولاً) .

ويكون ^(١) تابعاً لمجرد العصية ، وحمية الجاهلية ، مع أنك لا تجد من
يحامى عنه إلا منهمكا في الفسوق والبغى والعقوق ، أو قريبا منه ، تبعاً له في قوله :

دعوته إلى المجون

وينيبك عن شأني الوليد وإن نشأ بليداً يالهام كوحى وفطنة
ويعرب عن حال السماع بحاله فيثبت للرقص انتفاء النقيصة
ولا تك باللاهي عن اللهو جملة فهزلُ الملاهي جدُّ نفسٍ مُجَدَّة
وإياك والإعراض عن كل صورة مُمَوَّهَةٍ ، أو حالة مستحيلة

قالوا في شرحه : « إن الطفل يبين بحاله من الإصباء إلى المناغى عن حال
أهل السماع والرقص ، فيثبت بهذا انتفاء النقص خلافا لما قاله المحجوبون ، ولما
كان سماع الطفل ورقصه بريئاً عن الشهوة والرثاء ^(٢) كان مُعْرِباً عن صحة حال
سماع الواجدين ، ورقصهم ^(٣) وهزل الملاهي جدُّ نفسٍ مُجَدَّة ، فلا تسكن غافلاً

(١) أى : المنازع في كفر ابن الفارض ، وهو معطوف على قوله قبل : يخوض بالجهل

(٢) في الأصل : الرثاء

(٣) يدعو ابن الفارض — متوهج المجون — إلى إلهاب شهوات النفس ،

واستشارة غرائزها الجائعة بالرقص العرييد والغناء الطافح بالشهوة ، وبلغ في هذه
الدعوة الآثمة ، إذ الرقص في دينه معارج الروح إلى أفق رحمت ملكوت
الأحدية !! ، بل يوقن أن الرقص والغناء فيض إلهي يجب أن تتلقاه أرواح
العارفين بالبهجة والنشوة !! وأمس كان يدعو عبد المرأة والشهوات إلى مثل هذا
فيسنكر منهم هذا الإثم بعض العلماء ، وتشور بها بعض الجماعات الدينية ، بل
— وأعجب معنى — بعض الصوفية ، غير أنهم — إذا قيل لهم : إن ابن الفارض =

عنه ، فإنه فائض من الأسماء الإلهية ، وما يفيض من الحق إلا ما هو حق لا باطل .

الباطل إله الصوفية

ولذلك قال ابن عربي « لا تنكر الباطل في طوره ، فإنه بعض ظهوراته »^(١)
فقد أفاد هذا أنهم يعتقدون : أن الباطل هو الله ، ولو لم يكن في هذا إلا أنه^(٢)
يدعو إلى البطالة والخلاعة والضلالة ، لكان كافياً في استهجانه [٧٥] ومناذته
للدين .

وقد نقل شيخنا حافظ العصر ابن حجر في لسان الميزان أنه كان لهذا الناظم
جوارٍ في البهيسة موظفات للقضاء والضرب بالآلات الملاحى ، وكلما ماتت واحدة
منهن اشترى بدلها أخرى ، وكان يذهب إليهن في بعض الأوقات ، فيسمعن ،
ويرقص على غنائهن ، ويرجع^(٣) .

المناضل عن ابن الفارض

فالمناضل عنه مسارع إلى شكله ، ومضارع لمن كان فعله كفعله ، كما قال على

= شيطان هؤلاء ، وداعيتهم إلى التلطيخ بهذه الرذعة — أقلقوا مضاجع الليل
بالاستغفار أن ذكر سلطان العاشقين أمامهم بسوء !! في حين أن دعوته أدهى شراً
مما يدعو إليه المجان عبيد القواني ، فهو يصور الرقص تنفث به المرأة سم الجريمة ،
والقضاء تجاوب معه أحط الفرائز ، والعشق يرويه دم الأعراض ، يصور كل هذه
الموبقات على أنها سبحات الإشراف الأسمى ، وفيض إلهي يصل العارف بالملأ الأعلى
يجعل اقتراف ذلك الإثم مظاهر تبذل ، ومحراب تأله وتعبد ، على حين يصفها المجان
بأنها علام حاضرة ، ودلائل مدنية !! فأى الدعوتين أطفى شراً ، وأخبث كفراً !!

(١) أى : بعض تعينات الإله الصوفي

(٢) يعنى : ابن الفارض

(٣) ذكر الحافظ في اللسان : أنه نقل هذا عن كتاب التوحيد للشيخ عبد

القادر القوصى .

رضى الله عنه بعد قدومه الكوفة بثلاثة أيام : « قد عرفنا خياركم من شراركم ، قالوا : كيف ؟ ومالك عندنا إلا ثلاثة أيام ! قال : كان معنا خيار وشرار ، فانضم خيارنا إلى خياركم ، وشرارنا إلى شراركم » وحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ^(١) » الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أعدل شاهد لذلك ويتعين على كل مسلم إنكار ما أنكره الشرع من مثل هذا .

قوله يوجب إراقة دمه

وقد اعترف هو أن ما قاله موجب لإراقة الدم ، وأنه قاله في الصحو والإفاقة لا في السكر والجذبة ، قال :

وَنَمَّ أُمُورٌ تَمَّ لِي كَشْفُ سِتْرِهَا بَصَحُو مُفِيقٍ عَنْ سِوَايَ تَفَطَّتْ
بِهَا لَمْ يَبْخُ مِنْ لَمْ يَبْخُ دَمُهُ فِي الْإِ شَارَةَ مَعْنَى مَا الْعِبَارَةُ حَدَّتْ

قالوا في شرحه : « أى انكشفت لى أمور وأسرار بواسطة الصحو الذى حصل لى بعد السكر والإفاقة ، وهى متغطية عن غبرى من المحجوبين . ، ولم يظهر تلك الأسرار إلا من أباح دمه للمحجوبين ^(٢) ، فإنهم يقتلون العارفين الذين باحوا بأسرار التوحيد ^(٣) » وصّرح بأن مايقوله حقيقة لا مجاز ، فقال : عليها مجازي سلاى ، فإنما ^(٤) حقيقته : مَنَى عَلَى نَحِيْقَى

(١) نص الحديث : « الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ولم يروه الشيخان — كما ذكر — عن أبي هريرة ، وإنما رواه عنه مسلم وأبو داود ، أما البخارى ، فرواه عن عائشة رضى الله عنها
(٢) يعنى : المتصمين بكتاب الله ، والمستمسكين بظواهر الشريعة المؤمنين بالله وحده ربا ، وبالحلقى عبيدا لله رب العالمين

(٣) أسرار التوحيد عندهم : اعتقاد أن الله سبحانه عين خلقه ، وعن هذه المرتبة يقول الغزالي : إنها سر ، وإفشاء سر للمربوية كفر !
(٤) فى الأصل : لإنما ، وهى فى الديوان كما أثبتها

قال الشراح : « أى على حضرة المحبوبة سلامى فى قولى : التحيات إلى آخره - مجاز لأنها عيى ، لا غيرى ، لحقيقة السلام منى ، وإلى » وقد متلوا كون التشخص مجازيا ، والإطلاق حقيقيا بأن الروح السكلى الذى هو الإله عندهم كالبحر ، والأشخاص الناشئة منه مثل البخار الصاعد من صورته البخارية ثم فى صورة السحابية ، ثم يرجع إلى الماء ، ويختلط بالبحر ، فيصير إياه ، وهو بخار وسحاب حقيقة ، وتلك الصورة العارضة مجاز ^(١) !!

فأين هذا الانهماك فى اللذة قولاً وفعلًا ، والانتقاد للهوى عقداً وحلاً ، من رتبة الولاية التى يدعيها المتعصبون له ، التى من شرطها الإعراض عن الانهماك فى اللذات الدنيوية ومن رتبة الولاية التى يدعيها هو ؟!

(١) مراده من هذا : إثبات أن المغايرة بين الحق والخلق مغايرة وهمية ، أو إسمية ، أو صورية ، ويشبهها بالمغايرة بين الماء المطلق ، وبينه فى حال تعينه بصورة بخارية ، أو سحابية . فالكل حقيقة واحدة ، هى الماء ، ولكنها تعينت مرة فى صورة بخار ، وأخرى فى صورة سحاب ، وكذلك الذات الإلهية عندهم ، فإنها هى وذوات الخلق واحد فى الحقيقة ، كثير بالاعتبار ، فهوية الحق قبل التعين تسمى وجوداً مطلقاً ، أو حقاً ، ثم سميت خلقاً بعد التعين . فهما واحد فى الحقيقة ، غيران بالنسب والإضافات . يقول التلمسانى :

البحر لا شك عندى فى توحيده وإن تصدد بالأمواج والزبد
فلا يفرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب سارى العين فى العدد

وأقول : هذا المثل حجة على الصوفية ، فاللأى لا يصير بخاراً من نفسه ، بل بتأثير شئ آخر خارج عنه يخالفه فى حقيقته : هو الحرارة ، وكذلك فى صيرورته سحاباً ، فالمؤثر فى هذه الصيرورة شئ غير الماء يخالفه فى الحقيقة ، فالمثل إذاً يثبت وجود غيرين هما غير الماء حقيقة وصورة . والصوفية ينكرون الفرية والكثرة ، والمثل كما رأيت يثبتهما ، ويثبت أيضاً أن الماء فى صيروراته يخضع لمؤثر خارجى ، وهذا يستلزم كون رب الصوفية يتأثر بغير حقيقى خارجى . فما ذلك المؤثر ، أو من هو ؟

ومن هنا تعلم أنهم^(١) لا أرضوه ، ولا أرضوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحداً من المؤمنين ، فإنه هو لا يرضى إلا أن يكون خليفاً ، وهم يقولون : متقيد ، وهو يقول : إن ما قاله مبيح للدم ، وهم يقولون : لا يبيحه ، وهو يقول : إنه عاقل صاح ، وهم يقولون : مجنون [٧٦] سكران ، وهو يقول : إن ما قاله : حقيقة ، وهم يقولون : مجازاً^(٢) ، ولا يقدر على تخريجه على المجاز وهو لا يرضى إلا أن يكون هو الله ، وينهى عن ذكره بتغيير .

لماذا يزجر عن تكنيته بكنية ، أو تلقبيه بلقب

وَأَلْفَ الْكُنَى عَنِ وَلَا تَلْعُ الْكُنَى^(٣) بها ، فهي من آثار صيغة صَنَعَتِ^(٤)

وعن لقبي بالعارف ارجع فإن ترى الله

سَمَابِدَ بِالْأَلْفِ سَابَ فِي الذِّكْرِ تُمَقَّتْ

قال شراحها : « أى أسقط الـكُنَى عَنِ ، ولا تستعمل اللغو في إطلاقها على حال كونك عِيّاً^(٥) عن الكلام في تعريف مقامى ، فإنها من آثار مصنوعاتى ، إذ الإنسان صاغها ، وهو من جملة مصنوعاتى التى أوجدتها ، وارجع عن إطلاقك على اسم العارف ؛ لاتحادى بذات من لا يُطلق عليه هذا الاسم . »

فلم يدع جهداً في زجرهم عن تسميته بالعارف ، ولم يدع النبى صلى الله عليه وسلم لبساً في أمرهم بتكفيره ، وهم^(٦) يعصون كلاً من الأمرين ،

(١) يعنى : شارح التائيه

(٢) الحق أن أكثر الشراح للتائيه يدينون بأن قول ابن الفارض في الاتحاد والوحدة حقيقى ، لا مجازى . والقائلون بالمجاز قلة من مناقضى الصوفية خشية على السحت القدى يأكلون به مال اليتامى والأيتامى

(٣) يقصد : الإنسان

(٤) لا تلغ : لا تكلم باللغو . والألكن : الثقيل اللسان فى التكلم

(٥) فى الأصل : عيباً

(٦) أى : أتباع ابن الفارض

ولا يرجعون عن شيء من المنهين ، فيا خسارتهم بما ضرُّوا به أنفسهم فيما لا ينفعهم ، كما قال تعالى فيمن يعبد الله على حَرْفٍ : (٢٢ : ١٣ ، ١٣) يدعو من دون الله مالا يضره ، وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه . لبئس المولى ، ولبئس المشير)

زعمه أنه عرج إلى السماء

وادعى العروج إلى الله ، والوصول إلى مقام : أو أدنى ^(١) ، فقال :
ومن أنا إياها ، إلى حيث لا إلى عرجتُ ، وعَطَّرْتُ الوجود برجعتي
قالوا في شرحه : « عرجت من مقام : أنا إياها - وهو ابتداء الاتحاد -
ومن قولهم : أنا الحق ^(٢) ، ولا إله إلا أنا فاعبدني ^(٣) ، إلى أن وصلتُ إلى مقام
لأنهاية فيه ، وعطر الوجود برجوعه ، لاتصافه بصفات الرحمن ^(٤) ، واتحاده .
بذات الملك الديان »

(١) يقرر المؤلف ما زعمه ابن الفارض من العروج إلى السماء ، ووصوله إلى مقام «أو أدنى» المشار إليه بقوله تعالى : «فكان قاب قوسين ، أو أدنى» ويعنى به ابن الفارض : الدنو من الله ، لا من جبريل كما هو الحق . والكمشخاني الصوفي يشرح هذا المقام في كتابه : جامع الأصول في الأولياء ، فيقول : « هو مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء في الأمر الإلهي ، المسمى : بدائرة الوجود ، كالإبداء والإعادة والعروج والقابلية ، وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التمييز والإنشائية الاعتبارية . هناك الفناء المحض ، والطمس الكلي للرسوم كلها » ومن هنا تدرك لم ادعى ابن الفارض أنه وصل إلى هذا المقام ثم رجع منه ، إذ لم يرتض حتى الإنشائية الاعتبارية ، أو بقاء التمييز بينه وبين الله سبحانه بوجه ما . وكيف يرتضيه وهو يفترى أنه هو الله ذاتا وصفة وخلقا ؟ !

(٢) كفر الحلاج

(٣) قول طيفور الشهير بالبسطامي عن نفسه

(٤) يزعم أنه عاد من مقام أو أدنى - وقد ذكرت مرادهم منه - رحمانا . =

والبيت الذى بعده أشد كفراً^(١) ، ثم قال :

ولى عن مُفِيضِ الْجَمْعِ عِنْدَ سَلَامِهِ عَلَيَّ : يَاؤُ أَذْنَى إِشَارَةِ نِسْبَةٍ
قالوا فى شرحه : « إنه لما فُتِنَ فى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بقى به حِصَّة
بمشاركته فى قبول عين السلام من حيث عين ذلك المقام - وهو مقام : أو أدنى -

== وقد اختاروا تسميته بهذا الاسم بالذات ، لأن الرحمن عندهم : « اسم الحق باعتبار
الجمعية الأسمائية التى فى الحضرة الإلهية : الفاض منها الوجود وبقية الكيالات على
جميع الممكنات » فهو مرادف للوجود المطلق ، وقد سبق البيت الذى نقله المؤلف
عن ابن عربى من الفصوص ، والذى يقول فيه :

فكُنْ حَقًّا ، وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا

وهكذا يتغالى الصوفية فى الزندقة حتى ليأبى الواحد منهم أن يقال عنه : إنه إله
تعين فى صورة خلقية ، ولا يجب إلا أن يقال عنه : إنه هو الوجود المطلق ، أو هوية
الحق قبل أن تتعين فى شئ ما ، حتى فى الحقيقة المحمدية !!

(١) هذا البيت هو

وعن أنا ، إياى لباطن حكمة وظاهر أحكام أقيمت لدعوتى

ويريد الزنديق بهذا : أنه نال كل مراتب التوحيد ، حتى بلغ المرتبة الأخيرة منه
فالأولى : فناء عين التفرقة وبقاء أثرها . وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا الحق ،
أو أنا الله . ولكن هذه قضية ذات محمول وموضوع ، والحمل يستلزم الإثنية
نعم هو حمل صورى لأن المحمول عين الموضوع . ولكن اختلاف لفظيهما يوم
القبورية . لذا يرفض الزنديق هذه المرتبة . الثانية : فناء التفرقة عينا وأثرا .
وصاحب هذه المرتبة يقول : أنا أنا . ولكن ما زال ثم قضية فيها محمول وموضوع
ولذا يرفض الزنديق هذه المرتبة أيضا . الأخيرة : وهذه لا تسعف فيها العبارة ،
ولا توهم إلهيا إشارة ، وغاية ما يستطيع العارف عندهم هو أن يقول عن نفسه :
أنا فحسب ، غير مدرك بإدراك ما ، ولا شاعر بشعور ما : أن هنالك ما يمكن أن
يحمل عليه ، أو يوضع له ، إذ ما ثم غير ولا سوى . هذا هو مراد الزنديق . غير
أنه يزعم أنه رضى وتنزل إلى مرتبة التعين فى الحلق ، ليرز مكنون قدرته ،
وإمكانات وجوده المطلق الأول

فإنه جلّ جناب هذا المقام من أن يَطْلُع عليه إلا واحدٌ بعد واحد ، فالواحد السابق هو صلى الله عليه وسلم ، والواحد اللاحق به : (١) أنا إن شاء الله تعالى من جهة غرق في لجّيته « انتهى .

وقال عياض في أواخر الشفاء : وكذلك - أى يكفر - من ادّعى مجالسة الله تعالى ، والمروج إليه ، ومكالمته ، أو حلوله في أحد الأشخاص ، كقول بعض المتصوفة (٢) .

لا شيء على من يكفر ابن الفارض

وأما من أنكر عليه لأمثال ما رأيته من الألفاظ الصريحة بالنص في الكفر ، فلا شيء عليه بإجماع المسلمين بقاعدة من كَفَرَّ مسلماً مُتَأَوِّلاً ، فلا أضل ممن ترك طريقاً مضمون السلامة ، واتبع طريقاً أخف أحواله أنه مظنون العطب والملازمة [٧٧] . ودَرَّه المفاصد أولى من جلب المصالح ، على تقدير تسليم أن يكون لهم فيما هم فيه مصلحة ، وليس فيه - والله - مصلحة بوجه ، فقد اعترف كل من يحامى له أن ظاهر كلامه منابذٌ للكتاب والسنة ، وإلا لما احتاجوا إلى ادعاء تأويله ، مع أن الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ما سلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه (٣) - قد أنكر التأويل لفير كلام المعصوم (٤) ، ومنع منه رضى الله عنه ، وأرضاه ، وأهلك كل

(١) يعنى : ابن الفارض لأنه يتكلم بلسانه

(٢) نص ٢٩٨ ج ٢ الشفاء ط تركيا

(٣) إشارة إلى الحديث المتفق عليه بين البخارى ومسلم ، وفيه : أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال لعمر : «إيها يا ابن الخطاب !! والذى نفسى بيده ، ما ليقك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فحك» والفج : الطريق الواسع ، أو المكان المنخرق بين الجبلين

(٤) بل ما ثبت عن عمر ، ولا عن غيره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان =

من خالفه ، وأرداه ، وبسيف الشرع قتله وأخزاه ، فقال فيما رواه عنه البخارى فى كتاب الشهادات من صحيحه : « إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فن أظهر خيرا أمئنا ، وقر بناه ، وليس إلينا من سريره شيء ، والله يحاسبه فى سريره . ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ، ولم نصدقه ، وإن قال : إن سريره حسنة . » وقد أخذ هذا الأثر الصوفية ، وأصلوا عليه طريقهم . منهم صاحب العوارف استشهد به فى عوارفه ، وجعله من أعظم معارفه ، فن خالف الفاروق رضى الله عنه كان أخف أحواله أن يكون رافضيا خبيثا ، وأقلها أن يكون كفاراً عنيدا ، وهذا الذى سماه الفاروق رضى الله عنه : ظاهرا هو الذى يُعَرَّف فى لسان المشرعة بالصریح ، وهو ما قابل النص والكناية والتعريض ، وقد تبع الفاروق رضى الله على ذلك — بعد الصوفية — سائر العلماء ، لم يخالف منهم أحد كما نقله إمام الحرمين ^(١) عن الأصوليين كافة ، وتبعه الفرزلى ، وتبعها الناس . وقال الحافظ زين الدين العراقي أنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح ، وكذا قال الإمام أبو عمرو ابن عبد البر ^(٢) فى التمهيد ، وأصله إمامنا الشافعى رضى الله فى كتاب

== تأويلهم لشيء ما من كلام المعصوم ، وإنما كان الجميع يفهمون ما جاءهم عن الله ورسوله بمعانيه التى هى له فى لغة العرب ، لا بما اصطلحت عليه الفلسفة أو التصوف أو الكلام . فما عرف شيء من هذه الضلالات ، ولا فى عهد أمهائه . وقريب من الذكر تلك الضربات الهادية الشافية التى أنزلها عمر على رأس من جاء يسأله عن معنى الذنابات ، إذ استشعر من وراء السؤال فكرا يهمس فيه الشك

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى من زعماء الأشاعرة . ولد سنة ٤١٩ هـ ولقب بإمام الحرمين . لأنه جاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفقى . توفى سنة ٤٧٨ هـ

(٢) هو يوسف بن عبد البر بن محمد حافظ المغرب . قال عنه ابن حزم « لأعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله . » ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ

الرسالة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إليَّ ، ولعل أحكم أن يكون ألحن »^(١) بحجته ، فأقضى له « الحديث رواه الستة عن أم سلمة رضى الله عنها فى أمثال كثيرة ، وقال الأصوليون : « كافة التأويل - إن كان لغير دليل - كان لعبا ، وما يُنسب إلى بعض المذاهب من تأويل ما هو ظاهر فى الكفر ، فكذبٌ ، أو غلطٌ منشؤه سوء الفهم ، كما بينت ذلك بيانا شافيا فى غير هذه الرسالة ، وإنما أولنا كلام المصوم »^(٢) ، لأنه لا يجوز عليه الخطأ ، وأما غيره ، فيجوز عليه الخطأ سهوا وعدا .

المتوقف فى تكفير الصوفية

ولا يسع أحدا أن يقول : أنا واقف ، أو ساكت لا أثبت ، ولا أنفى ؛ لأن ذلك يقتضى الكفر ؛ لأن الكافر من أنكر ما عُلِمَ من الدين بالضرورة . ومن شك فى كفرٍ مثل هذا كفر [٧٨] ولهذا قال ابن القري فى مختصر الروضة : « من شك فى اليهود والنصارى وطائفة [ابن^(٣)] عربى فهو كافر » .

وحكى القاضى عياض فى الباب الثانى من القسم الرابع من الشفاء : « الإجماع على كفر من لم يُكفر أحدا من النصارى واليهود ، وكل من فارق

(١) أى : أظن لها ، ونص الحديث : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليَّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشئ ، فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » فأين من هذا الهدى والحق ضلال الصوفية وباطلهم . إذ يزعمون أن حقائق الأشياء تنكشف لهم على ما هى عليه ، وأنهم يتصرفون فى البواطن ، وأن شيوخهم يتكلمون عن سرائر دراويشهم وهم ساكتون ؟

(٢) هذا على دين من يأخذون بالتأويل ممن يجعلون العقل حاكما على النقل ، وقد سبق الرد على هذا

(٣) ليست بالأصل والسياق يوجبها

دين المسلمين ، أو وقف في تكفيرهم ، أو شك . قال القاضي أبو بكر : لأن التوقيف والإجماع [اتفاقاً ^(١)] على كفرهم ، فمن وقف في ذلك ، فقد كذب النص أو ^(٢) التوقيف ، أو شك [فيه ^(٣)] والتكذيب ، أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر ^(٤) انتهى .

وقال الإمام حافظ الدين النسفي في كتابه العمدة في أصول الدين : « التوقف باطل ؛ لانتزاعه الشك ، والشك فيما يفترض اعتقاده كالإنكار » ومن العجب أنهم يعاندوننا ، لأننا لا نُؤوِّل لمن يجوز عليه الزلل ، وينصرون من يتعصبون له ، وهو ^(٥) لا يؤول التشابه من كلام المعصوم ، بل يجريه على ظاهره ^(٦) خلافاً لإجماع الأمة ^(٧) مع تأدية ذلك إلى إبطال الشرع ، ويدعون

(١) ، (٣) ساقطتان من الأصل ، وأثبتهما عن الشفاء

(٢) في الأصل : و . وهي في الشفاء كما أثبتنا

(٤) ص ٢٦٧ ج ٢ الشفاء

(٥) يعنى : ابن الفارض

(٦) كان واجباً أن يقول : بل يجريه على ما يشهد الحس له من مظاهر بالنسبة إلى الخلق ، أو على ما يشاء الهوى الصوفى ، فابن الفارض — كسلك صوفى — لا يقترب هذا ، فحسب ، بل يجرد اللفظ من دلالة ومعناه في العربية ، ويفترى له معنى يهدف به إلى مساندة زندقته ، وأحياناً يفصل بعض أجزاء الكلام عن بعض كمن يفصل « لا إله » عن « إلا الله » . وأحياناً يقيس شأن الخلاق الخبير على شأن خلقه ، ويحكم على الرب بما يحكم به على العبد ، ومثاله ما افتراء من أن الله سبحانه يتلبس بصور الخلق قياساً على شأن جبريل حين ظهر بصورة دحية والأعرابي . هذا بعض ما يمسخ به الصوفية وجه الحق !!

(٧) قوله هذا يخاف الحق ، ويحانب الصواب ، فالإجماع الذى يعتد به — إن كان لا يبع النص إجماع — هو إجماع الصحابة والتابعين . وقد أجمع هؤلاء جميعاً — ومن بعدهم الأئمة المهتدون — على إجراء ما تلقوه عن الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره ، أى على ماله من دلالة ومعنى في العربية ، إذ لا يراد بالظاهر غير هذا ، أما أن يراد بالظاهر كلفياته الحسية ، فهذا ليس من

الإسلام ، فأحقهم بقوله تعالى : (٤ : ٨٨ ، ٨٩ فما لكم في المناقنين فئتين ، والله أركسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ؟ ومن يضل له ، قلن تجده له سبيلا . وذكروا لو تكفرون كما كفروا ، فتكونون سواء) إلى هذا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلام حملة ^(١) شريعته من الصحابة والتابعين لم بإحسان رضى الله عنهم دَعَوْنَا (٤١ : ٢٢) ومن أَحْسَنُ نَوَلاَ يَمِّنْ دعا إلى الله ، وعمل صالحا ، وقال : إنا من المسلمين ؟) .

الرأى في شعر ابن الفارض

وأما المحامون له ، فإنهم داعون إلى شاعر لم يؤثر عنه قط شيء غير ديوان شعر لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه بقصيدة واحدة ، بل هو كُفِرَ وضلالة وخلاعة وبطالة ، وقد علم دَمَ الله ، وذنم رسوله صلى الله عليه وسلم للشعر والشعراء إذا كان حالهم مثل هذا ، كما قال تعالى : (٢٦ : ٢٢٤ - ٢٢٧) والشعراء يتبعهم الغادون . ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظَلَمُوا ، وسيعلم الذين ظلموا أى مُنْقَلَبٍ ينقلبون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم - كما رواه الستة عن ابن عمر رضى الله عنهما : « لأن يمتلى جوف أحدكم قبيحا [حتى يَرِيَهُ ^(٢)] خير من أن يمتلى شعرا ^(٣) » وذلك إذا انفرد بالشعر

= دين أهل الحق ، ولا من الحق في شيء . أقول هذا لأن البقاعى يعنى بالمشابهة آيات الصفات وأحاديثها ، وهذا رأى ساقط الاعتبار ، لم يدين به إلا عبيد الفلسفة ومخانيث الكلام

(١) في الأصل : جملة ، والسياق يوجب ما أثبتته

(٢) يرى من الورى ، وهو داء يفسد الجوف . وهذه الزيادة لم ترد في رواية أبى داود . . وهى كذلك ساقطة من الأصل

(٣) لم يروه الستة عن ابن عمر ، وإنما رواه البخارى عنه ، ورواه الشيخان =

كهذا الرجل ، فإنه ليس له شيء ينفع الدين أصلاً ، وليس له من الشر إلا ما عادى به الإسلام ، وأهله ، وأذاهم غاية الأذى ، وأوقع به بينهم ^(١) العداوة والبغضاء ؛ لأنه ملأه كفراً وخلاعة ، وصداً عن الدين وشناعة ، فقد حادَّ به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى : (٥٨ : ٢٢) لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حادَّ الله ورسوله [٧٩] ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروحٍ منه) . فنحن في غاية السلامة ، إن شاء الله تعالى ، لما قدمت . وأما من يحامى عنه ، فهو دائر بين اعتقاد ما تضمنه كلامه ، وذلك هو الكفر الموجب للسيف في الدنيا ، والخلود في النار في الآخرة ، وبين الذنب ^(٢) عنه مع الجهل لما قال ، وذلك موجب لموادة من حادَّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الموجبة لعداوتها الجارية إلى كل شقاء .

== وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة . والمقصود والله أعلم : الشر الذى يمجذ الرذيلة ، ويفسد الخلق والدين ، وينابذ القيم الروحية ، ويصرف النفس عن الحق من الكتاب والسنة . أما الشر الذى يستلهم الإيمان والحكمة ، ويصور المثل العليا ، ويمجد قيم الحق والخير والحب ، ويستحث النفوس على الجهاد فى سبيل الحق . هذا الشر من هواتف النفس المؤمنة ، وليس بذى مذمة ولا مبغضة ، ودليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن من الشر حكمة » رواه البخارى وأبو داود عن أبى بن كعب ، ورواه الترمذى عن ابن مسعود ، وأيضاً ما روته عائشة رضى الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع لسان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائماً ، ينافع عن رسول الله ، ثم يقول : إن الله يؤيد حسناً يروح القدس مانافح - أو فاخر - عن رسول الله » أخرجه البخارى - واللفظ له - وأبو داود والترمذى ، كلهم عن عائشة رضى الله عنها

(١) يعنى : بين المسلمين

(٢) فى الأصل : الذنب . والسياق يوجب ما أثبت

تواتر الخبر بتكفير العلماء له

هذا مستندنا ، وهو قطعي^(١) من جميع وجوهه ، تواتر لنا تواتراً معنوياً نسبة العلماء له إلى الكفر ، وتواتراً حقيقياً أن التائيه نظمه ، ونحن على القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات ، وما يتبع ذلك من تصويب جميع المَلَل والنَحْل إن لم يكن نصاً فيه ، وعلى القطع بأن ذلك كُفْرٌ ، والقائل به كافر ، وقد انتقيت من التائية ما يقارب أربع مائة وخمسين بيتاً شهد شراحها البررة والكفرة أن مراده منها صريح الاتحاد ، وما تفرع عليه من تصويب جميع الأباطيل في مجلد سمّيته الفارض^(٢) .

(١) في الأصل : قطعي . وهو خطأ في النحو

(٢) ورد بهامش الأصل ما يأتي : « قال المصنف رحمه الله في كتابه : الفارض في تكفير ابن الفارض : ثم إنه لا ينبغي الاعتراض بما قاله ابن بنته في ديباجة الديوان فإنه رجل مجهول لا تقبل روايته ، ولا سيما وهو يشهد بحجده ، ولا سيما إذا كانت شهادته مخالفة بشهادة الأئمة بكفره ، وعلى تقدير صحة ذلك لا يدل على صلاح إلا إن كان الجارى ذلك على يده متابعاً للكتاب والسنة ، فإن الخوارق ربما كانت لكفره امتحاناً من الله لعباده ، وينبغي لكل مسلم أن يجعل قصة الدجال نصب عينيه ، فإنه يظهر على يديه من الخوارق شيء كثير مع علمنا بأنه أ كفر الكفرة ، فأى لبس بعد هذا ؟ مع أنه قد كثر ضلال الضلالة بمن ظهر على يديه شبه خارقة ، وقد علم أن ذلك قد يكون من الشياطين ، وقد ضبط العلماء - والله الحمد - أمر الخوارق وبينوا حقه من باطله ، فمن ظهر على يده شيء من الخوارق . وكان عارفاً بالله وصفاته مواظباً [على] الطاعات . محتنباً للمعاصي . معرضاً عن الانهماك في [الحلذات] والشهوات . فذلك ولى . والخارق كرامة . وما كان على يد مخالف للشرع فهو إهانة له بالاستدراج له ، و [لا] يقترب به . هذا الدجال نشهد أنه أ كفر الكفرة مع أنه تظـ [هر على] يده الخوارق العظيمة . منها مسير جبال الثريد معه و . . الأرض كذلك . ومنها تمثل الشياطين بصور أقارب من أرا [د الله] فتنته يدعونهم إلى متابعته . ومنها . أنه يقول للشمس : قفي [فتقف] . ويقول لها : سيري = ١٧ - مصرع التصوف

لا عبرة بقول حفيد ابن الفارض

ولا مستند لمن ينادىنا إلا ما أثبتته ابن بنته في ديباجة الديوان من الزور والبهتان ، وهو نكرة لا يعرف ، ولو أنه شهد على أحدهم بدينار لم تقبل شهادته حتى يُعَدَّلَ العدولُ الموثوق بهم ، ولا مُعَدَّلَ له ، ولا لجدّه ، ممن هو خير بحالهما أصلاً ، فصار المحامون له لا مُسْتَنَدَ لهم إلا سند فريش في منابذة النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد حين قالوا : (٣٢ : ٤٥) إن نظن إلا ظنّاً ، وما نحن بمستيقنين) ، (٣٨ : ٧) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق) ، (٤٣ : ٢٢) إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مهتدون) ، (٥ : ١٠٤) وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول ، قالوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وَلَا يَهْتَدُونَ ؟) ، (٧ : ٣٠) إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مهتدون) .

وكل من هكذا يوشك أن يقول عند سؤال الملسكين في قبره ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافق ، أو المرتاب : « هاه [هاه] ^(١) . لا أدري . سمعت

ففسير . ويقول للسماء : أمطري . فمطر . وللأرض : أنبقي : فنبت . إلى غير ذلك ممن يضل الله به من [يشاء من] عباده ، وأعظمه إحياء ميت « انتهى من هامش الأصل : وما بين هذين [] ساقط من الأصل ، ورأيت السياق يوجهه فأثبتته . وأقول : حديثه عن الخوارق تظهر على يد الأولياء حديث القرون التي كانت تعيش تحت سطوة التهاويل . إنما الكرامة هي أن يكون الله مع عبده المؤمن نصراً وتأيداً وحفظاً .

(١) وردت مرة واحدة في الأصل ، بيد أنها ذكرت مرتين في الحديث الذي رواه أبو داود عن البراء بن عازب « وهاه هاه » كلمة تقال في الضحك وفي الإيماء ، وللتوجع . وهو أليق بمعنى الحديث كما قال اللندري ، وحديث السؤال في القبر أخرجه — غير أبي داود — الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو حاتم

الناس يقولون شيئاً ، فقلته « على أنه لو ثبت ما في ديباجة الديوان لم يُفدَ ولاية ، فإن العلماء قسموا الخوارق إلى معجزة وكرامة ، ومعونة وإهانة . وأشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه في الفقه الأكبر ، انظر إلى ماورد للدجال من الخوارق ^(١) ، وهو أكفر الكفرة .

بم يكون الإنسان ولياً ؟

إنما يفيد الولاية بذلُ الجهد في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن بذل جهده في [٨٠] اتباع السنة ، قلنا : إنه ولي ، فإن خيل بعض المحولين منهم أحداً ممن ظهر له الحق بقوله : التسليم أسلم !! فليقل له : هذا خلاف ما أمر به صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة : من جهاد أعداء الله ، والبغض في الله ، من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه المتفق عليه في تسليته عن التخلف عن أصحابه بمكة : « ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ، ويُضرَّ بك آخرون » على أن التسليم لأهل الشريعة وأهل الطريقة ^(٢) المجمع عليهم الذين رموا هذا الرجل بالكفر ، ورأسهم الفاروق رضى الله عنه بمنعه من التأويل أجدرُ بإيجاب السلامة . وقد قال الإمامان أبو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما :

(١) ما سيظهر على يد الدجال أخبرنا به المعصوم ، وإنه لفتنة سيبتلى بها الله عباده ويميز بها بين المؤمنين والكافر ، أما ما يزعمه هؤلاء ، فلم يروه إلا كذاب ، أو منافق ، أو صوفي ، وإنها لشبهة يقتربها أولئك ابتغاء سلب مال أيم ، أو أرملة ، أو يتيم ، ولا يتخذ بها إلا النوكى غاييل الأحلام

(٢) لا . بل الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والتسليم لهما ، وتأيد كل من يذود عنهما ، ثم من أهل الطريقة ؟ ! أليسوا هم أولئك الأدعياء الكذبة الذين ابتدعوا هذه البدع الصوفية كلها ، تأييدا للمتأمرين على الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ؟ !

« إن لم تكن الفقهاء أولياء الله ، فليس لله ولى ^(١) » نقله عنهما النووى فى تبيانہ عن الخطيب البغدادى ، ودليله : (٣٥ : ٢٨) إنما يخشى الله من عباده العلماء (١٠ : ٦٢ ، ٦٣) ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين آمنوا ، وكانوا يتقون) . فقد أرشد الله تعالى إلى أن الولى هو العالم ، وأن العالم هو العامل بعلمه .

دفاع وادعاء

وإن قالوا : أنت تبغض الصوفية ، قل : هذه مباهنة . إنما أبغض من كفره من أجمعنا على أنهم صوفية ، مثل الجنيد ، وسرى ^(٢) ، وأبى يزيد ^(٣) ،

(١) ما من شك فى أن الإمامين الجليلين يقصدان بالفقيه : ذلك المؤمن العالم الذى يستمد قهقه من الكتاب والسنة ، وينذل الجهد فى سبيل دعوة المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة ، لا ذلك الذى تدفعه عصبية حمقاء إلى عبادة مذهب خاص ، ودعوة الناس إلى الاقتداء بغير رسول الله ، والتدين بكتاب غير كتاب الله سبحانه مثل هذا هو من يسميه الناس اليوم وقبل اليوم بالفقيه ، وإنه لقيه ضلالة ، وداعية إلى اتخاذ عبيد الله أربابا من دون الله

(٢) هو سرى بن المغلس السقطى ، خال الجنيد . ومن قوله : « كل ما أنا فيه فى بركات معروف الكرخى » توفى سنة ٢٥٧ ، فهل قائل هذه الكلمة يعتبر مسلما ؟

(٣) هو طيفور بن عيسى البسطامى التوفى سنة ٢٦١ ومن قوله : « سبحانى ما أعظم شأنى ، تالله ، إن لوائى أعظم من لواء محمد ، ولأن ترانى مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة » انظر ترجمة النواوى لأبى يزيد ولطائف اللين والأخلاق ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ . وعجيب من المؤلف أن يستشهد بمثل هذا الزنديق على تكفير صوفى ، وهو زعيمهم الذى ألهمهم جرأة وقحة على جلال الربوبية وكبرياء الإلهية ، وهو القائل أيضا : « رفنى الله مرة بين يديه وقال : إن خلقى يحبون أن يروك ، فقلت : زنى بوحدا نيتك ، وألبسى أنا نيتك ، وارفعنى إلى أحديتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » اللمع

وأبى سعيد الخراز ، والأستاذ أبى القاسم القشيري ، والشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب العوارف ، فإن بعضهم قال : طريقنا مشبك بالكتاب والسنة ، فمن خالفهما ، فليس منا ، وبعضهم جعل أثر عمر رضى الله عنه أصلاً ، وبني عليه طريقهم ، وبعضهم قال : من قال : إن الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق ، ومن قال : إن المراد بمحبة الله تعالى ، ووصوله إليه غير كمال المتابعة للكتاب والسنة ، أو بمحبة الله غير إكرامه بحسن الثواب - فهو زنديق ^(١) ، إلى غير ذلك مما حدوه ، فتعداه من عاديتهمونا بسببهم

(١) الخبير بحال الصوفية — سلفهم وخلفهم — وللتأمل في كتبهم يوقن أن الصوفية منذ نشأت ، وهي حرب دنيئة - حفية أو مستعلنة - على الإسلام . هذا القشيري الصوفي القديم « ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفي سنة ٤٦٥ هـ » هذا هو يقول في رسالته عنهم « ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة . وركنوا إلى اتباع الشهوات . وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال . وتحققوا بحقائق الوصال ، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحذية ، واختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدانية » ص ٢ ، ٣ الرسالة للقشيري . هذه شهادة عليهم في القرن الرابع الهجري من رجل يعدونه المثل الأعلى للصوفية العملية المعتدلة ، وإنها لتدل على أن الصوفية من قديم تواصلوا بالكيد للإسلام ، وإنا لا نخدعنا هذه الشفوف من النفاق الصوفي ، إذ هم السم الناقع يترأى شهيداً مذاباً . فالقائلون بما هلك له البقاعى هم عين القائلين بما يخلقك منه يحوم الزندقة ، فالقشيري نفسه يقول في مقدمة رسالته عن أهل الطريقة : « جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عبادته بعد رسله وأنبيائه » يفضل الصوفية على السابقين من المهاجرين والأنصار ، ثم يقول : « وجعل قلوبهم معادن أسرارهم ، واخصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم الغياث للخلق » وماذا بقي لله إذا كان هؤلاء غياثاً للخلق ؟! وماذا للصحابة من طوالع الأنوار ومعادن الأسرار إذا كان هؤلاء وحدهم كذلك ؟ ثم يقول : « ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحذية =

بل أنتم بعد بضعكم للصوفية نأبذتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بموالاةكم من نأبذ شريعته ، ونحن نذب عنها وأنتم تناضلون عن يهدمها من غير فائدة في ذلك ، وتقولون : إنهم أرادوا بكلامهم الذى ظاهره قبيح غير ظاهره ، ولو قال أحد من الناس لأحد منكم كلمة توهم نقصا « كالعلق » الذى قال أهل اللغة أن معناه : الشيء النفيس ^(١) — عاداه ، وإن حلف له أنه ما قصد ذمًا ، وإن كرر ذلك كانت القاصمة ، فتنحصر بذلك أن نأبذتم أهل الدين من الفقهاء والصوفية ^(٢) المجمع

= وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية « إذا فهم عند القشيري أعظم مقاما من خليل الله إبراهيم ، ومن محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فتأمل فى الأستاذ القشيري ، وفى قوله ، وفيما خلفه فى رسالته ، ثم اسمع إليه ينقل فى رسالته : « لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا ، المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه » انظر مقدمة الرسالة و ص ١٤٦ منها . وهذه زمزمة قديمة بزندقة الاتحاد ووحدة الشهود .

(١) فى القاموس : « العلق : بالكسر » النفيس من الشيء

(٢) وضع الصوفية بجانب الفقهاء من المؤلف يوحى بأن هناك طريقان : طريق الفقهاء ، وطريق الصوفية ، ويوحى بأن الدين فقه وتصوف ، وأن الطريقين مختلفان ، وأن الفقه والتصوف متغايران . فما طريق الفقهاء ، وما طريق الصوفية ؟ وما الفقه ، وما التصوف ؟ ! إن كان أحدهما عين الآخر بطلت التسمية ، وإن كان غيره ، استلزم النقص فى أحدهما ، أعنى استلزم أن يكون أحدهما لا يمثل الشريعة الإسلامية فى كل أصولها وفروعها . والصوفية يزعمون أنهم يمثلون الجانب الروحي والحقائق الباطنة فى الإسلام ، ويدمغون الفقهاء بأنهم علماء الرسوم . فى حين يقول الفقهاء عن الصوفية : إنهم يتحللون من تكاليف الشريعة بهذه الدعوى ! ! فأى الفريقين على بينة من قوله ؟ لا بد من العودة إلى الكتاب والسنة لنحكم على قيم الأشياء بما حدد القرآن من مفاهيم لهذه القيم ، وثمت نجد أمين الله جبريل يسأل الرسول : ما الإسلام ؟ ثم : ما الإيمان ؟ ثم : ما الإحسان ؟ ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجيب إجابة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، محددا هذه الحقائق العليا تحديدا جليا مشرقا ، فلنجعل قلوبنا ونياتنا وأعمالنا مظهرًا لها =

عليهم بالتأويل في جانب الله تعالى ، ومنعم مثله في حكم ، فأفٍ لهذا عقلا ، فكيف بالنظر إلى [٨١] الدين ؟

وجوب الكشف عن زندقة الصوفية وبيانها

وإن قالوا : لا تجرب بالإنكار عليه في نفسك ، فليقل : وإن تركت الإنكار عليه ، كنت أيضاً مجرباً في نفسى بمنازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه مسلم عنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع ، فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » وفي حديث آخر لمسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ^(١) » وقد صرح العلماء بأن من خاف

= في صدق وإخلاص ، ولندع تلك التفريعات ، والتقسيمات ، والتسميات ، لنستمد معارفنا عن الدين من الكتاب والسنة ، فلا تستبد بنا حيرة ، ولا يعصف بنا شك ولا يستعبدنا بعض خلق الله

(١) بات المنكر عند بعض الناس هو النهى عن المنكر ، ولبعدهم عن الكتاب والسنة حالت في أذهانهم قيم الأشياء ، فالدعوة إلى الحق عندهم رغاء بالباطل ، والاعتصام بالكتاب والسنة جمود ينافي قانون التطور ، والمحافظة على تراث الإسلام الروحى مادية صماء ، والحكم بما أنزل الله رجوع إلى وحشية القرون الوسطى ، وانتباز لساحة القانون الإنسانى . هذا في ناحية قيم الخير ، أما في ناحية الشر ، فالإلحاد حرية فكرية ، والعصية المذهبية تقديس للأئمة ، وعبادة القبور والجيف محبة لأولياء الله ، والمجوسية قداسة روحانية ، ومعارج ربانية ، وهى الصوفية ، والتبرج التلطيخ بدماء الأعراض مدنية حديثة ، وأمس قبل ثورة الجيش على الظفبان كانت مساندة الطاغوت والسجود له ولاء واجب مقدس ! ! هذا فهم المسلمين لقيم الأشياء ، يؤازرهم فى هذا — ويا أسفاه — بعض العلماء ، أو من يسميهم الناس بهذا . ثم تعال ، وانظر إلى ما كان يحدث من قبل . حاولت بعض الحكومات في عهد الطاغية تعديل قانون الانتخاب ! ! فماذا حدث ؟ قامت قيامة من يسمون أنفسهم بفقهاء القانون ، وتنادوا بالويل والثبور ! ! فى حين كان كل رئيس حكومة =

على أحد أنه يقع في هلكة يجب عليه إنذاره ، ولو كان في الصلاة : (٢٩ : ٤١)
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإنَّ
أوهَن البيوت ، لَبَيْتُ العنكبوت ، لو كانوا يعلمون) .

الجاهلية في الصوفية

على أنهم تابعون في هذا التحريف سنة الجاهلية في قولهم لنوح عليه السلام
ما أجابهم عنه بما حكاه تعالى عنه في قوله : (١٠ : ٧١) فأجمعوا أمركم وشركاءكم ،
ثم لا يكتفون بأمرهم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلىَّ ولا تنظرون) ثم قولهم لهود عليه
السلام ، وقوله لهم ما حكاه تعالى بقوله : (١١ : ٥٤ - ٥٦) إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهم بسوء ، قال : إني أشهد الله ، واشهدوا أني برىء مما تشركون من
دونه ، فكيدوني جميعاً ، ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ، مامن
دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم) ثم قولهم لإبراهيم
عليه السلام كذلك : (٦ : ٨٠ - ٨٣) وحاجَّه قومه . قال ^(١) : أنا حاجونى فى الله ،

= يعتدى في كل لحظة على كتاب الله ، وينتهك الحرمات في جرأة مستعلنة وقحة ،
ويستعبد عباد الله للطاغية الظالم الغشوم ، ويقدم للطاغوت قرايبته : فضيلة
مذبوحة ، أو رذيلة تغرى بأعماها ، أو عرضا كان يرف حياء ، ويتألق قدسية . كان
كل هذا يحدث وغيره . فما كنت ترى من الشيوخ والصوفية إلا ابتهاجا إلى الله أن
ينصر الطاغية ، كانوا كلما استجد بهم الطاغوت لمساندته هبوا سراعا هبوب الوثنية
إلى هبل ، يحلون له ما حرم الله ، ويرتلون بين يديه طقوس العبادة ، وعلى فمه
تلمظ الفواحش ، وعلى أنيابه مرق من الأعراض . ويقولون له : حفظك الله ذخرا
يا أمير المؤمنين ! ! فيا أبطال الثورة على الطاغوت : إن أسمى ما تحققون من خير
هو الجهاد في سبيل أن يفهم الناس قيم الأشياء على حقيقتها ، فيؤمنوا بالخير خيرا ،
وبالشر شرا . وثمت تجدون محكومين يتجاوبون مع الحاكمين في صدق وعجبة ،
وفي الكتاب والسنة الحق ، وهدى الدين والدنيا

وقد هذان ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً ، وسع ربي كل شيء علماً ، أفلا تتذكرون ، وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم^(١) بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون ، وتلك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم »

وقال كفار قريش لزينة الرومية رضى الله عنها لما أسلمت^(٢) ، فصميت : « ما أعمها إلا اللات والعزى فرد الله عليها بصرها ، وقالت ثقيف : » والله لا يستطيع أحد أن يخرب اللات ، فلما أخبر بها ، قالوا : والله ليفضن الأساس » وقال اليهود لما مات أبو أمانة أسعد بن زرارة رضى الله عنه : « لو كان نبياً مامات صاحبه » إلى أمثال هذه الترهات .

دفع اعتراض

وإن قالوا ، استخفافاً لضعفاء العقول : إن هذا الرجل^(٣) له ما يزيد على مائتي سنة ميتاً ، فما للناس يقلقونه في قبره ؟ تلك أمة قد خلت . فقل - بعد التأسي بفعل الله بفرعون وأضرابه^(٤) : هذا الكلام [٨٢] لنا عليكم ، فإنه

(١) ساقط من الأصل

(٢) أسلمت في أول الإسلام ، وعذبها المشركون عذاباً شديداً ، فاشتراها الصديق ثم أعتقها وقد عميت ، فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما فقالت : وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما ، إنما هذا من السماء ، وربى قادر على رد بصرى ، فأصبحت من النعد ، وقد رد الله بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد . « عن الإصابة لابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير »

(٣) يعنى : ابن الفارض

(٤) يريد : أنه لو كان ذم الموتى مذموماً مطلقاً ما ذم الله في القرآن آزر أباً إبراهيم ، وابن نوح ، وامراته ، وامرأة لوط ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، =

لو كان حياً لظن أن الكلام فيه لعداوة ، أو حظ من الحظوظ الدنيوية ، وحيث انتفت التهم كلها ، كان الكلام بسبب ماخلفه من كلامه الذي أقر الدابون عنه أن ظاهره خبيث حتى احتاجوا إلى تأويله ، فلو تركوا كلامه ، تركنا الكلام فيه ، فمن غرض منه ، علمنا أنه ماغض - مع معاداة أكثر الناس - إلا ذباً عن حى الشريعة خوفاً على الضعفاء من الاغترار بهذه الظواهر ، ومن حامى عنه ، كان ذلك قرينة دالة على أنه يعتقد ماظهر من كلامه ، وإن قالوا : « لاتذكروا موتاكم إلا بخير » رواه النسائي عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . قيل : حتى يكون من موتانا ^(١) ، وإن قالوا « لاتسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ماقدموا » رواه البخارى عنها أيضاً مرفوعاً . قيل : هذا إذا كان فى أمرهم شك ؛ بدليل (تبت يدا أبى لهب ^(٢)) ، ونحن لم نسب ، بل أخبرنا بما وصفه به العلماء الذين ثبتت ولايتهم تحذيراً من كلامه ^(٣) ، واتباعاً لحديث البخارى عن أنس

== بمن حادوا الله ورسوله . أما وقد جاء فى القرآن ذلك ، فعلم قطعاً أنه يجب ذم الشرك ، وكل مشرك . وبيان حاله حتى تأمن من الفتنة به على غير التحير بحاله . وما مثل كفر ابن الفارض وابن عربى وأمثالهما من الصوفية كفر . وما مثل خطرهما على المسلمين خطر . فلا يمنع هلاكهما من بيان حالهما ، وذم معتقدهما ، والتحذير منهما ، ومن أمثالهما . وإن كانوا فى توابيت من فضة ، وتحت قباب من ذهب ، وكان لهم ملايين الدراويش !!

(١) أى : من المسلمين الذين لم نسمع منهم فى صراحة قول الكفر . ولم نر منهم فى جلاء فعل الكفر . ولم يخلفوا وراءهم كتباً تطفح بالوثنية والزندقة . كأمثال طواغيت الصوفية . فإن كان من هؤلاء وجب على كل مسلم بيان معتقده ، وتحذير المسلمين منهم ، ودمغهم بما دمع الله به كل فاجر كفار

(٢) يعنى : لو كان ذم الموتى مطلقاً غير جائز ماذم الله فى كتابه الحكيم أباً لهب ونحن اليوم - وقد تقضت قرون كثيرة على هلاك أبى لهب - ما زلنا ، وسنظل حتى قيام الساعة نقرأ قول الله « تبت يدا أبى لهب »

(٣) أى : من كلام ابن الفارض ، والمؤمن الحق ليس فى حاجة إلى شهادة عالم ==

رضى الله عنه - رَفَمَ - « مَرَّوًا بِجَنَازَةٍ فَأَنفَأُوا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ : وَجِبَتْ »
 واتباعاً لإجماع الأمة في جرح من يستحق الجرح . هذا من فوائد قولنا ، فليذكر
 الخصم للدفع عنه فائدة واحدة لنفعه ، أو لنفع الدين ، أو أحد من المسلمين !!
 وإن قالوا : ما لأهل زمانه ما أنكروا عليه ؟ قيل : قد أنكروا عليه ، كما مضى
 بيانه ، وإن قالوا : ما لهم ما قتلوه ؟ قيل : منهم اختلاف الأغراض ، كما منع
 ذلك في الباجري ، وكما ترى الآن من هذا التجاذب ، على أن القتل أيضاً لا يفيد
 قطع التعتُّن من المعتنئين ، فقد أجمع أهل زمان الحلاج الذي هو رأس هذه
 الطائفة الاتحادية^(١) بعد فرعون ، وهم أتباع طريقته على قتله على الزندقة ، كما
 نقله القاضي عياض في آخر كتابه الشفاء الذي هو من أشهر الكتب وأعظمها ،
 ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري رأس الصوفية في زمانه في الرسالة عن أحد
 مشايخنا عمرو^(٢) بن عثمان المكي تكفيره للحلاج وذلك في باب « حفظ قلوب
 المشايخ »^(٣) وقُتِلَ بسيف الشرع ، وأنت تجد الآن هذه الطائفة ، وأتباعهم من

= يشهد على مثل ابن الفارض بالكفر ، فشرع الصوفية وكتبهم تنزوا بقيح الوثنية
 المجرمة ، وتشهد عليهم أنهم فئة يبغضون الله ورسوله ويحبون القبور ، ورسم
 القبور !! وبهذه الشهادة التي لا يمكن الطعن فيها ، نحكم عليهم بما حكم الله به
 على إبليس وفرعون ، وعباد العجل والأوثان ، والمجرمين من قوم لوط

(١) هو حلولى وليس اتحاديا

(٢) توفي سنة ٢٩١ هـ

(٣) نص ما ذكره القشيري « ومن المشهور أن عمرو بن عثمان المكي رأى
 الحسين بن منصور الحلاج يكتب شيئا ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض
 القرآن ، فدعا عليه ، وهجره . قال الشيوخ : إن ما حل به بعد طول المدة كان
 لدعاء ذلك الشيخ عليه » والقشيري لم يذكر هذا انتقاصا من مقام الحلاج ، وإنما
 ذكره تأييدا لما يهدف إليه الصوفية ، وهو استعباد قلوب أتباعهم لأهوائهم ، ألا
 تراه يقرر أن الحلاج لم يحل به القتل إلا من دعاء شيخه عليه ، لا لأنه كان يعارض
 القرآن ، فغضب الله عليه !! وألا تراه يرويه في باب « حفظ قلوب المشايخ » ؟ =

العامّة ، يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً ، وينابذون أهل الشريعة ، وذلك يدل على أنهم إنما يقولون : نُؤَوِّلُ تَقِيَّةً ، وخوفاً من السيوف المحمدية ، وأنهم يعتقدون الكلام على ظاهره ، فاستوى حينئذ القتل على الزنقة وعدمه (٤٠ : ٣٣ ومن يُضِلُّ الله ، فإله من هاد) .

نصيحة

ولا تهتموا أيها الإخوان بكثرة كلام أتباع الشيطان ، وهجائهم لنا بالإثم والمدوان ، فهم : إنما يقولون ذلك في النية ، ولم عليه الإثم والخطية ، فإن الله تعالى قد ضمن النصرة ، وإن كان مع المُبْطِل الكثرة . روى [٨٣] الشيخان عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون ، وحتى يقاتل بقيتهم الدجال » وفي رواية : « وهم بالشام » ، وقال [تعالى] : (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون)

ولذا يقول في رسالته : « من رضى عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته ، لتلازول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ في حال حياة ذلك الشيخ ، لتلازول له ، فإنهم مجبولون على الكرم ، فإذا مات ذلك الشيخ ، فحينئذ يجد المكافأة بعده » ويقول « من خالف شيخه لم يبق على طريقته ، ومن صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة عنها !! » انظر ص ١٥٠ ، ١٥١ من الرسالة للقشيري في باب حفظ قلوب المشايخ . ولكن أرايت إلى الأستاذ القشيري كيف يقرر وجوب التوبة حتى على من همس في قلبه اعتراض على شيخه ، بل يقرر أن التوبة من هذا لا تقبل !! ولذا يقول الشعراني « من أشرك بشيخه شيخاً آخر فكأنما أشرك بالله » يريد الصوفية سلفاً وخلفاً أن يكون الناس عبيد أهوائهم ونزواتهم ، ويخوفونهم بغضب العبيد ، لا غضب رب العالمين ، ويشرعون لهم ، أن الغاية من الإيمان إرضاء هوى الشيوخ ، لا إرضاء مالك الملك سبحانه !!

وقال تعالى : (٦١ : ١٠ ، ١١ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) إلى أن قال : (٦١ : ١٢ - ١٤) وأخرى نجوبنها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فأمنت طائفة من بنى إسرائيل ، وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) .

وقد قلت في حالنا وحالم .

نصرنا سنة المختار حقاً فهاجينا لذلك^(١) الأكافر
وراموا نصر شاعرهم ، فخابوا وضلَّ سعيهم في نصر شاعر
(٣٨ : ٨٨) ولتعلمن نبأه بعد حين) ، (٨ : ٢٩) إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) ، (٢٢ : ٤٠) ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز) ،
(٤٠ : ٥١ ، ٥٢) إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم
الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولمم اللعنة ، ولمم سوء الدار) ،
(٣٧ : ١٧١ - ١٨٢) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ،
وإن جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون .
أفبعذابنا يستمجلون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباح المُنذرين ، وتولَّ عنهم
حتى حين ، وأبصرهم ، فسوف يبصرون . سبحان ربك رب العزة عما يصفون .
وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين) .

* * *

قال مُنشِئُها سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الحسن برهان الدين
إبراهيم البقاعي الشافعي نفع الله المسلمين بعلمه : إني فرغت [من] هذه الرسالة

(١) لعلها : ذياك ، أو لدلكم . فهذا يستقيم وزن البيت

في مقدار يوم ، وكان فراغى منها ليلة الأحد ثامن عشرين شهر رجب الفرد الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة في مسجد « دار رحمه العبد »^(١) بالقاهرة والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

وفرغ من كتابتها الفقير إلى رحمة ربه ، سليمان بن عبد الرحيم في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة الهجرة النبوية .

* * *

[زاد الناسخ ، أو غيره بعد هذا]

ومن يقول بكفر ابن عربى غير مصنف هذه الرسالة أيضاً من العلماء الشيخ إبراهيم بن داود الآمدى^(٢) والشيخ أبو بكر بن قاسم الكنانى^(٣) والشيخ الفاضل سليمان بن يوسف الياسوفى^(٤) الدمشقى ، والإمام الجليل على بن عبد الله الأردبيلى^(٥) ، والعلامة محمد بن خليل عز الدين الحاضرى الحلبي الحنفى الفاضل محمد بن على الدكالى^(٦) ثم المصرى ، والشيخ الصالح موسى بن محمد الأنصارى^(٧) الشافعى قاضى حلب ، وكلهم ذكر الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى عن شيخه شهاب الدين أحمد بن حجر فى تراجمهم ما فيه الكفاية من فضلهم وحذقهم ، وعلمهم ، وزهدهم وورعهم ، وإنما أردت ذكر أسمائهم ، ليعلم أن من قال بكفر

(١) كذا بالأصل

(٢) أسلم على يد ابن تيمية ، وكان ديناً خيراً فاضلاً . توفى سنة ٧٩٧ هـ

(٣) ولد سنة ٦٦٦ هـ قال عنه الذهبي : دين حسن المحاضرة

(٤) ولد سنة ٧٣٩ هـ تقريباً ، كان شافعيًا ، ثم جيب إليه الحديث ، فأقبل عليه

بكلية ، وسلك طريق الاجتهاد . توفى سنة ٧٨٩ هـ معتقلاً بقلعة دمشق

(٥) ولد سنة ٦٦٧ هـ قال عنه الذهبي : حصل جملة من كتب الحديث ، وشغل فى

فنون وهو عالم كبير حسن الصيانة . مات بالقاهرة سنة ٧٤٦ هـ

(٦) هو أبو أمامة ابن النقاش . وقد سبقت ترجمته

(٧) ولد سنة ٧٤٨ هـ ، ولى قضاء حلب عن الظاهر برقوق . وتوفى سنة ٨٠٣ هـ

هذا الضال جماعة من العلماء غير واحد ، ليحذر من مذهبه من لا يعرفه تحقيقاً ،
ويعلم أن جماعة من العلماء لا يتفقون على ضلاله ، وهؤلاء من المتأخرين دون من
لم يذكروهم من المتقدمين ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وصاحب المواقف
وغيرهما ، وكذلك الشيخ الجليل أفضل المتأخرين علامة زمانه الشيخ علاء الدين
البخارى ، وقد عمل في الرد على ابن عربى غبى وبيان كفره رسالة شافعية مُسمّاة :
« بفاضة الملحدّين ، وناصحة الموحدين » . ومن أراد البحث والرد على هذه
الطائفة ، فليطالعها . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

فرغت من نسخها وتحقيقها والتعليق عليها يوم الخميس ٤ من صفر سنة ١٣٧٢ هـ
الموافق ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٥٢ م بمدينة القاهرة والحمد لله أولاً وآخراً .
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد
آدم أجمعين .

عبد الرحمن الوكيل

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

* * *

وكان الفراغ من الطبع والتصحيح بمطبعة السنة المحمدية يوم الخميس ١٨ من
رجب سنة ١٣٧٢ هـ الموافق ٢ من إبريل سنة ١٩٥٣ م
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبي : محمد ، وعلى
آله وصحبه أجمعين .

فهرست

مصرع التصوف

- | | |
|--|---|
| <p>٥٢ تكفير العراقي لابن عربي</p> <p>٥٣ كل شيء عند الصوفية رب وإله</p> <p>٥٤ الرأي في ابن الفارض وتائيته</p> <p>٥٨ تمجيد الصوفية لعبادة الأصنام</p> <p>٦٢ الحق عين الخلق عند الصوفية.</p> <p>٦٦ الوحدة المطلقة دين ابن عربي</p> <p>٦٦ لا يُعْتَدَر عن الصوفية بالتأويل</p> <p>٦٧ خطر صرف الكلام عن ظاهره</p> <p>٦٨ صلة الخلق بالحق عند الصوفية</p> <p>٧٠ الطبيعة هي الله عند</p> <p>٧١ دين ابن الفارض</p> <p>٧٤ العبد عين الرب عند الصوفية</p> <p>٧٥ النار عين الجنة عندهم</p> <p>٧٦ مثل من تفسير ابن عربي للقرآن</p> <p>٧٨ ردّ علاء الدين البخاري</p> <p>٧٩ رأى العصد والجرجاني</p> <p>٨١ رأى السعد التفتازاني</p> <p>٨٣ زعم أن الحق يتلبس بصورة الخلق</p> <p>٨٦ أمر ابن الفارض باتباع شريعته</p> <p>٨٨ تكذيب صريح للقرآن</p> <p>٨٩ إفك على الله</p> <p>٩٢ تمجيد الصوفية للمجرمين</p> | <p>٣ مقدمة الكتاب</p> <p>١٧ البقاعي في سطور</p> <p>١٨ خطبة الكتاب</p> <p>١٩ عقيدة ابن عربي وكيدته للإسلام</p> <p>١٩ منهاج الصوفية في السكيد بدعوتهم</p> <p>٢٠ مثالم في زندقتهم</p> <p>٢١ احتجاج الصوفية بقصة الخضر</p> <p>٢٢ القول في صرف الكلام عن ظاهره</p> <p>٢٣ حكم من ينطق بكلمة ردة</p> <p>٢٤ بيان ماهو من المقالات كفر</p> <p>٣٣ الباطنية</p> <p>٣٥ من هو الزنديق ؟</p> <p>٣٧ إفك وبهتان ابن عربي على الرسول</p> <p>٣٧ دفع هذا الافتراء</p> <p>٣٨ إيمان ابن عربي بأن الله إنسان كبير</p> <p>٣٩ آدم عند الصوفية</p> <p>٤٠ زعمه أن الحق مفتقر إلى الخلق</p> <p>٤١ التنزيه والتشبيه</p> <p>٤٢ بم يعرف الله عند الصوفية</p> <p>٤٦ تكفير الصوفية لنوح</p> <p>٤٩ الدعوة إلى الله مكر عند الصوفية</p> |
|--|---|

- ٩٣ زعمهم أن هوية الحق عين
أعضاء العبد وقواه
- ٩٤ تفسيرهم لما عذب الله به قوم هود
- ٩٥ زعم ابن عربي أنه اجتمع بالأنبياء
- ٩٦ ظن الصوفية بالله سبحانه
- ٩٨ الكون هو رب عند الصوفية
- ٩٩ لم يقول الصوفية بوحدة الأديان ؟
- ١٠٠ الوحدة عند ابن الفارض
- ١٠٣ الكثرة عين الوحدة
- ١٠٤ فعل الرب عين فعل العبد عند
الصوفية
- ١٠٥ ما الخلق ؟
- ١٠٦ زعم ابن عربي : أن التفاضل
لا يستلزم التغاير
- ١٠٨ الضال مهتد ، والكافر
مؤمن عنده
- ١٠٩ لن يعذب كافر عنده أيضاً
- ١١١ الحق عنده سارٍ في عناصر الطبيعة
- ١١١ رد العراقي على وحدة الأديان
- ١١٢ الشرائع أوهام عند الصوفية
- ١١٢ ليس لله وجود عندهم
- ١١٣ الداعي عين الهيب عندهم
- ١١٦ الحق عين كل معلوم عندهم
- ١٢٠ تمجيد الصوفية لعبادة العجل
- ١٢١ بعض ما كفر به العراقي ابن عربي
- ١٢٢ آيات تشهد بكفر ابن عربي
- ١٢٣ شرك الصوفية أخبث الشرك
- ١٢٤ تعليلهم لإنكار موسى على السامري
- ١٢٥ الهوى رب عند الصوفية
- ١٢٦ وحدة الأديان عند ابن الفارض
- ١٢٧ الإله الصوفي مجلى صور العالم
- ١٢٧ حكم ابن عربي بإيمان فرعون وبجانه
- ١٢٩ رد هذه الفرية
- ١٣٠ سؤال فرعون وجواب موسى
- ١٣٢ فرعون عند الصوفية رب موسى
وسيده
- ١٣٤ حكم من ينسب ربو بيته إلى فرعون
- ١٣٤ تحريم التأويل
- ١٣٥ رأى ولد العراقي في القصص
والثانية
- ١٣٧ رأى السكوني
- ١٤٠ أوهام الصوفية في الحكم بإيمان
فرعون
- ١٤١ افتراء على الرسول ﷺ
- ١٤٢ التثليث عند الصوفية
- ١٤٣ رب الصوفية امرأة

- ١٤٦ الأنوثة صفة الإله الصوفي
١٤٧ الإله الصوفي بين التقييد والإطلاق
١٤٩ دعاء ومباهلة
١٥٠ المكفرون لابن عربي
١٥٥ فتوى الجزرى
١٥٦ رأى أبى حيان
١٥٧ رأى التقي السبكي والفراسى
والزواوى
١٥٨ رأى البكرى
١٥٩ مسألة الوعيد
١٦١ فتوى البالى وابن النقاش
١٦٥ رأى ابن هشام وابن خلدون
١٦٨ رأى الشمس العيزرى
١٦٩ رأى ابن الخطيب والموصلى
١٧٠ رأى البساطى
١٧٤ البساطى وشرحه للتائية .
١٧٦ رأى ابن حجر والبلقىنى وغيرهما
١٧٧ مقتل الحلاج
١٧٨ رأى الذهبى
١٧٩ رأى ابن تيمية وغيره من العلماء
١٨٢ رأى علاء الدين البخارى
١٨٣ تحقيق معنى الكافر والمحدد
والزندق والكافر
- ١٨٦ بعض مصطلحات الصوفية
١٩٠ أسطورة الكشف
١٩٥ رأى الحافظ تقي الدين الفاسى
١٩٧ مكر الصوفية
١٩٨ آيات ثبات الإيمان فى القلب
٢٠٠ هوان الدين عند الأكرية
٢٠١ من هم الأولياء ؟
٢٠٣ رأى ابن أيوب فى الحلاج وابن عربى
تحذير العباد من أهل الضاد
٢٠٧ المقدمة
٢٠٨ آيات نلى الله بها نبيه
٢٠٩ الرأى فى سلف الصوفية
٢١٢ مناقبة الصوفية للنقل والشرع
٢١٣ موقف العلماء من ابن عربى
وابن الفارض
٢١٤ المكفرون لابن الفارض
٢١٦ موقف شيوخ المذاهب من
ابن الفارض
٢١٧ تواتر نسبة ابن الفارض إلى
الكفر
٢١٨ الضلال عند الصوفية خير من
الهدى

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ٢٤٥ الباطل إله الصوفية. | ٢١٨ رب ابن الفارض أنثى |
| ٣٤٥ حكم المناضل عن ابن الفارض | ٢١٩ تفصيل الزنديق نفسه على الرسل |
| ٢٤٦ قول ابن الفارض يوجب | ٢١٩ الخلاعة سنة ابن الفارض |
| إراقة دمه | ٢٢١ ذمه للرسل وللشرائع |
| ٢٤٨ زجره لمن يكنيه أو يلقبه | ٢٢٣ تفصيله أتباعه على الرسل ، |
| ٢٤٩ زعمه أنه عرج إلى السماء | وزندقته على شرعة الله |
| ٢٥١ حكم من كفر ابن الفارض | ٢٢٤ الصلة بين التصوف والنصرانية |
| ٢٥٣ حكم المتوقف في تكفير الصوفية | ٢٢٦ زعمه أن صفات الله عين صفاته |
| ٢٥٥ الرأي في شعر ابن الفارض | ٢٢٩ زعمه أن الله سبحانه يصلى له |
| ٢٥٧ تواتر الخبر بتكفير العلماء له | ٢٣٠ رب الصوفية في صور العاشقات |
| ٢٥٨ نفى كلام حفيده فيما أثبتته | ٢٣٣ ثباته على اعتقاد الوحدة |
| ٢٥٩ أصل الولاية الحققة | ٢٣٤ استدلاله على زندقته |
| ٢٦٠ دفاع وادعاء | ٢٣٦ يدين ابن الفارض بتلبس الله |
| ٢٦٣ وجوب الكشف عن زندقته | بصورة خلقه |
| الصوفية وبيانها | ٢٤٠ رأى القشيري والسمهروردي |
| ٢٦٤ الجاهلية و الصوفية | ٢٤٠ وحدة الأديان عند ابن الفارض |
| ٢٦٥ دفع اعتراض واهٍ | ٢٤١ شعره في وحدة الأديان |
| ٢٦٨ نصيحة البقاعي ختم بها كتابه | ٢٤٢ معاندته للتوحيد الحق |
| | ٢٤٤ دعوته إلى المجون |